أهل الذمة في الأنـدلس خلال الحكم الأموي

"عصري الإمارة والخلافة"

(١٣٨هـ-٤٢١هـ/٧٥٦م-١٠٣٠م)

إعداد الطالب

عبد المطلب مصطفى رجب مظهر

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في جامعة اليرموك

تخصص تاريخ اسلامي وحضارة إسلامية

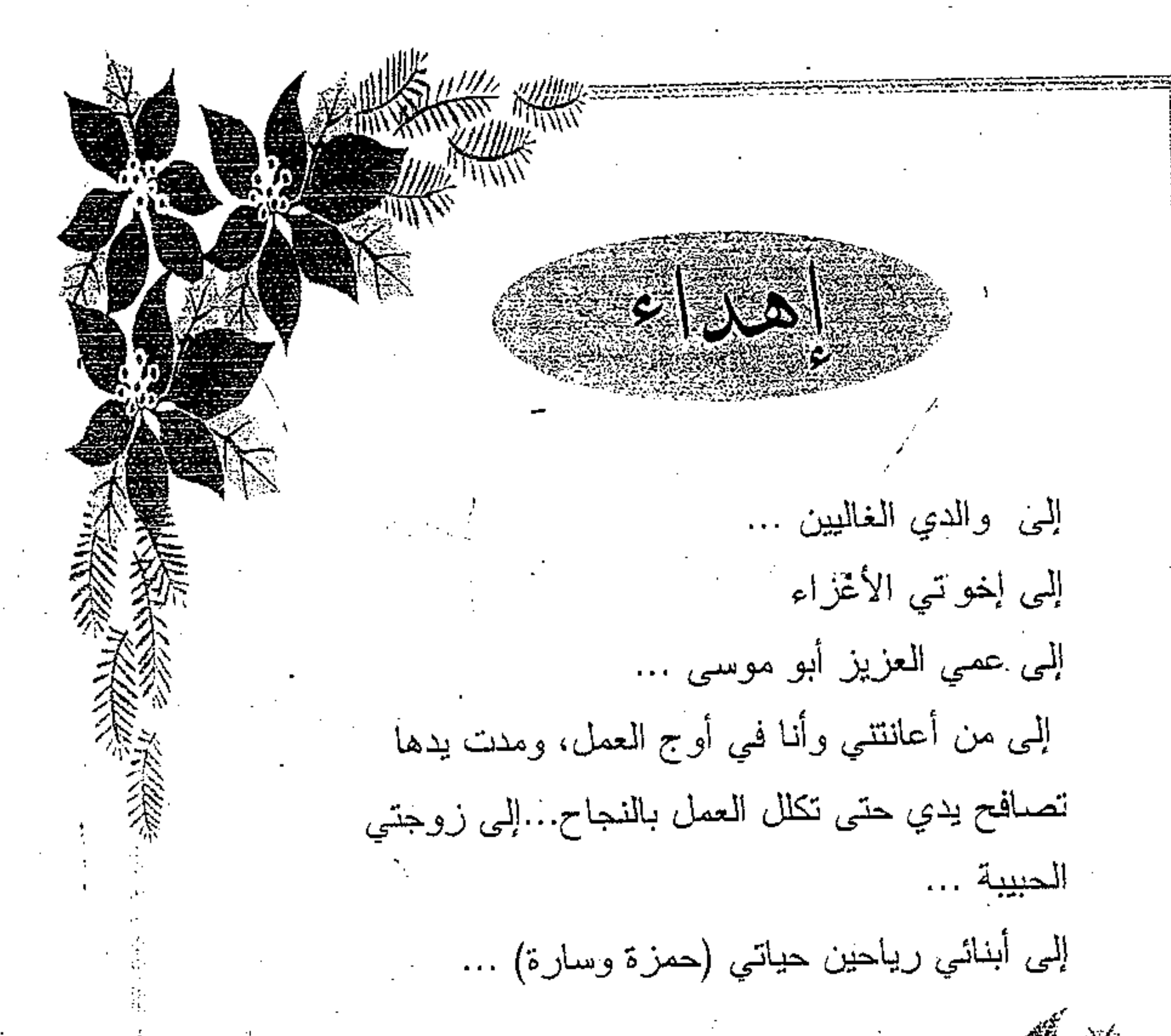
لجنة المناقشة

١. الدكتور صالح محمد فياض أبو دياك .... مشرفا ورئيسا

٢. الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات........................ عضوا

٣. الدكتور أحمد محمد الجوارنة ....عضوا

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



إهداء

إلى والدي الغاليين ...

إلى إخوتي الأعزاء

إلى عمي العزيز أبو موسى ...

إلى من أعانتني وأنا في أوج العمل، ومدت يدها تصافح يدي حتى تكلل العمل بالنجاح...إلى زوجتي الحبيبة ...

إلى أبنائي رياحين حياتي (حمزة وسارة) ...

أهدي هذا العمل المتواضع...

شكر وتقدير

يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل **الدكتور صالح محمد فياض أبو دياك** على ما بذله من جهد، وقدمه من عون وتوجيه وإرشاد، والله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء. وأتقدم بالشكر والإمتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة لما بذلوه من جهد في قراءتها.

والشكر الجزيل إلى السيدة ميجالينا (Migalina) أمينة المكتبة في المركز الثقافي الإسباني، على ما قدمته لي من عون في توفير الكتب وترجمة بعضها.

وأشكر العاملين في مكتبتي الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك على ما قدموه من عون ومساعدة. كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور محمد صبحي الأسعد لما بذله من مجهود في التدقيق اللغوي، وإلى الآنسة أروى أحمد موسى الدرابيع لما بذلته من مجهود في طباعة الرسالة وتنسيقها.

المختصرات والرموز المستخدمة في الهامش

وجه : اللوحة الأولى من ورقة المخطوط.

ظهر : اللوحة الثانية من ورقة المخطوط.

ط : طبعة.

ت : توفي.

د.ت : دون تاريخ الوفاة.

د.ن : دون ناشر.

د.م : دون مكان نشر.

ص : صفحة.

جـ : جزء.

كم : كيلو متر.

كم٢ : كيلو متر مربع.

م : ميلادي.

هـ : هجري.

المصدر نفسه : نفس المصدر ونفس الصفحة.

المقدمة

تعد فئة أهل الذمة من الفئات الاجتماعية التي احتلت مكانة هامة في المجتمع الإسلامي، فلقد ارتبط وجود هذه الفئة بقيام الدولة الإسلامية، وتطورت بتطورها، حتى كان لها مساهماتها الخاصة في بناء الحضارة الإسلامية العريقة، من هنا كان لابد من التوقف عند هذه الفئة، وإثارة العديد من التساؤلات حول ماهيتها لغة واصطلاحا، ونظرة الشرع الحنيف إلى هذه الطوائف الدينية، وكيف مارس أولئك الذميون أنشطتهم الاجتماعية والدينية في ظل حكم المسلمين؟ وأسئلة غيرها كانت محط نقاش دائم بيني وبين أستاذي الدكتور صالح محمد فياض أبو دياك الذي شجعني مشكورا على سبر أغوار هذا الموضوع.

وللإجابة على هذه التساؤلات اخترت المجتمع الأندلسي في أزهى فترات تألقه، وخلال حكم بني أمية بقرطبة (١٣٨هـ-٤٢١هـ/٧٥٦م-١٠٣٠م) لدراسة أحوال أهل الذمة هناك.

وفي ظني أن الكثير من الدراسات التاريخية الأندلسية الحديثة لم تعط هذه الدراسة حقها، لذا قمت بدراستها باذلا كل جهد في تمحيص وتحليل جوانبها، راجيا من الله التوفيق.

أما الدراسة فقد تكونت من ستة فصول وخاتمة، اختص الفصل الأول بالتعريف بأهل الذمة لغة واصطلاحا، ومن ثم موقف الشريعة الإسلامية السمحة من أهل الذمة كطوائف عقائدية في المجتمع المسلم، ثم تحدثت عن سكان إسبانيا حتى عصر إمارة بني أمية (١٣٨هـ/٧٥٦م).

وتناول الفصل الثاني الدولة وأهل الذمة، الذي تطرقت فيه إلى موقف السلطة الحاكمة من كل من رجال الدين والأماكن المقدسة، وتطرقت في الحديث إلى التنظيم الداخلي لكل من النصارى واليهود، والوظائف الرسمية التي شغلوها في بلاط الدولة الإسلامية آنذاك ،وأشرت إلى القضاء عند أهل الذمة في الأندلس وأحباسهم.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن الحياة الاجتماعية لأهل الذمة في الأندلس، مبرزا العلاقات الاجتماعية بين الذميين والمسلمين وما تخللها من صداقة وزواج مختلط، مع بيان مدى تأثير هذه العلاقات على كلا الجانبين، أما الحياة الدينية عند أهل الذمة فقد ركزت على شعائرهم الدينية وعلى أعيادهم ومزاراتهم ، وفي نهاية الفصل تحدثت عن حركة اجتماعية دينية اجتاحت العاصمة الأندلسية(قرطبة) ، في الفترة ما بين (٢٣٦هـ-٢٣٨هـ/٨٥٠م-٨٥٢م) وكادت

أن تودي بحكم المسلمين هناك إلا أنها أخمدت، وعرفت هذه الحركة بفتنة المستعربين (حركة المتنحرين).

وتطرقت في الفصل الرابع إلى الحديث عن النشاط الاقتصادي لأهل الذمة في الأندلس، بمرافقه الثلاثة الزراعي، الصناعي، التجاري للذميين في المجتمع الأندلسي، والالتزامات المالية المفروضة عليهم، وبينت في الفصل الخامس أوجه الحياة الثقافية والفكرية عند أهل الذمة في الأندلس، تحدثت فيه عن عوامل تطور الحياة الثقافية والفكرية في البلاد، ومن ثم مظاهر هذه الحياة عند أهل الذمة وتحدثت عن ثقافة المستعربين، وأشرت إلى ازدواجية اللغة في المجتمع الأندلسي، وإلى الترجمة والتعلم والتعليم عند الذميين في الأندلس، وفي نهاية الفصل تحدثت عن أشهر علماء أهل الذمة وأطبائها.

ونوهت في الفصل السادس عن العلاقات الخارجية لدولة بني أمية في الأندلس مع الدول والممالك النصرانية المجاورة لها، وأثر هذه العلاقات الخارجية على واقع أهل الذمة في المجتمع وخرجت من هذه الدراسة بنتائج عديدة وهامة، معتمدا بها على قراءاتي لعدد من المصادر والمراجع، حيث تأتي كتب التاريخ الأندلسي في مقدمة هذه المصادر التي أفاد منها الباحث لاحتوائها على معلومات ذات قيمة عالية يستدل من خلالها على الأدوار التي ساهم بها أهل الذمة في الأندلس، وأول هذه الكتب من حيث الترتيب الزمني كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس**، لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، والمتوفى سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م)، وهو أندلسي من سكان البلاد الأصليين، وينتمي لطبقة المولدين، حيث يرجع بنسبه إلى سارة القوطية حفيدة الملك غيطشة (witiza)، ويتضمن الكتاب الأحداث التاريخية التي مرت بها شبه جزيرة ايبيريا منذ الفتح الإسلامي وحتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد (٣٠٠هـ/٩١٢م)، ويعد من أهم الكتب الأندلسية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وتحدث المؤلف عن الواقع السياسي للبلاد خلال تلك الفترة، غير أن قيمة الكتاب تكمن فيما ورد فيه من إشارات عن أهل الذمة، ومكانتهم في المجتمع الأندلسي، وأخبار قومسهم أرطباس بن غيطشة الأمير القوطي الذي تعاون مع العرب في حكمهم للبلاد، وأظهره ابن القوطية بمظهر الناصح الأمين لهم.

أما كتاب **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها** لمؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فهو من الكتب القيمة في التاريخ الأندلسي، حيث يتضمن الأحداث التي مرت بها الأندلس منذ الفتح الإسلامي وحتى وفاة الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٥٠هـ/٩٦١م)، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا في تاريخ تلك الأحداث.

ويعد كتاب **المقتبس** لأبي مروان حيان بن خلف، المتوفى سنة ٤٦٩هـ(١٠٧٦م) وهو من الكتب المرجعية الهامة في التاريخ الأندلسي رغم فقدان العديد من أجزائه، حيث أفادت الدراسة من خلال أجزائه الأربعة المطبوعة والمحققة، خصوصا إذا عرفنا أنه استمد معلوماته عن معاصرين للأحداث، منهم أحمد بن محمد الرازي المتوفى سنة ٣٤٤هـ(٩٥٥م)، وعيسى بن أحمد الرازي المتوفى سنة ٣٧٩هـ(٩٨٩م) وغيرهم.

ولقد استفاد البحث من الأجزاء المحققة التي غطت فترة الدراسة، وأشارت إلى الكثير من الأحداث السياسية التي برز فيها دور الذميين كسفراء ومترجمين للبلاط الحاكم، أمثال حسداي ابن اسحق بن شبروط اليهودي ووليد بن مغيث قاضي العجم وعباس بن المنذر أسقف اشبيلية ومعاوية بن لب وغيرهم من زعماء ووجوه النصارى في الأندلس.

كما أن ابن حيان عرض بعض الجوانب الاجتماعية التي تعكس جانبا من المصاهرات مستمدا معلوماته هذه عن ابن القوطية، كما تحدث هذا الكتاب عن الثورات والفتن التي اندلعت في الأندلس، وساهم فيها أهل الذمة بدور أساسي وفعال كثورة عمر بن حفصون (٢٦٧هـ/٨٨٠م).

وكتاب **المغرب في حلى المغرب** المنسوب إلى علي بن موسى بن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥هـ(١٢٨٦م)، فقد أمدنا بمعلومات متنوعة وإشارات متعددة عن الحياة الاجتماعية والأدبية في المجتمع الأندلسي، وقد عكس الكتاب بعضا من جوانب حياة أهل الذمة في الأندلس، وبعض مساهماتهم الأدبية.

وكتاب **البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب** لأحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، المتوفى سنة ٧١٢هـ(١٣١٢م)، وهو من الكتب الهامة لما يحويه من معلومات قيمة عن المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)، متبعا في ذلك منهج تسلسل الأحداث على أساس السنين، وتكمن أهمية الكتاب في اقتباساته الكثيرة

من مؤلفين سابقين، سيما أن مؤلفات بعض هؤلاء مازالت مفقودة مثل عريب بن سعد المتوفى سنة ٣٧٠هـ(٩٨٠م)، وابن حيان المتوفى سنة ٤٦٩هـ(١٠٧٦م)، كما أنه أكثر النقل عن أحمد بن محمد الرازي المتوفى سنة ٣٤٤هـ(٩٥٥م) وغيرهم.

كتاب **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد التلمساني الشهير المقري المتوفى سنة ١٠١٤هـ(١٦٣١م)، ولد في تلمسان سنة (٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، ثم رحل إلى المشرق سنة (١٠٢٧هـ/١٦١٧م)، وزار مصر والحجاز ودمشق، ويعد هذا الكتاب ذو قيمة أدبية عالية رغم انتمائه إلى مؤلفات العصر الحديث، وذلك لاعتماده على جميع مؤرخي الأندلس خصوصا من فقدت مؤلفاتهم أو أجزاء منها، ويعد الكتاب موسوعة ضخمة حول الأندلس وتاريخها وجغرافيتها وآدابها، ولقد غطى الكتاب تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى السقوط.

كتاب **تقويم قرطبة** لعام (٣٥٠هـ/٩٦١م)، وهذا الكتاب هو ثمرة تعاون بين الطبيب عريب بن سعد المتوفى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧م) وربيع بن زيد الأسقف المتوفى سنة ٤٢٧هـ(١٠٣٦م)، ولقد وضع هذا الكتاب زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) بناءا على طلب من ولي العهد الحكم المستنصر، وهو كتاب هام حققه ونشره المستشرق الهولندي رينهارت دوزي، وتكمن أهمية الكتاب في احتوائه على مواقيت أعياد واحتفالات النصارى في الأندلس، كما أنه حوى زيج (جداول) لتحركات الأجرام السماوية والأفلاك، وأثر هذه التحركات على الأرض والمزروعات.

وتأتي كتب النوازل والأحكام الفقهية في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وذلك بما حوته من معلومات وإشارات حول أحكام أهل الذمة وفق الشريعة الإسلامية، كما أن كتب النوازل حوت العديد من القضايا الفقهية لذميين متخاصمين، وفصل فيها القضاء الإسلامي، ومن اشهرها كتاب **المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب**، لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤هـ(١٥٠٨م) وهو كتاب هام وجامع للعديد من تراجم علماء وفقهاء الأندلس والمغرب، ولقد حوى الكتاب العديد من القضايا والنوازل الفقهية ليهود ونصارى اختصموا إلى القضاء الإسلامي للفصل في خصوماتهم، ولقد أفاد البحث كثيرا من هذه النوازل بما حوته من إشارات اجتماعية واقتصادية وسياسة.

أما كتاب **أحكام أهل الذمة** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ(١٣٥٢م)، وهو مؤلف عظيم الفائدة، كثير المنفعة بما حوى من مبادئ وأحكام شرعية، وأصول نظر لها المشرع الإسلامي لأهل الذمة، وتكمن أهمية الكتاب في دقة معانيه وتأصيل أحكامه الشرعية وبيان ما للذميين من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه المجتمع الإسلامي.

وتعد **مخطوطة الأحكام الكبرى** لأبي اصبغ عيسى بن سهل الأسدي المتوفى سنة ٤٨٦هـ(١٠٩٣م) من المصادر القيمة في هذا المجال، ولقد أفاد البحث كثيرا من الجزء المحقق من المخطوطة بعنوان **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس** والذي حققه الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، ولقد ضم الكتاب العديد من قضايا أهل الذمة هناك ، كما تطرق المخطوط إلى قضايا اجتماعية لم يتطرق لها غيره كعمليات بيع وشراء الجواري من الذميين، دور اليهود كتجار للرقيق في أسواق النخاسة.

وتعد كتب التراجم في الدرجة الثالثة من الأهمية، ومنها كتاب **قضاة قرطبة**، لمحمد بن حارث الخشني المتوفى سنة ٣٦٠هـ(٩٧٠م) وهو أحد العلماء الأوائل الذين كتبوا في موضوع التراجم في الأندلس، وقد ألف هذا الكتاب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) بناءا على طلب من ولي العهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م)، ولقد قدم هذا الكتاب صورة حقيقية لبعض جوانب الحياة الاجتماعية في قرطبة في تلك الفترة.

و أفاد البحث من المعلومات الواردة في هذا الكتاب لاسيما مسألة وجود الجواري، وما تركته من آثار في المجتمع الأندلسي، وزود الدراسة بإشارات أثرت البحث عند الحديث عن انتشار اللغة الإسبانية بين مسلمي الأندلس.

و كتاب تاريخ علماء الأندلس لعبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي والمتوفى سنة ٤٠٣هـ(١٠١٢م)، والكتاب عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، تناول أخبارهم، وآثارهم ،وسيرهم، وأنسابهم، واستفاد الباحث من تلك المعلومات عند الحديث عن أولئك العلماء وعلاقاتهم بأهل الذمة في البلاد.

ملخص البحث

شغل أهل الذمة مكانة هامة في التاريخ الإسلامي، حيث ارتبط وجودهم بقيام الدولة الإسلامية، وتطوروا بتطورها، حتى كان لهم مساهماتهم الخاصة في بناء الحضارة الإسلامية العريقة، واعتبروا جزءا لا يتجزأ من كيان المجتمع الإسلامي، فكان لابد من التوقف عند هذه الفئة الاجتماعية، وإثارة العديد من التساؤلات حول ماهيتها، ونظرة الشريعة الإسلامية إلى هذه الطوائف الدينية، وكيف مارس أولئك الذميون أنشطتهم الاجتماعية والدينية في ظل الحكم الإسلامي؟ وأسئلة أخرى كانت مثار نقاش دائم بيني وبين أستاذي الدكتور صالح أبو دياك الذي شجعني مشكورا لسبر أغوار هذا الموضوع.

ولقد تم اختيار المجتمع الأندلسي في أزهى عصوره، خلال حكم الأمويين في قرطبة (١٣٨هـ-٤٢١هـ/٧٥٦م-١٠٣٠م) لدراسة أحوال الذميين هناك، ومن ثم الإجابة على هذه الأسئلة المثارة.

وتكونت هذه الرسالة من ستة فصول وخاتمة، اختص الفصل الأول بالتعريف بأهل الذمة لغة واصطلاحا، ومن ثم موقف الشريعة الإسلامية السمحة من أهل الذمة كطوائف عقائدية في المجتمع المسلم، ثم تحدثت عن سكان إسبانيا حتى عصر إمارة بني أمية (١٣٨هـ/٧٥٦م).

وتناول الفصل الثاني الدولة وأهل الذمة، الذي تطرقت فيه إلى موقف السلطة الحاكمة مع كل من رجال الدين والأماكن المقدسة، وتطرقت في الحديث إلى التنظيم الداخلي لكل من النصارى واليهود، والوظائف الرسمية التي شغلوها في بلاط الدولة الإسلامية آنذاك ،وأشرت إلى القضاء عند أهل الذمة في الأندلس وأجباسهم.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن الحياة الاجتماعية لأهل الذمة في الأندلس، مبرزا العلاقات الاجتماعية بين الذميين والمسلمين وما تخللها من صداقة وزواج مختلط، مع بيان مدى تأثر هذه العلاقات على كلا الجانبين، وفيما يخص الحياة الدينية عند أهل الذمة فقد ركزت على شعائرهم الدينية وعلى أعيادهم ومزاراتهم ، وفي نهاية الفصل تحدثت عن حركة اجتماعية دينية اجتاحت العاصمة الأندلسية(قرطبة) ، في الفترة ما بين (٢٣٦هـ-٢٣٨هـ/٨٥٠م-٨٥٢م) كادت أن تودي بحكم المسلمين هناك إلا أنها أخمدت، وعرفت هذه الحركة بفتنة المستعربين (حركة المنتحرين).

وتطرقت في الفصل الرابع إلى الحديث عن النشاط الاقتصادي لأهل الذمة في الأندلس، بمرافقه الثلاثة الزراعي، الصناعي، التجاري للذميين في المجتمع الأندلسي، والالتزامات المالية المفروضة عليهم.

وبينت في الفصل الخامس أوجه الحياة الثقافية والفكرية عند أهل الذمة في الأندلس، تحدثت فيه عن عوامل تطور الحياة الثقافية والفكرية في البلاد، ومن ثم مظاهر هذه الحياة عند أهل الذمة وتحدثت عن ثقافة المستعربين وأشرت إلى ازدواجية اللغة في المجتمع الأندلسي، وإلى الترجمة والتعلم والتعليم عند الذميين في الأندلس، وفي نهاية الفصل تحدثت عن أشهر علماء أهل الذمة وأطبائها.

ونوهت في الفصل السادس عن العلاقات الخارجية لدولة بني أمية في الأندلس مع الدول والممالك النصرانية المجاورة لها، وأثر هذه العلاقات الخارجية على واقع أهل الذمة في المجتمع وخرجت من هذه الدراسة بنتائج عديدة، لعل أهمها :

- أهل الذمة هم المعاهدون من أهل الكتاب من النصارى واليهود، ويلحق بهم السامرة والمجوس، وغير هؤلاء مشركون لا يجوز لهم عقد ذمة ولا عهد.
- يتم عقد الذمة بإيجاب وقبول ما بين إمام المسلمين — أو من ينوب عنه- وبين الذمي، وإذا ما صح العقد للذمي وجبت له حقوق مدنية، وترتبت عليه واجبات.
- حرص المشرع الإسلامي على الرفق بأهل الذمة، ومعاملتهم المعاملة الحسنة، وإن لا يكلفوا فوق طاقتهم، وذلك باتفاق العلماء والفقهاء.
- استقبل السكان الأسبان جيوش الفتح الإسلامي بالتأييد والمآزرة لتخليصهم من ظلم وجور القوطيين .
- عامل المسلمون أهل الذمة في الأندلس معاملة حسنة، قائمة على العدل والمساواة والتسامح الديني، فضمنوا لهم تنظيمهم الديني و الإداري وأماكنهم المقدسة، ولم يتعرضوا لها بالهدم أو التخريب.
- لعب العديد من النصارى واليهود دورا هاما في النشاط الدبلوماسي بين العاصمة المركزية قرطبة، والممالك الأخرى من خلال إرسالهم في سفارات رسمية وغير رسمية، أو عمل كمترجمين لسفراء تلك الدول إلى البلاط الحاكم في الأندلس.

واعتمدت هذه الدراسة أيضا على جملة من كتب المستشرقين الذين اهتموا بدراسة أخبار الذميين في الأندلس، كان أبرزها كتاب المستشرق الإسباني فرانسيسكو خافير سايمونت **تاريخ المستعربين في إسبانيا** (Historia de Los Mozarabe' de Espana) ، نشر هذا الكتاب في مدريد عام ١٨٩٧م، وهو من أهم الكتب الحديثة التي تحدثت عن المستعربين في الأندلس رغم احتوائه على أغاليط تعرض بحكم المسلمين في ايبيريا، وكتاب ليفي بروفنسال باللغة الفرنسية بعنوان **تاريخ أسبانية الإسلامية** (Histore de L'Espagne Musulmane) وهو مؤلف هام من ثلاثة أجزاء، ولقد أفاذ البحث في التعريف على أحوال أهل الذمة في الأندلس، حيث أفرد المؤلف العديد من صفحاته في الحديث عنهم.

كما استفاد الباحث من مراجع تناولت التاريخ العام الأندلسي منها كتاب **فجر الأندلس** لمؤلفه حسين مؤنس وكتابي عبد الرحمن علي حاجي **التاريخ الأندلسي وأندلسيات** (المجموعة الأولى والثانية) وكتاب **دولة الإسلام في الأندلس** لمحمد عبد الله عنان الذي يعد من أهم المراجع الحديثة في التاريخ الأندلسي العام، كما أفاد البحث من كتاب **الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس** للدكتور صالح محمد فياض أبو ذياك.

ومن كتب الأدب أعتمد الباحث على كتاب **تاريخ الأدب الأندلسي** (عصر سيادة قرطبة) لمؤلفه الدكتور إحسان عباس، وكتاب **الأدب الأندلسي** للدكتور أحمد هيكل.

وأسأل الله أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع وأن يتقبله خالصا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

التعريف بأهل الذمّة

- أهل الذمّة في اللغة.
- أهل الذمّة في الاصطلاح.
- موقف الشريعة الإسلامية من أهل الذمّة.
- سكان إسبانيا حتى عصر الإمارة

أهل الذمّة في اللغة

الأهل في اللّغة هم القرابة والعشيرة[1]، وأهل المذهب من يدين به وأهل الأمر ولاته، أمّا الذمّة فهي باللغة من الذمام والمذمّة، وهي بمعنى الحق والحرمة[2]، وجمعها أذمّة، وفلان له ذمّة أي له حق، قال الزبيدي: "الذمام هي كلُّ حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمّة" [3].

ومن الذمّة كذلك العهد والكفالة، وجمعها ذمام، ومنها قول الأخطل[4]:

فلا تُنشدونا مِن أخيكم ذِمامةً ويُسلم أصداءُ العويرِ كَفيلها[5]

وقيل في الذمّة الأمان، وسمي الذمي لأنه يدخل في أمان المسلمين[6]، وفي الحديث النبوي الشريف: "ويسعى بذمّتهم أدناهُم"[7] أي بأمانهم.

مما سبق نخلص إلى أن من معاني الذمّة في اللغة:

١. الحق والحرمة

٢. العهد والكفالة.

٣. الأمان.

---

(1) ابن منظور: - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، ت(٧١١هـ)، لسان العرب، ط(٣)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣م، جـ(١)، ص(٢٥٣) وسيشار إليه ابن منظور، لسان العرب.

(2) الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، ت(١٩١١م)، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، جـ(٤)، ص(١١٥) وسيشار إليه الفيروز أبادي، القاموس المحيط. الرازي: - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت(٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧ ص(٢٣). وسيشار إليه الرازي، مختار الصحاح.

(3) الزبيدي: مجد الدين أبو الفيض محمد مرتضى، ت(١٢١٣هـ)، تاج العروس وجواهر القاموس، دار ليبيا للنشر، بنغازي، جـ(٨)، ص(٣٠١). وسيشار إليه الزبيدي، تاج العروس.

(4) هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت، من كبار شعراء العصر الأموي، يعود نسبه إلى قبيلة تغلب، نصراني النحلة، توفي سنة (٩٢هـ). انظر الجمحي: محمد بن سلام ت(٢١٣هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، السفر الأول، ص(٢٩٨). وسيشار إليه الجمحي، طبقات فحول الشعراء. القرشي: أبو زيد محمد ابن أبي الخطاب، ت(٣١٠هـ)، جمهرة أشعار العرب، تحقيق محمد علي، دار القلم، دمشق، جـ(٢)، ص(٩٠٩). وسيشار إليه القرشي، جمهرة أشعار العرب.

(5) الأخطل: أبو مالك غياث بن غوث، ت(٩٢هـ)، الديوان، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الأصمعي، حلب، جـ(٢)، ص(٦٢٧). سيشار إليه الأخطل، الديوان.

(6) الزبيدي، المصدر السابق، جـ(٨)، ص(٣٠١).

(7) حديث صحيح انظر البخاري: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم، ت(٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، القاهرة، جـ(٨)، ص(١٩٥). وسيشار إليه البخاري، الجامع الصحيح.

أهل الذمّة في الاصطلاح

أهل الذمّة في الاصطلاح هم أهل الكتاب، وهم النصارى واليهود ومن اتخذ كتاباً[1] سماوياً كالسامرة[2]، وذلك لقوله تعالى ﴿قاتِلوا الذينَ لا يُؤمِنونَ باللهِ ولا باليومِ الآخرِ ولا يُحرّمونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُه ولا يَدينونَ دينَ الحقِّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهُم صاغِرون﴾ [3].

ويلحق بأهل الذمّة المجوس[4] لقول النبي ﷺ :"سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب "[5] وذلك في أخذ الجزية[6] فقط ، ولا تجري عليهم أحكام أهل الذمّة في المناكحة والذبائح[7].

---

[1] ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، ت(٦٢٠هـ)، **المغني**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م، جـ(١٠)، ص(٩٧٧). وسيشار إليه ابن قدامة، المغني. الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، ت(٩٩٧هـ)، **الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، دار المعرفة، بيروت، جـ(٢)، ص(٢٢٢)، وسيشار إليه الشربيني، الإقناع.

[2] السامرة : قوم يسكنون بيت المقدس وقراها، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون -عليهم السلام- وأنكروا نبوة من جاء بعدهم رأساً إلا نبياً واحداً يأتي بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ويحكم بحكمه. انظر الشهرستاني: أبو الفتح عبد الكريم، ت(٥٤٨هـ)، **كتاب الملل والنحل**، مكتبة المثنى، بغداد، جـ(٢)، ص(٥٨-٥٩)، وسيشار إليه الشهرستاني، الملل والنحل. المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح، ت(٧٦٣هـ)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط(٣)، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص(٤٣)، وسيشار إليه للمقدسي، أحسن التقاسيم.

[3] التوبة، آية (٢٩).

[4] المقدسي: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد، ت(٦٨٢هـ)، **الشرح الكبير**، دار الفكر، بيروت ١٩٨٤م، جـ(١٠)، ص(٥٧٧). وسيشار إليه المقدسي الشرح الكبير. والمجوس قوم يعظمون الأنوار والنيران، ويدّعون نبوة زراداشت، وهم فرق شتى، منهم المزدكيّة أصحاب مزدك وهؤلاء يرون الإشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك الناس في الهواء والماء، ومنهم الخرّمية أصحاب بابك الخرّمي وهم لا يقرّون بخالق ولا ميعاد ولا نبوة ولا حرام ولا حلال. انظر ابن قيّم الجوزيّة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت(٧٥١هـ) **إغاثة اللهفان من حكم طلاق الغضبان**، تحقيق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، جـ(٢)، ص(٢٤٧-٢٤٨)، وسيشار إليه ابن قيّم الجوزيّة، اغاثة اللهفان. البغدادي : عبد القاهر بن طاهر، ت(٤٢٩هـ). **الفرقُ بين الفِرَق**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي،دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧م، ص(٢٥١-٢٥٣) وسيشار إليه البغدادي، الفَرقُ بين الفِرَق.

[5] حديث صحيح انظر مالك بن أنس: أبو عبد الله الأصبحي، ت(١٧٩هـ)، **الموطأ**، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، جـ(١)، ص(٢٨٨). وسيشار إليه مالك بن أنس، الموطأ.

[6] الجزية في اللغة من جزى الشيء أي كفاه، وأجزى الأمر عنه أي قام مقامه وأغنى عنه، والجزية ما يؤخذ من الذمّي، وسميت بذلك للاجتزاء بها عن حقن دمائهم. انظر ابن منظور، لسان العرب، جـ(٢)، ص(٢٨٠-٢٨١). الفيروز ابادي، **القاموس المحيط**، جـ(٤)، ص(٣١٤). لويس معروف، المنجد، المكتبة والمطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٩٥٦م، ص(٩٠)، وسيشار إليه لويس معروف، المنجد.

[7] يقول القاضي أبو يوسف: "صالح رسول الله ﷺ مجوس أهل هجر على أن يؤخذ منهم الجزية، غير مستحلا مناكحة -

مما سبق، نجد أن أهلَ الذمّة هم المعاهدون من أهل الكتاب من النصارى واليهود والسامرة والمجوس "وغير هؤلاء ممن لا كتاب لهم كالمشركين وعَبَدَةِ الأوثانِ ومَن أظهر الزندقة والإلحاد، فلا يجوز لهم عقد ذمّة، ولا يُقرون على ماهم عليه، ولا يقبل منهم غير الإسلام"[1].

موقف الشريعة الإسلامية من أهل الذمّة

فيما يلي أعرض موجزاً لنظرة فقهاء وعلماء السياسة الشرعية بخصوص أهل الذمّة، وذلك من خلال عرض مجموعة من القواعد والأحكام الشرعيّة، والهدف منها بيان مكانة أهل الذمّة في المجتمع الاسلامي، إضافة الى مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه المجتمع.

وقبل الخوض في هذه القواعد والأحكام، يجدر بي الاشارة الى قضية هامة أغفلها العديد من المؤرخين والمفكّرين المحدثّين، وهذه القضية هي الاختلاف و التباين الواضح بين ما نظّر فيه الفقهاء والعلماء المسلمون في هذه القواعد والأحكام من مُثل عليا وآمال كبرى، وبين واقع أهل الذمّة في المجتمع الاسلامي من جهة أخرى ، فحقيقة الأمر أن أحوال الذمّيين والمعاهدين - بصورة إجمالية- لم تكن بدرجة هذا السوء الذي افترضته قواعد أحكام الفقهاء وإن وجدت حالات سيئة، وفي الوقت ذاته لم تكن أحوال المسلمين وأوضاعهم – بصورة إجمالية- بمثل هذه الأفضلية والمثالية التي افترضتها القواعد والأحكام ذاتها وإن تميّز البعض منهم، من هنا فإن الكثير من هذه القواعد والأحكام الشرعية تعبر عن أماني وطموح مؤلفيها للواقع العملي في المجتمع الإسلامي، وليست الصورة الحية لهذا الواقع.

شرع عقد الذمّة في السنة التاسعة من الهجرة، وذلك حين نزلت آية الذمّة[2] والمتضمّنة عقد

– نسائهم، ولا أكل ذبائحهم" أنظر أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم القاضي،ت(١٣٨هـ)، كتاب الخراج، دار المعرفة للنشر، بيروت، ص(١٢٩). وسيشار إليه أبو يوسف، الخراج.

(١) الشيزري: عبد الرحمن بن نصر، ت(٥٨٩)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ص(١٠٦). وسيشار إليه الشيزري، نهاية الرتبة.

(٢) التوبة، آية (٢٩). وللمزيد من التفاصيل انظر القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت(٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، جـ(٨)، ص(١٠٩-١١٦). وسيشار إليه القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، ت(١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، جـ(٥)، ص(٧٧-٨٠). وسيشار إليه الألوسي، روح المعاني.

الجزية، وكان ذلك بعد فتح مكة[1] ، وأمّا الحكمة من مشروعيّة هذا العقد فهي ترك منازعة غير المسلمين من أصحاب الكتب السماوية الأخرى وما يعتقدون، والتعامل معهم بالحسنى والموعظة والكلمة الحسنة أملاً في اسلامهم، وطمعاً في إيمانهم[2].

وأول من عقد لهم عهد ذمّة هم نصارى نجران، فلقد روى أبو عبيد في كتابه الأموال :" أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران وكانوا نصارى"[3].

ويتم عقد الذمّة من خلال ايجاب وقبول ما بين الإمام — أو من ينوب عنه — وبين أهل الذمّة[4]، من ذلك عهد الذمّة وكتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى[5] الى تدمير ابن عبدوش[6] (Teodomiro of Ergbado) نيابةً عن والده موسى بن نصير اللخمي[7]

---

(1) البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، ت(٢٩٩هـ)، فتوح البلدان، ط(١)، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص(٤٩) وسيشار إليه البلاذري، فتوح البلدان. القزويني : زكريا بن محمد بن محمود، ت(١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص (١٢٦). وسيشار إليه القزويني، آثار البلاد.

(2) الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود، ت(٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، تحقيق علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ(٩)، ص(٤٣٣)، وسيشار إليه الكاساني، وبدائع الصنائع.
Anwerg. Chejne, Muslim Spain, U.S.A., The Minnesota Press, 1974, P(145).
وسيشار إليه Chejne, Muslim Spain.

(3) أبو عبيد: القاسم بن سلام الطروي، ت(٢٢٤هـ)، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩م، ص(١٠٠). وسيشار إليه أبو عبيد، الأموال. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، ت(١٢٥٥هـ)، **نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار**، دار الفكر، بيروت، جـ(٨)، ص(٢١٤). وسيشار إليه الشوكاني، نيل الأوطار.

(4) **وفي ذلك يقول ابن قدامة :" لا نعلم فيه خلافاً"** انظر ابن قدامه، المغني، جـ(١٠)، ص(٥٦٩).

(5) هو عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي، والى الأندلس في عهد أبيه، وكان قد تزوج من أرملة لوذريق (Lodrigo)، ولقد ثار عليه جماعة من الجند على رأسهم زياد بن النابغة التميمي، وقتلوه وخرجوا برأسه إلى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ. انظر الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الفتوح بن عبد الله، ت(٤٨٨هـ)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، ط(٢)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩، جـ(١)، ص(٣٣)، وسيشار إليه الحميدي، جذوة المقتبس.

(6) تدمير ابن عبدوش صاحب مدينة مرسية، والتي دُعيت قديماً بـ(أريولة) ومن ثم سُميّت مدينة تدمير. انظر ج.م. ر الاس هارديل، **أوروبا في صدر العصور الوسطى**، ط(١)، تعريب حياة ناصر حجى، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٧٩. وسيشار إليه هارديل، أوروبا في صدور العصور الوسطى.

(7) هو أبو عبد الرحمن اللخمي مولى لبني أمية، كان أعرجاً ،مهيباً، ذا رأي وحزم، روى عن تميم الداري، كانت له اليد الطولى في فتح الأندلس. أنظر الضبي : أحمد بن يحي بن أحمد بن عمير، ت (٥٩٩هـ)، **بغية الملتمس في تاريخ**=

(٩٤هـ/٧١٣م) - انظر الملحق رقم (١) — وكذلك العهد الذي كتبه موسى إلى أهل[1] مارده[2] (Merida)، ولا يجيز الشرع الحنيف لأحد من المسلمين دون الإمام أن يعقد لأهل الذمّة، والسبب في ذلك أن هذا العقد هو عقد تأبيد ودوام ولا رجعة فيه سوى الإخلال بشروطه أو إسلام الذمي، كما أنه عقد ملزم للأمة بالتزام إمامها به.

وإذا ما أراد نصراني أو يهودي أن يُعقد له عقد ذمّة، وطلب ذلك من الإمام، فعلى الأخير أن يجيبه إلى مطلبه لما فيه من خير وصلاح يُرجى للذمي[3].

ويشترط لعقد الذمّة مع غير المسلم أن يلتزم بأمرين هما :

أولاً: الالتزام بأحكام الملة الإسلامية في المعاملات المالية، وفي العقوبات والحدود الشرعية، حيث أن العقد لا يُجيز لهم المعاملات المحظورة كالربا، والغش، والتزوير، وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا ما فعلوا ذلك، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه رجم يهوديين حتى الموت بعد أن زنيا وهما محصنان [4].

ثانياً : الإقرار بدفع الجزية[5]، والتي تجب على الذمي بتوفير ثلاثة شروط هي : الذكورة، والبلوغ، والحريّة[6]، حيث أنها لا تؤخذ من النساء ولا من الصبيان دون البلوغ، ولا

= رجال الأندلس، ط(١) تحقيق إبراهيم الأبياري، مكتبة الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م، جـ(٢)، ص(٢٩). وسيشار إليه الضبي، بغية الملتمس.

[1] حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، ط(٢)، الدار السعودية، جدة، ١٩٨٥م، ص(٤٤٢) وسيشار إليه مؤنس، فجر الأندلس.

[2] مارده : كورة واسعة من نواحي الأندلس، وهي من أعمال قرطبة، وهي مدينة رائعة كثيرة الرخام، عالية البنيان، فيها أثار قديمة حسنة تقصد للفرجة والتعجب. أنظر ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله، ت(٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**،دار صادر، بيروت، جـ(٥)، ص(٣٨-٣٩). وسيشار إليه، ياقوت الحموي، معجم البلدان.

[3] عبد الكريم زيدان، **أحكام الذمّيين والمستأمنين**، بغداد، مكتبة القدس، ص(٣٠). وسيشار إليه زيدان، أحكام الذمّيين.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، جـ(٨)، ص(٢١٤).

[5] الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد حبيب، ت(٤٥٠هـ)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت ص(١٨٢). وسيشار إليه الماوردي، الأحكام السلطانية. مالك بن أنس، **الموطأ**، جـ(١)، ص(٢٩٠).

[6] الشيخ الدردير: أبو بركات أحمد بن محمد، ت(١٧٨٦م)، **أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك والشرح عليه**، تحقيق مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ(٢)، ص(٣٠٨-٣٠٩). وسيشار إليه الشيخ الدردير، أقرب المسالك. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، ت(٤٦٣هـ) كتاب =

من عبيد[1].

وأمّا المجانين والمقعدين والرهبان وأهل الصوامع الذين لا يختلطون بعامّة المسلمين فقد اختلف في أمرهم الفقهاء، فمنهم من اعتبر الجزية هي دَيناً عليهم يُلزموا بسدادها متى ما تيسر لهم السداد، وهناك من أسقطها عنهم[2].

وتسقط الجزية عن الذمي بأحد أمرين : الوفاة، أو الإسلام لقول ابن عباس.:" ليس على المسلم جزية"[3].

وحول مقدار الجزية فالقول عند الجمهور إنما مسألة إجتهادية[4] ترجع إلى نظر الإمام في أحوال أهل الذمّة وفي مكاسبهم، ولكن يشترط بها أن لا تقل عن الدينار الواحد، وذلك لفعل الرسول ﷺ " أنه ضرب على نصراني بمكة ديناراً" [5] ولم يرد عنه أنه ضرب بأقل من ذلك، ويقول أبو الحسن الماوردي :" أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدّر بالإجتهاد"[6].

- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ط(١)، تحقيق محمد ولد ماديك الموريتاني،مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ، ١٩٧٨م، جـ(١)، ص(٤٧٩). وسيشار إليه ابن عبد البر، الكافي.

(١) ابن القيم الجوزيّة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت(٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمّة، ط(١)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١م، جـ(١)، ص(٥٥). وسيشار إليه بن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمّة.

(٢) قدامة بن جعفر ، ت(٣٢٩هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

(٣) الشوكاني : محمد بن علي بن محمد، ت(١٢٥٥هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ط(١)، تحقيق سيد بن إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٣، جـ(٢)، ص(٤٤٨). وسيشار إليه الشوكاني، فتح القدير.

(٤) ابن القيم ، أحكام أهل الذمّة، جـ(١)، ص(١٠٠-١٠١). قدامة بن جعفر، الخراج، ص(٢٢٦).

(٥) الشربيني، الإقناع، جـ(٢)، ص(٢٢٣). الشوكاني، نيل الأوطار، جـ(٨)، ص(٢١٥).

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص(١٨١). ولقد حدد عمر بن الخطاب الجزية على ثلاث طبقات، حق الغني الموسر ثمانية وأربعين درهماً، وحق المتوسط أربعة وعشرين درهماً، والفقير المعيل اثنى عشر درهماً. أنظر أبو يوسف، الخراج، ص(١٢٢).

S.M.Imamuddin, Apolitical History Of Muslim Spain, Dacca Najmah Sons, 1991, P(29).

وسيشار إليه S.M.Imamuddin, Apolitical History

ويرى المالكية أن أكثرها محدد بأربعة دنانير إن كان من أهل الذهب[1]، وأربعين درهماً إن كان من أهل الورق[2]، وكانت الجزية في الأندلس تقدر بثلاثة أصناف يؤخذ من الفقير المعيل ديناراً، ومن المتوسط ديناران، ومن الغني أربعة دنانير[3] وتؤخذ منهم في آخر كل حول[4] وليست في أوله.

وتؤخذ الجزية إما مالاً أو عيناً، وفق ما هو متوفر، ولقد ورد عن معاذ بن جبل ان الرسول ﷺ بعثه الى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معافر[5]، وروي عن علي بن ابي طالب – كرم الله وجهه – أنه كان يأخذ من كل ذي صنعة من صنعته، فمن صاحب الإبر إبراً، ومن صاحب الحبال حبالاً، ولا تؤخذ الجزية مّما حرم الله من الميتة والخنازير والخمر، حيث نهى عمر بن الخطاب ﷺ عن التعامل في هذه الأصناف وقال :" ولّوها الى أربابها –أصحابها– فليبيعوها وخذوا منهم أثمانها"[6].

ويجوز للإمام أن يشترط في عقد الذمّة ضيافة من يمر بهم من المسلمين، وأن يبيّن الإمام في العقد عدد أيام الضيافة، وقدر الطعام، وعلف الدواب[7]، ولقد صالح عمر نصارى الشام على ضيافة من يمر بهم ثلاثة أيام مما يأكلون ولا يكلفون ذبح شاة أو دجاجة، وتبيت دوابهم من غير شعير، وروى أن النبي ﷺ ضرب على أهل أيله[8] من النصارى أن يضيفوا من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام[9].

---

(1) الشيخ الدردير، أقرب المسالك، جـ(٢)، ص(٣١٠-٣١١). ابن عبدالبر، الكافي، جـ(١)، ص(٤٩٧).

(2) الورق هي دراهم الفضة المضروبة، أنظر الرازي، **مختار الصحاح**، ص(٧١٧). ويقصد بأهل الذهب هم أهل بلاد الشام ومصر وأفريقية والأندلس ممن تعاملوا بالدنانير الرومانية، وأما أهل الورق فهم أهل العراق وفارس وخرسان والمشرق الإسلامي ممن تعاملوا بدراهم الفرس.

(3) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص(١٠٧).

(4) الحول هو السنة الهلالية المعتبرة في الآحال الشرعية كالزكاة والخراج، أنظر الماوردي، **المصدر السابق**، ص(١٨٥).

(5) معافر : اسم قبيلة في اليمن، وبها سميت الثياب المعافرية، أنظر أبو عبيد، **الأموال**، ص(١٠٠). الشوكاني، **نيل الأوطار**، جـ(٨)، ص(٢١٦).

(6) أبو يوسف، **الخراج**، ص(١٢٦).

(7) الماوردي، **المصدر السابق**، ص(١٨٤).

(8) أيله : مدينة على ساحل بحر القُلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة صغيرة عامرة وبها زرعٌ يسير، وسميت بأيله بنت مدين بن إبراهيم –عليه السلام–. أنظر ياقوت الحموي. **معجم البلدان**، جـ(١)، ص(٢٩٢-٢٩٣).

(9) البلاذري، **فتوح البدان**، ص(٧١).

وإذا ما تم كتابة عقد الذمّة، أصبح للذمّي حقوق، وترتبت عليه واجبات[1]، ومن أهم حقوق أهل الذمّة التي صالها المسلمون، وتعهدوا لهم بها الحريّة الشخصيّة في التنقل والترحال، وضمان الأمن والاستقرار، ومن حقوقهم المصونة أيضاً حرمة مساكنهم، ودمائهم، وأعراضهم، وأموالهم[2]، وكذلك حرية العقيدة- ضمن شروط يتفق عليها- وكذلك لهم حرية الرأي، والإجتماع، والتعليم ضمن حدود القانون الإسلامي كما أن لهم حق التمتع بمرافق الدولة، وفي القضاء بينهم، وإذا ما تحاكموا الى قضاة المسلمين أو كان أحد المتخاصمين مسلماً أجري عليهم أحكام الإسلام، ومن حقهم كذلك إقامة قاضٍ منهم، وعلى نهجهم، وشريعتهم للفصل فيما شجر بينهم من خلاف[3].

وأما عن واجبات أهل الذمّة فمنها عدم ذكر الله-عز وجل- ولا الرسول الكريم بطعن ولا بشتم أو قدح[4]، وأن لا يفتنوا مسلماً بدينه، ولا يصيبوا مسلمة بزنا، ولا يذكروها بنكاح[5]. وكذلك فليس لهم أن يعينوا أهل الحرب والبغي[6] على الإمام[7].

ومن الواجبات المستحبة على أهل الذمّة تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشدّ الزنار، وجز الناصية، وليس لهم أن يعلو المسلمين في الأبنية، وأن لا يجهروا بشرب الخمر، ولا بإظهار الخنازير[8]، ويمنع الذمّيون من إحداث كنائس وبيع وشنوغات[9] إلا ما تصالحوا عليها مع الإمام.

---

(1) زيدان، أحكام الذمّيين، ص(٧٧-١٠٢).

(2) ابن قدامة، المغني، جـ(١٠)، ص(٦١٣). المقدسي، الشرح الكبير، جـ(١٠)، ص(٦١٩).

(3) ابن تيميه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، ت(٧٢٨هـ) **الفتاوي الكبرى**، ط(١)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ(٥)، ص(٥٤٥). وسيشار إليه ابن تيميه، الفتاوي الكبرى.

(4) يقول ابن تيمية :" وسابُّ الرسول يُقتل ولو أسلم" انظر ابن تيمية : تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (٧٢٨هـ)، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق محمد بن عبد الله حلواني ومحمد كبير أحمد شودري، مجلد (١)، ص(٢٤٤)، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م، ص(٧١). وسيشار إليه ابن تيمية، الصارم المسلول.

(5) الشوكاني، **نيل الأوطار**، جـ(٨)، ص(٢٢٢). أبو عبيد، **الأموال**، ص(٢٧٣).

(6) البغي: التعدي، وبغى عليه واستطال عليه، وبغى ضالته أي طلبها، وكل طلبه بغاء، انظر الفيروز أبـادي، **القاموس المحيط**، جـ(٤)، ص(٣٠٣).

(7) ابن عبد البر، **الكافي**، جـ(١)، ص(٤٦٦). زيدان، **المصدر السابق**، ص(٢٣٥).

(8) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص(١٨٥). الشربيني، **الإقناع**، جـ(٢)، ص(٢٢٦-٢٢٧) المقدسي، المصدر السابق، جـ(١٠)، ص(٦٠٤-٦٠٧). الشيخ الدردير، أقرب المسالك، جـ(٢)، ص(٣١٥-٣١٧).

(9) ومفردها شنوغة أو شنوعة، وهي كنيس العبادة عند اليهود، وهـي مشتقة من (Sunagoga) وفي القشتالية (Sinoga) انظر عبادة كحيلة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص(٤٧)=

أما في القرى التي لا يسكنها المسلمون فلا ضرر من إحداث كنائس وبيع لهم فيها[1]، وكذلك يمنعون من الإقامة في جزيرة العرب والحجاز[2].

أما عن أحكام أهل الذمّة في المجتمع المسلم فهي كثيرة، متشعبة، تمس جميع نواحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية، ولا يتسع المقام لحصر جميع هذه الأحكام، والحديث عنها.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، أجازت الشريعة السمحاء تهنئة الذمي بأفراحه كالزواج والنجاح وغيره، كما أنها أجازت مشاركته بأحزانه[3]، وعيادة المسلم له في مرضه، والدعاء له بالهداية والشفاء[4]، وأمّا ديّة من قُتل منهم خطأً، فهي بمقدار ديّة المسلم بدليل قوله تعالى:﴿ وإن كَانَ مِن قومٍ بينكَم وبينهم ميثاق فَديةٌ مُسلّمَةٌ إلى أهلهِ وتَحريرُ رَقبةٍ ﴾[5]. كما وأجمع الفقهاء على جواز الأكل من ذبائح أهل الذمّة دون المجوس منهم، ومناكحة نسائهم[6].

ولقد حذّر المشرّع من تعيين الذمي في الولايات الإسلامية العامة كالخلافة ووزارة التفويض، وقيادة المقاتلة، التي يشترط فيمن يتولاها الإسلام[7]، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ يأَيُّها الذينَ آمنُوا لا تَتخِذوا اليهودَ والنصارى أولياء بَعضُهم أولياءُ بَعض، ومَن يَتولّهم مِنكُم فإنّه مِنهُم ﴾[8].

= وسيشار إليه كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس.

Cecil Roth, Encyclopedia Judica, Jerusalem, Keter Publishing house L.t.d, 1978, Vol(15), P.P(579-629).

وسيشار إليه Roth, Encyclopedia, Judica.

(1) الكساني، بدائع الصنائع، جـ(٩)، ص(٤٥٠). أبو عبيد، الأموال، ص(١٧٦).

(2) عن ابن عباس –رضي الله عنه –قال:"اشتد برسول اللهﷺ وجعه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث: (منها) أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" حديث صحيح انظر البخاري، الجامع الصحيح، جـ(٤)، ص(٨٥).

(3) ابن القيم، أحكام أهل الذمّة، جـ(١)، ص(٢٠٦-٢٠٧).

(4) ابن تيمية، الفتاوي الكبرى، جـ(٥)، ص(٥٤٥) ومن أدلة جواز عيادة الذمّي فعلُ الرسول ﷺ عندما قام بزيارة جاره اليهودي عندما علم بمرضه، ودعائه له بالهداية حتى أجابه الأخير بالإسلام. انظر النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، ت(٦٧٦هـ). رياض الصالحين، تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف، دار الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ص(٣٠١). وسيشار إليه النووي، رياض الصالحين.

(5) النساء، آية (٩٢).

(6) ابن عبد البر، الكافي، جـ (١)، ص (٤٧١-٤٧٢).

(7) ابن خلدون: ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن الحضري، ت(٧٥١هـ)، المقدمة، ط(٣)، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٤١٠هـ. وسيشار إليه ابن خلدون، المقدمة. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص(٦،٢٨).

(8) المائدة، آية (٥١).

في حين أجاز الفقهاء استعمال الذميين في الأعمال دون الولايات العامة، بدليل استعمال الرسول ﷺ أسرى بدر من المشركين في تعليم أبناء المسلمين الكتابة[1] هذا وهم مشركون وكافرون فما بال المعاهدين والذميّن، كما وأن التاريخ على اختلاف عصوره ودوله حافل بالشواهد على تعيين الذميين من ذوي الكفاءة والقدرة في إدارة شؤون الدولة[2].

ولقد حرص المشرع الإسلامي على الرفق بأهل الذمّة، ومعاملتهم المعاملة الحسنة[3]، وأن لا يكلِّف أحدهم فوق طاقته، وذلك لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال :" من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه"[4]. وكان مما تكلم به عمر بن الخطاب ﷺ عند وفاته :" أوصي الخليفة من بعدي بذمّة رسول الله، أن يوف إليهم بعهدهم، وأن يُقاتَل مِن ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"[5].

وأخيراً، فإنّه على الإمام إذا ما عقد مع غير المسلم عقد ذمّة أن يكتب اسمه، وصفاته، وخلاله، وما يمتاز به عن غيره من ملامح وفوراق خَلقيّة، وذلك توثيقاً لحقوق الذمي من الضياع أو الإنتقاص، كما وعليه أن يُبلغهُ مأمنه، ويحفظ له ماله دون انتقاص.

سكان إسبانيا حتى عصر الإمارة

يقسم المؤرخون المحدثون[6] هذه الحقبة الزمنية من تاريخ إسبانيا إلى ثلاثة عصور هي:

---

(1) ابن كثير : أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر بن ضوء بن ضرع القيسي القرشي الدمشقي، ت(٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق صدقي جميل العطار،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤ م، جـ(٣)، ص(٩٩)، وسيشار إليه ابن كثير، البداية والنهاية.

(2) زيدان، **أحكام الذمّيين**، ص(٧٩-٨٣).

(3) أبو يوسف، **الخراج**، ص(١٢٦).

(4) حديث صحيح انظر أبو داود: الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، ت(٢٧٥هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق عادل السيد، دار الحديث، بيروت، ١٩٧١م، جـ(٣)، ص(٤٣٧). وسيشار إليه أبو داود، السنن الكبرى.

(5) ابن الجوزي: أبو عمر عبد الرحمن بن علي بن محمد ت(٥٩٧هـ)، **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ط(٢) تحقيق زينب ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ص(٢٢٨). وسيشار إليه ابن الجوزي، مناقب عمر.

(6) محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط(٣)، مطبعة مدني، القاهرة، ١٩٨٨م، العصر الأول، القسم الأول، ص(١٤ وما يليها). وسيشار إليه عنان، دولة الإسلام في الأندلس. شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، جـ(١)، ص(٢٤٦-٢٤٧). وسيشار إليه أرسلان، الحلل السندسية. عبد الرحمن علي حاجي. **التاريخ الأندلسي منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار العلم، دمشق، ص(١١). وسيشار إليه حاجي، التاريخ الأندلسي.

أ. ما قبل الفتح الإسلامي ~- ٩٢ هـ(~ -٧١١م).

ب. الفتح الإسلامي للبلاد ٩٢هـ-٩٥هـ(٧١١م-٧١٤م).

جـ. عصر الولاة ٩٥هـ-١٣٨هـ (٧١٤م-٧٥٦م).

وفيما يلي عرض موجز حول واقع سكان البلاد خلال هذه العصور.

أ. ما قبل الفتح الإسلامي ~-٩٢هـ (~-٧١١م).

خضعت شبه الجزيرة الإيبرية[1]- أنظر ملحق (٢)-(Iberian Peninsula) إلي حكم عدة دول خلال هذه الحقبة الزمنية[2]، ففي القرن الخامس الميلادي، وبعد أن كانت إيبرية إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية الغربية، نجدها تتعرض إلي هجمات القبائل الجرمانية المتبربرة[3]، و التي تمكنت من اجتياح أراضي الإمبراطورية الغربية وإسقاطها نهائياً عام (٤٧٦م)،وكان ذلك بعزل آخر الأباطرة عنها وهو الإمبراطور روملوس (Romulus) [4].

---

[1] تقع شبه الجزيرة الإيبرية في جنوب غرب أوروبا، يحدها من الشرق البحر المتوسط، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ويفصلها عن فرنسا شمالا جبال البرت أو البرتات (pirineos) وعن المغرب العربي يفصلها جنوبا مضيق جبل طارق (gibarltar) . ولمزيد من التفاصيل أنظر ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ(١) ، ص(٢٦٢-٢٦٤). ابن خرداذبة: ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت(٣٠٠هـ)، **المسالك و الممالك**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص(٨٩-٩٠). وسيشار إليه ابن خرداذبة، المسلك.و الممالك.

[2] محمد عبده حتامله، **إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين**، وزارة الثقافة، عمان ،١٩٩٦م، ص(١٩٢). وسيشار إليه حتامله، إيبريا.

[3] القبائل الجرمانية هي قبائل همجية ، بدائية، موطنهم الأصلي شبه جزيرة اسكندنافيا في أقصى الشمال الأوروبي، وتعتبر الأسرة عندهم الوحدة الأساسيةفي تكوينهم القبلي، ومن هذه القبائل- على سبيل المثال لا الحصر- البوغونيون(Burgondes) والفرنجة(Franks)والاستروغوط-القوط الشرقيون(Cstrogoths) والفيزيقوط -القوط الغربيّون-(visigoths)وللمزيد أنظر إدوارد بروي، **تاريخ الحضارات العام**،ط(٣)،تعريب أسعد داغر، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٤م، جـ(٣)، ص(١٨). وسيشار إليه بروي، تاريخ الحضارات العام. جوزيف نسيم، **تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها**، موسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص(٦٩-٩٣).وسيشار إليه نسيم، تاريخ العصور الوسطى. ج.ج كولستون، **عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة**، تعريب جوزيف نسيم، موسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،١٩٨٣م، ص(٣٦)وسيشار إليه كولوستون، عالم العصور الوسطى.

[4] هو الإمبراطور روملوس أوغسطولوس (Romulus Augustus) الذي عزل على يد القائد القوطي أدواكر(Odaacer) عن عرش روما، وأرسل شارات الحكم إلى الإمبراطور البيزنطي زينو(Zeno) في القسطنطينية كعلامة على سقوط الجزء الغربي من الإمبروطرية. أنظر الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت(٨٦٦هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط(٢)، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٤م، ص(٦) =

احتل الوندال[1] (Vandal) الجزيرة الإيبرية على يد مليكهم جنصريك(Geneserico) سنة (٤١١م)، واستمر حكمهم بها حتى عام (٤٢٩م)، حيث طردوا منها على يد القوط الغربيين(Visigoths) إلى الجنوب، واضطروهم إلى عبور البحر المتوسط إلى الشمال الإفريقي من هنا سمي الجنوب الإسباني باسمهم وندلوسيا[2] (Vanalusia)، والتي حرفها العرب بعد ذلك إلى الأندلس.

امتد نفوذ القوط الغربيين في إيبيريا وغالة- فرنسا حالياً- على يد الملك إيوريك[3] (Euric) (٤٦٧-٤٨٤م)، المؤسس الحقيقي لدولتهم، واتخذوا من طليطلة[4] (Toledo) عاصمة ومركزاً لحكمهم، ولقد أستبد القوط في حكم البلاد، وساسوا الشعب سياسة لا هوادة فيها ولا رحمة، فعاني سكان البلاد- والذين تكونوا من بقايا الرومان والوندال- من الاضطراب والفوضى، وفرض الحكام الجدد قيود الرق ورسوم التبعية على السكان وذلك بهدف منع الثورات ضد حكمهم،

= وسيشار إليه الحميري، الروض المعطار. نسيم، المصدر السابق،ص (٢٩)

J.N.Hillgarth Visigothic Spain, Byzantium and The Irish, London, Variorum Reprint, 1985, P(7).

وسيشار إليه Hiugarth, Visigothic Spain

[1] محمد مرسي الشيخ، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، موسسة المعرفة الجامعية، الإسكندرية ص(٩٦). وسيشار إليه مرسي الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، نسيم، **تاريخ العصور الوسطى**، ص(٦٨).

[2] البكري : أبو عبيد بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو، ت(٤٨٧هـ)، **جغرافية الأندلس وأوروبا منتخبة من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن علي الحاجي ،دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨م، ص(٨٥). وسيشار إليه البكري، جغرافية الأندلس. المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، ت(١٠٤١هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٨٨م، جـ(١)، ص(١٢٥). وسيشار إليه المقري، نفح الطيب. حسن مؤنس، **معالم تاريخ المغرب**، ط(١)، دار المستقبل، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص(٢٩). وسيشار إليه مؤنس، معالم تاريخ المغرب.

[3] إيوريك هو سابع الحكام الذين حكموا القوط الغربيين، حكم في الفترة ما بين (٤٦٧م-٤٨٤م)، أنظر مرسي الشيخ، المصدر السابق، ص(٩٦).بروي، **تاريخ الحضارات العام**، جـ(٣)، ص(١٩) .

[4] طليطلة : مدينة كبيرة في الأندلس، ومن أجلّ مدنها، وأكثرها خيراً، وتسمى مدينة الملوك، وبها قنطرة عجيبة. أنظر القزويني، **أثار البلاد**، ص(٥٤٥-٥٤٦) البكري، المصدر السابق، ص(٨٧). الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت(٨٦٦هـ)، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط(٢)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨م، ص(١٣٠). وسيشار إليه الحميري، صفة جزيرة الأندلس.

ولقد ساءت أحوال الكثيرين من السكان، وضاقت معايشهم، وسادت الطبقية والفرقة فيما بينهم، فانقسم المجتمع الإسباني إلى طبقات عدة أهمها[1]:

١. طبقة الحكام والنبلاء وكبار الإقطاعيين والأشراف، وكان معظمهم من القسوط، وهي الطبقة المترفة التي حظيت بالامتيازات والحقوق.

٢. طبقة رجال الدين– الإكليروس– أنظر ملحق رقم (٣) وهي طبقة ظهرت بعد انتشار الديانة المسيحية، وتشكل منها فئة شاركت الطبقة الأولى بالامتيازات.

٣. طبقة العامة والتي كانت من صغار الملاك والتجار والمزارعين الذين عانوا من الضرائب المختلفة[2].

٤. طبقة الرقيق والعبيد وهي الطبقة الأقل حظاً في المجتمع الإسباني، فلا حقوق لهم، وتقع على عواتقهم كل التبعات والواجبات، وجلهم من الرومان والوندال.

٥. اليهود وهم طائفة محدودة [3]، شغل العديد منهم وظائف مالية في داووين الدولة، وسيطروا على العديد من مرافقها.

هذه الطبقيّة التي انتشرت في البلاد، جعلت منه مسرحاً للتصارع والمنازعات والفوضى الاجتماعية، كما أدت إلى إضعاف سيطرة الدولة، والى خلخلة البناء السكاني في البلاد. إلى جانب ذلك ساد في المجتمع الإسباني صراع ديني نشأ بين الطوائف المذهبية المختلفة، ومن صور هذا الصراع الديني ما يلي:

---

(1) أنظر مونتغمري وات، في **تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تعريب محمد رضا، شركة المطبوعات للتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤، ص(٢٦). وسيشار اليه مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية .

(2) S.S Ahmad, The Moorish Spain, Karachi, Farooq Kitab Ghar, 1972, P(7)

وسيشار إليه. S.S. Ahmad, The Moorish Spain

(3) انتشر اليهود– رغم قلة أعدادهم ومحدوديتهم– في شتى أنحاء اسبانيا، ومن المدن التي سكنوها مدينة طركونة (Tarracona) حتى سميت بمدينة اليهود، وعرفت غرناطة (Granada) بـ(غرناطة اليهود). للمزيد أنظر الشريف الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت(٥٦٠هـ)، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس منتخبة من نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م، ص(٢٧٩). وسيشار إليه الشريف الإدريسي، صفة المغرب. هارديل، **أوروبا في صدر العصور الوسطى**، ص(١٦٣). أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، موسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ص(٥٢). وسيشار إليه العبادي، في تاريخ المغرب. حاجي، التاريخ الأندلسي، ص(٣٠).

أولا: بين الطوائف المسيحية.

اعتنق سكان البلاد الديانة المسيحية على المذهب الأريوسي[1] مع بداية التبشير بالمسيحية، حتى عمّ أرجاء البلاد، واعتنق القوط أنفسهم هذا المذهب وأصبح منذ ذلك اليوم دين الدولة الرسمي[2]، وفي عام (٥٨٧م) عُقد مجمع طليطلة الأول[3]، حيث نادى به رجال الدين المسيحي بإتباع مبادىء التثليث – المذهب الكاثوليكي – والمعلنة في مجمع نيقية[4] الأول (Nicea) (٣٢٥م)، ومن هنا ساد في البلاد صراع ديني شديد ما بين رجال الدين الكاثوليك وسكان البلاد الأريوسيين، وعمت الفوضى بين الطرفين، وكانت الحروب في شتى أرجاء البلاد. وفي الثامن من مايو عام (٥٨٩م) عُقد مجمع طليطلة[5] الثالث وشارك به ملك القوط ريكارد[6] (Ricardo) (٥٨٦م-٦٠١م)، وكان من أهم قرارات هذا المجمع شجب المذهب الأريوسي[7] وتثبيت عقيدة الكاثوليك، واعتبر المذهب الكاثوليكي منذ ذلك المجمع المذهب الرسمي للدولة، وازداد بذلك

---

(1) المذهب الأريوسي: (Arianism) نسبة إلى أريوس أحد قساوسة كنيسة الاسكندرية، قال بمبدأ الطبيعة الواحدة للإله، انتشر مذهبه في مصر و اسيا، الأمر الذي دفع الامبراطور قسطنطين إلى الدعوة لعقد مجمع نيقية الكنسي سنة (٣٢٥)م لنفي هذا المذهب ونقده، انظر القرطبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت(٦٧١هـ)، والإعلام بما في دين المسيح من الفساد والأوهام، (ميكروفيلم في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية)، رقم الشريط (٩٥٦)، ورقمه (٥٩). وسيشار إليه القرطبي. الإعلام، خليل إبراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية. مراجعة ناصر عيسى، مطبعة المقطم، القاهرة، ١٩٤٢م، ص(٢٧٣-٢٧٤). وسيشار إليه قزاقيا، تاريخ الكنيسة.

(2) William Frend, Christianity in the first five Centuries, Edited by stewart Sutherland, The world's Religions, London , Routledge, 1988, P.P (154-156).
وسيشار إليه Frend, Christianity in the first five Centuries

(3) تعتبر مجامع طليطلة جهازاً حكومياً رسمياً، وتنظيماً أوجبه القوط الغربيون، والهدف منها النظر في أمور الدولة الكبرى، ويضم المجمع كبار القساوسة، والنبلاء، والإقطاعيين، ورجال الدولة، ويعقد بدعوة من الملك، وقد تم في الفترة (٥٨٩م-٦٩٤م) أكثر من (١٥) مجمعاً. أنظر هادريل. أوروبا في صدر العصور، ص(١٥٦).

(4) عقد هذا المجمع المكسوني (المقدسي) الأول في مدينة نيقية في عهد قسطنطين الكبير وكان عدد الآباء الذين حضروه (٣١٨) أبا عدا القساوسة والشمامسة. أنظر نسيم، تاريخ العصور الوسطى، ص(٤٢).

(5) هادريل، المصدر نفسه.

(6) S.M.Immamuddin, Apolitical, History, P(11). Hiugarth Visigothic Spain, P.P(9,48)

(7) مؤنس، فجر الأندلس، ص(٩). Ahmad, The Moorish Spain, P(3)

اضطهاد الأريوسيين الذين أصرّوا على البقاء على مذهبهم، فاتسعت الهوّة ما بين الطبقة الحاكمة من جهة، وما بين سكان البلاد من جهة أخرى.

ثانياً: بين المسيحية واليهودية.

وبسبب مخالفة اليهود لمبادىء التثليث[1]، فقد عانوا من الصراع الديني مع المسيحيين الكاثوليك، وأصدر ملوك القوط الكثير من التشريعات ضدهم خاصة أيام الملك الاريك الثاني(AlaricII)(٥١١م-٥٣١م) والذي حرّم على اليهود استخدام أي من العبيد النصارى، وجعل لهم قوانين خاصة لهم، وفي عهد الملك ريكارد (٥٨٦-٦٠١)، قرر مجمع طليطلة الثالث عام (٥٨٩م) التشدّد في معاملة اليهود، وبالغ الملك شيشبرت[2] (Sisberto)(٦١٢م-٦٣٠م) في سياسة الإضطهاد، فأمر جميع اليهود باعتناق النصرانية خلال عام واحد[3]،وأخذ بملاحقتهم في جميع أنحاء إسبانيا.

تطلع اليهود -شأنهم شأن باقي سكان إسبانيا- إلى الخلاص من هذا الظلم الذي طالهم، فاتجهت أنظارهم إلى المغرب العربي، ووقفوا على ما حظي به أبناء مذهبهم يهود المغرب من حرية دينية، وامتيازات عدة في ظل حماية المسلمين لهم، وحكمهم للبلاد، الأمر الذي دفعهم إلى العمل على الاستعانة بهم في قيام ثورة لإسقاط الحكم القوطي في إسبانيا[4].

---

(1) Christopher Harper-Bill, Christianity in the west to the Reformation, Edited by Stewart Sutherland The World's Religions, london, Routledge ,1988,p.p(194-195).

وسيشار إليه Harper- Christopher Harper-Bill, Christianity in the west

(2) شيشبرت: تولى الحكم سنة(٦١٢م) بعد الملك غندمار (Gerdemaro)، ويعتبر من أهم حكام القوط الغربيين، تم على يديه اخضاع ايبيريا كلها لحكم القوط، وبقي في الحكم حتى سنة (٦٣٠م) — انظر أرسلان، الحلل السندسية، جـ(١)،ص(١٧٣).

(3) السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار المعارف ، بيروت، ١٩٦٢م،ص(٦٥). وسيشار إليه سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم. هارديل، **أوروبا في صدر العصور الوسطى**، ص(١٦٣).

Hillarth, Visigothic spain, P(274).

(4) رينهارت دوزي، **المسلمون في الأندلس**، تعريب حسن حبشي، القاهرة، الموسسة المصرية العامة، جـ(٢)، ص(١٣٢). وسيشار إليه دوزى، المسلمون في الأندلس. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص(٣٥).

Joseph.F. O'calloghan, A History of Medieral Spain, Cornell, Cornel University Press, 1975, p(42).

وسيشار إليه O'callоghan, Ahistory of Medieral

Roymond.P.Scheindlin, The Jews In Muslim Spain, Edited By Salma Khadra-Jayyusi, The Legacy Of Muslim Spain ,Leiden, E.J.Brill,1992, P(188).

وسيشار إليه Scheindlin, The Jews In Muslim Spain

ولقد كان من أمر هذه المحاولة أن باءت بالفشل، وافتضح أمرهم، فتعرضوا للتنكيل من قبل القوط، وفي سنة (٦٩٤م) عُقد مجمع ديني كان الهدف منه الحكم في هذه المؤامرة[1]، فأصدر مرسوماً بمصادرة أملاكهم، وفصل أبنائهم عنهم وهم في سن السابعة، وتربيتهم في محاضن نصرانية، ولم يسمحوا بزواج اليهودي من اليهودية، بل كان لابد لليهودي من أن يتزوج من أمة نصرانية، وتتزوج اليهودية بعبد نصراني، وذلك بهدف الحدّ من تناسل اليهود وتكاثرهم.

كل ما سبق من صراع اجتماعي وديني أدى إلي إيجاد مجتمع ممزق ومشتت، تعلوه الفرقة والاضطراب، ويسوده الكره والخوف، ويشير أنخل جونثالث بالنثيا إلي هذه الحقيقة قائلاً: والشيء الذي وصل عن حكم ملوك القوط ليس فيه ما يشير إلي اهتمام أحد منهم بعمل يعود بالخير على عامة الناس، ولم يصلنا أي خبر عن إصلاحات معينة قام أحد من ملوكهم به، كإنشاء قنطرة أو تعبيد طريق، أو سن قانون يكفل للناس الأمن ويقلل عنهم الأعباء"[2].

ولم يقتصر الحال على الصراع بين الطبقة الحاكمة- القوط الغربيين وبين الرعية- السكان الإسبان، بل إنه نال من أفراد الطبقة الحاكمة أنفسهم وتجلى ذلك في صراعهم على السلطة والحكم في إسبانيا، فقبيل الفتح الإسلامي للبلاد استطاع أحد رجال الجيش المغامرين- ويدعى لوذريق(Rodrigo) (٧٠٩م-٧١١م)- من الاستيلاء على العرش، واغتصاب الحكم من أيدي أبناء الملك غيطشة[3] (Witizia)(٧٥١م-٧٠٩م)، وأصبح حاكماً على إسبانيا، لكن أتباع الملك السابق، وأنصار أبنائه لم يرضوا بالوضع القائم، فاخذوا يتحينوا الفرصة لاستعادة ملكهم المغتصب، حتى وجدوا ضالتهم في قدوم المسلمين.

---

(1) William Atkinson, AHistory of Spain and Protugal, London, penguin Book L.t.d, 1960, p(45). وسيشار إليه Atkinson, AHistory of Spain

(2) انخل جونثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ط(٢)، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، ص(١٣). وسيشار إليه بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي.

(3) المقرى، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٢٣٣)، عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص(٣٤). أما أبناء الملك غطشة فهم كلٌ من وقلة (Achila) والمند (Almundo) وأرطباس (Ardobas). أنظر خالد الصوفي، **تاريخ العرب في الأندلس**، نبغازي، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧١م، ص(١٢١). وسيشار إليه الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، مؤنس، فجر الأندلس، ص(١٥). Ahamd, The Moorish Spain, P(8)

ب. الفتح الإسلامي لإسبانيا[1] ٩٢هـ-٩٥هـ (٧١١م-٧١٤م) :

مما لا شك فيه أن اضطراب العلاقة ما بين الحاكم والرعية، إضافة إلي وجود مجتمع منحل، تعتريه الخلافات العرقية والدينية لهي عوامل قوية تؤدي إلي ضعف هذا المجتمع وتصدعه، وهذا ما أصاب إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي.

فما أن عبر جيش طارق بن زياد[2]، بأمر من القائد موسى بن نصير، ومساعدة جوليان[3](Julian) له، حتى صادف أمامه أرضاً ممهدة، وشعباً ينتظر الخلاص والنجدة على يديه،

---

(١) يخطيء ابن تغرى بردي في قوله إنّ الأندلس قد فتحت سنة(٢٧هـ)،" وذلك في السنة الثالثة من ولاية ابن أبي السرح على مصر"، انظر ابن تغزي بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، ت(٨٧٤هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط(١)، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٩م، جـ(١)، ص(٨٤)، وسيشار إليه ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، والصحيح أن الفتح كان سنة (٩٢هـ)، في ولاية موسى بن نصير على أفريقيا والمغرب أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك. أنظر القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر، ت(٤٥٤هـ) **عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، تحقيق عبد الرحيم محمد، دار الينابيع، عمان، ١٩٩٧م، ص(١٦٨). وسيشار إليه القضاعي، عيون المعارف. ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ت(٦٥٨هـ)، **الحلة السيراء**، ط(٢)، تحقيق حسين مونس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، جـ(٢)، ص(٣٣٣)، وسيشار إليه ابن الآبار، الحلة السيراء. البلاذرى، فتوح البلدان، ص(٢٣٢).

(٢) طارق بن زياد مولى موسى بن نصير اللخمي، من أصل بربري، كان أميرا على طنجة في أقصى المغرب، فبلغه اختلاف الفرنجة واقتتالهم في إسبانيا، فسعى عند سيده بالعبور هناك وفتح البلاد، فتم ذلك على يديه أولاً حتى عبر اليه سيده موسى بن النصير بالرجال والعتاد بناءاً على استغاثة من طارق نفسه. انظر الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت(٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط(١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، موسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، جـ(٤)، ص(٥٠٠-٥٠٢). وسيشار إليه الذهبي، سير اعلام النبلاء. الحميدي، **جذوة المقتبس**، جـ(٢)، ص(٣١-٣٣). والمقصود بالفرنجة في الخبر هم القوط الغربيون. أنظر صالح محمد فياض أبو دباك، **الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة كتاني، أربد، ١٩٨٨م، ص(١٥٤). وسيشار إليه أبو دياك، الوجيز.

(٣) جوليان: شخصية غامضة تولت أمور الحكم في مدينة سبتة، واختلف المورخون في تحديد هويته، فذهب ابن خلدون إلى أنه (رومي)، ويلقبه ابن الأثير بالبطريق، مؤكداً ما ذهب اليه ابن خلدون، في حين يقول عنه ابن عذاري أنسه (قوطي)، ويصفه صاحب الأخبار المجموعة بأنه (علج)، ويقول انه كان يحكم" مداين على شط البحر فيها أعمال صاحب الأندلس... وكان رأس هذه المداين مدينة يقال لها سبتة". أنظر ابن خلدون : ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت(٧٥١هـ)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م، الجزء الرابع، ص(١٨٥) وسيشار إليه ابن خلدون، العبر. ابن عذاري : ابن عبد الله محمد بن محمد المراكشي، ت(٦٩٥هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م، جـ(٢)، ص(٦). وسيشار إليه ابن عذاري، البيان المغرب. ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد السليماني، ت(٧٧٦هـ)، **الإحاطة** =

فخاض العديد من المعارك الفاصلة مع القوط، كان أشهرها معركة وادي لكـه[1] (GuadaLete) وذلك يوم الأحد ٢٨ رمضان سنة(٩٢هـ/٧١١م) [2]،والتي كان لانتصار المسلمين فيها،ومقتل لوذريق حاكم القوط، وتشتت جيشه أثرٌ كبير في زيادة حماسة سكان البلاد، حيث مدّوا يد العون والمساعدة لجيش المسلمين والتعاون معهم، ومن صور هذا التعاون:

١.تحالف جوليان[3]- حاكم سبتة[4] من قبل القوط- مع موسى بن نصير،وحثه على فتح الأندلس بقصد القضاء على مُلك لوذريق، وكان ذلك إنتقاماً على ما أقدم عليه الأخير من استكراه ابنته فلورندا(Florinda) على نفسها، كان جوليان قد استأمنها عند لوذريق في بلاط طليطله للتأدب بآداب و أخلاق الملوك[5]،ويضيف المقرى: "انه-جوليان-ركب بحر الزقاق[6] في أصعب الأوقات في

= في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، جـ(١)، ص(١٠٦). وسيشار إليه ابن الخطيب، الإحاطة. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها- رحمهم الله- والحروب الوقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨١م، ص(١٦). وسيشار إليه مؤلف مجهول، أخبار مجموعة.

[1] وادي لكة : منطقة بالأندلس، من كورة شذونة، قديمة، وآثارها باقية فيها، ولها حمة من أشراف حمات الأندلس. أنظر الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص(١٦٩).

[2] استمرت معركة وادي لكة أكثر من أسبوع، وفي عدة أماكن مختلفة، لذلك سميت عند المؤرخين بأكثر من تسمية مثل معركة البرباط، ومعركة الشريش، ومعركة الخندق. أنظر الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، (٥٢٠هـ)، سراج الملوك ، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م، جـ(٢)، ص(٦٩٢). وسيشار إليه الطرطوشي، سراج الملوك. مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص(٢٣٥). Ahmad, The Moorish Spain, P(11).

[3] O P.Cit , P(8).

[4] سبتة : بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في بر البربر، وهي ضاربة في البحر داخلة فيه. أنظر القزويني، آثار البلادة، ص(٢٠١). ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص(٨٨)، وقد أطلق مؤرخو المسلمين على البلدة اسم سبتة نسبة الى (سبت)، وهو أحد أحفاد سام بن نوح. أنظر ابن عذاري، البيان المغرب، جـ(١)، ص(٢١٠)، في حين نسبه الإدريسي إلى اللفظ اللاتيني سابتيم (Saeptum) بالنظر أن البلدة تقع على شبه جزيرة وتكتنفها المياه من كل جانب إلا الشرق. انظر الأدريسي، صفة المغرب والأندلس، ص(١٩٩).ج. يفر، سبتة، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جيهان، طهران، جـ(١١)، ص(٢٢٤-٢٣٠). وسيشار إليه بفر، سبتة.

[5] ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز،ت(٣٦٧هـ)، تاريخ إفتتاح الأندلس،ط(١)، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، موسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٤م،ص(٧٦)، وسيشار إليه ابن القوطيه، تاريخ افتتاح الأندلس.

[6] هو البحر المتوسط، والزقاق هو مصطلح إسلامي صرف، اطلقه الجغرافيون المسلمون على مضيق جبل طارق. انظر الحميري، الروض المعطار،ص(٥٠٩).

قلب الشتاء، فصار إلي الأندلس وأقبل إلي الملك في قصره بطليطلة، فأنكر عليه قدومه في مثل هذا الوقت وسأله عن سبب ذلك، فتعلل بمرض زوجته وشدة تشوقها إلي رؤية ابنتها، وتلهفها على لقائها قبل أن تموت، فاستجاب لوذرق إلي رغبة جوليان، ورد اليه ابنته بعد ان توثق منها بالكتمان عليه [1]،واجزل العطاء على جوليان [2]".

٢. تخلى أبناء الملك غيطشة(Witiza) عن مساندة جيش لوذريق في معركة وادي لكة، وانسحابهم من أرض المعركة لصالح المسلمين وبيان ذلك، أن لوذريق عندما اغتصب عرش إسبانيا من غيطشة أمعن في مطاردة أبنائه وأنصاره، ففر العديد منهم إلي خارج إسبانيا، والتجأ نفر منهم إلي جليقية [3]، واتصل وقله(Achila) واتباعه بجوليان سراً [4]،وطلبوا منه أن يتصل بالمسلمين "

---

(١) لم ترد هذه الرواية في المصادر الأوربية الحديثة، والتي تحاشت ذكر اسم فلورندا صراحة، والسبب في ذلك يعود إلى اعتبارهم لها سببا مباشرا في ادخال المسلمين العرب إلى إيبيريا، واغتصابهم الملك من الإسبان، وأقدم ذكر كان لهذه الفتاة عندهم كان في القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك من خلال مدونة بدرودي كورال (Pedrol Corral) والمسماة (Cronica del Rey Don Rodrigo)، وبها لم يذكر اسم فلورندا صريحاً، بل ورد لقب (La cava) بمعنى القحباء او المرأة سيئة الذكر، ومن ثم أخذت هذه التسمية ترد في الروايات الأوربية المتأخرة، كما وردت في أشعار الرومنسيرو(Romancero). انظر مؤنس، فجر الأندلس، ص(٥٩).

(٢) المقرى، **نفح الطيب**،جـ(١)،ص(٢٣٦). ولقد قيل انه لما ودع لوذريق جوليان وابنته قال له:" إذا قدمت علينا، فاستفره لنا من الشذانقات–نوع من الجوارح تستخدم في الصيد– والتي لم تزل تطرفنا بها، فانها آثر جوارحنا لدينا". فرد عليه " أيها الملك–وحق المسيح– لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط" ويقصد بهم جيوش المسلمين انظر المصدر نفسه.

(٣) جليقية : مدينة قرب ساحل البحر المحيط من ناحية الشمال، وهي أرض لا يطيب سكناها لغير أهلها. أنظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ(٢)، ص(١٥٧). الحميري، **الروض المعطار**، ص(١٦٩).

(٤) لقد اتجهت أنظار أبناء الملك غيطشه إلى جوليان باعتباره من أنصار الملك غيطشة والمخلصين له، وانه كان يدين بالطاعة والولاء له منذ أن ساعده بالخروج على بيزنطة، والاستقلال بمدينة سبتة. أنظر المقرى، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٢٣٤) مولف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص(٤). ويرى بعض المورخين المحدثين أن ذلك السبب هو الدافع الحقيقي وراء تحرك جوليان، واتصاله بالمسلمين وليس كما ورد آنفاً حول قصة الإنتقام لابنته فلورندا، ويستدلوا على صحة هذا الرأي بالأمور التاليه :

١. أن مدينة سبتة كانت – ومنذ ذلك الوقت خاصة– ملجأ لكثير من العناصر الساخطة على حكم لوذريق، والثائرين عليه.

٢. استبعاد أن يقوم طارق بن زياد– وهو القائد العسكري المحنك– بمغامرة كبيرة، وذلك بالتوجه إلى أرض العدو بسبعة آلاف مقاتل فقط، ومواجهةجحافلهم الكثيرة من دون أن يتوثق من انضمام أنصار غيطشة إليه =

ويطلب منهم دخول البلاد وفتحها، وذلك ظناً منهم أن المسلمين ليسوا سوى طالبين للغنائم والأموال والخيرات، ولا رغبة لهم في البقاء في إسبانيا، يقول صاحب أخبار مجموعه على لسان أبناء غيطشة :" هؤلاء-المسلمين – قوم لا حاجة لهم بإيطان بلدنا، وإنما يريدون أن يملؤوا أيدهم ثم يخرجوا عنها[1]". فقادهم جوليان إلي موسى بن نصير، وتم الإتفاق بينهم، ولقد استبقى لوذريق إلي جانبه ولدي غيطشة أرطباس (Ardobas) وألمند(Almund) حتى يتوثق من إخلاصهم له، وحاول استمالتهم لمساعدته في حربه ضد المسلمين، وبدورهم تحايلوا هم عليه، وأظهروا له الولاء والتأييد حتى اطمأن لهم، فنصبهم قادةً في جيشه، ويضيف المقرى :" وكان لوذريق ولي ميمنته أحد إبني غيطشه وميسرته الآخر[2]". ولما تقابل الجيشان أجمع ولدي غيطشة على الغدر بلوذريق، " وأوصوا من ليلتهم تلك على طارق ليعلمونه أن لوذريق كان كلباً من كلاب ابيهم وأتباعه ويسألونه الأمان على أن يخرجوا إليه في الصباح[3]". فتم لهم ما إرادوا وانسحبوا من أرض المعركة لصالح المسلمين تاركين لوذريق يلاقي مصيره المحتوم.

٣.ماوجده طارق بن زياد وقواده من معاونة ومساندة اليهود، من ذلك ما ذكره ابن الخطيب حول فتح المسلمين لمدينة غرناطة، فعندما افتتح المسلمون المدينة عنوة " ضموا اليهود إلي

= ومساعدته في حربهم ضده.

٣. ما أشارت إليه الأحداث بعد ذلك، من أن المسلمين قاموا بمجازاة أبناء غيطشسية وأنصارهم وردوا إليهم ضياعهم التي كان لوذريق قد جرّدهم منها. يقول ابن القوطية :" أجمع ألمند وأخواه على الغدر لوذريق واوصوه في ليلتهم تلك على طارق...سألوه الأمان على أن يخرجوا إليه با الصباح وأن يمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة". أنظر ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٧٤). سالم، **في تاريخ المسلمين**، ص(٦٨) العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص(٥٥). صوفي، **تاريخ العرب في الأندلس**، ص(٥٣-٥٥). وهذا الرأي ما أميل إليه.

[1] مولف بجهول، **أخبار مجموعة**، ص(١٨).

[2] المقرى، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٢٤١). وقد أخطأ كلّ من الحميرى وصاحب أخبار مجموعة عندما ذكرا أن لوذريق ولّى ميمنته وميسرته إلى كلٍ من شنشبرت(Sisiburto) وأبه (Oppa) ولدي غيطشة. أنظر الحميرى، **صفة جزيرة الأندلس**، ص(١٠)، مولف بجهول، أخبار مجموعة، ص(١٨). والحقيقة أنهم أخوا غيطشة وليسا ولديه.

[3] ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٧٤). هارويل، **أووربا في صدر العصور الوسطى**، ص(١٧١).

قصبتها –مركزها– مع حامية من المسلمين[1]"، واتخذوا من اليهود عاملاً مساعداً لإدارة المدينة وحمايتها[2].

ثالثاً : عصر الولاة ٩٥هـ – ١٣١هـ (٧١٤م – ٧٥٦م).

استطاعت جيوش الفتح الإسلامي من إتمام العمليات الحربية خلال سنوات قليلة، وتمكنوا في هذه المدة من إخضاع شبه الجزيرة الإيبرية الضخمة لحكمهم من أقصى الجنوب إلي جبال البرت والبحر المحيط في الشمال، ومن مالقة وطركونة في الشرق إلي قلمريه وأشبونة في الغرب، و لم يغادروا بلداً عظيماً أو حصناً منيعاً إلا ورفعوا عليه راية الإسلام.

وبعد أن استكمل المسلمون فتح الأندلس قاموا بالتنظيم الداخلي لشؤون الدولة والرعية، حيث أهم تمكنوا من القضاء على مظاهر الفوضى والخلل الإجتماعي الذي عانت منه البلاد، كما أهم استطاعوا في مدة محدودة من قمع عناصر الشر والإضطراب، وأن ينشروا روح العدل والتسامح والمساواة بين الجميع، يقول المستشرق رينهارت دوزي :"كان الفتح العربي في بعض الوجوه نعمة لإسبانيا، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة، وقضى على الكثير من الأجواء التي كانت تعانيها البلاد منذ قرون... وحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى، ووزعت الأراضي توزيعاً كبيرا فكان ذلك حسنة سابغة"[3]. كما خفف العرب المسلمون من الضرائب والالتزامات المالية التي عاني منها السكان، وأمن الناس على أنفسهم وحريتهم وأموالهم[4].

وضم المجتمع الإسلامي الجديد بعد الفتح الفئات السكّانية التالية :

أولاً : المسلمون.

١. العرب : وانقسموا إلي قسمين رئسيين هما العرب البلديون والعرب الشاميون، أما العرب البلديون فهم الذين شاركوا في الفتح الإسلامي للأندلس، ودخلوا البلاد أولاً، ومن ثم استقروا بها، واعتبروا أنفسهم من أهلها وأصحابها، وتكونت هذه الفئة من طالعة موسى بن نصير– التي دخلت

---

[1] ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني، ت(٧٧٦هـ) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ص(١٦). وسيشار إليه الخطيب، اللمحة البدرية

[2] مولف مجهول، أخبار مجموعة، ص(٢٢). ابن الخطيب، الإحاطة جـ(١)، ص(١٠٧).

[3] دوزي : المسلمون في الأندلس، جـ(٢)، ص(٢٧٧-٢٧٨).

[4] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص(١٦). هارديل، أروبا في صدر العصور الوسطى، ص(١٧٢).

البلاد في رجب(٩٣هـ/٧١٢م)[1] – وكانت تتألف من ثمانية عشر ألفاً من الجنود، أغلبهم مـن وجوه قريش وسادة العرب، وانضمت إليهم طالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي[2] وعددهم أربعمائة رجل.

واما العرب الشاميون فمعظمهم من العرب القيسيين الذين دخلوا الأندلس بعد الفتح، وتكونوا مـن طالعة بلج بن بشر القشيري[3] (١٢٤هـ/٧٤١م) وبلغت عشرة الآف رجل، الفان مـن المـوالي وثمانية الآف من العرب[4]، ثم وفدت طالعة أخرى من الشاميين بصحبة أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي[5] (١٢٥هـ/٧٤٣م)، وبلغ تعدادها الثلاثين رجلاً[6].

---

[1] ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين القرشي ت(٢٥٧هـ)، **فتوح مصر و أخبارها**،ط(١) ، مكتبة مدبولي،القاهرة ، ١٩٩١م،ص(٢٠٧). وسيشار إليه ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها.

[2] الحر بن عبد الرحمن الثقفي القيسي، كان اميراً للأندلس، ثم عزل عنها سنة (١٦٠هـ). انظر مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص(٢٩)، المقرى، **نفح الطيب**،جـ(٤)، ص(١٣).

[3] هو بلج بن بشر بن عياض القشيري كان والياً على الأندلس في عام(١٢٤هـ/٧٤١م)، ولقد كان شجاعاً فارساً. دخل الأندلس بجنوده في ذي القعدة سنة (١٢٣هـ/٧٤٠م) بطلب من عبد الملك بن قطن الفهري وذلك حتى يساعده ضد البربر الذين ثاروا عليه في الأندلس على أن يخرجوا منها بعد سنة واحدة، فلما انقضت السنة جاء عبد الملك يطلب من بلج أن ينفّذ ما اتفقوا عليه، لكنه رفض ذلك، اعتقاداً منه أنها مكيدة لإعادتهم إلى بربر المغرب ليقتلوهم، ووثب بلج وجنوده على ابن قطن وخلعوه، وقدموا على أنفسهم أميرهم بلجاً والياً جديداً. انظر أبو دياك، **الوجيز**، ص(٢٠٤) .

[4] ابن القوطية،**تاريخ افتتاح الأندلس**،ص(٨١ ٨٢).ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص(١٦). مؤلف مجهول، **المصـدر السابق** ،ص(٤٣-٤٤)

Ahmad, The Moorish Spain, p(27).

[5] هو أبو الخطار حسام بن ضرار بن سلامان الكلبي، تولى ولاية الأندلس في سنة(١٢٥هـ/٧٤٣م) من قِبَل حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والي أفريقية لهشام بن عبد الملك، وهو أول من قسم الأندلس إلى اجناد، ووزع عليها العرب حين نصحه أرطباس بن غيطشة بذلك، أنظر ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ(١)، ص(٦٤-٦٥). الحميدي، **جذوة المقتبس**، جـ(١)، ص(٣١٤-٣١٥). ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد ابن سعيد الأندلسي، ت(٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، ط(٣)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٩١، ص(٤٥٧). وسيشار إليه ابن حزم، جمهرة انساب العرب.

[6] عبد الملك بن حبيب، ت(٣٨٠هـ)، **كتاب التأريخ**، تحقيق جورجي أغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١، ض(١٥٠). وسيشار إليه ابن حبيب، التأريخ. ابـن القوطيـه، **المصدر السابق**، ص(٨).

OP.Cit, P(28)

كان العرب في الأندلس هم بمثابة أسياد البلاد وملوكها، سكنوا الأراضي الخصبة السهلة، وعاشوا حياة الترف والنعيم، لكنهم تساووا مع بقية السكان في الحقوق والواجبات.

٢.الموالي : كان أول دخول للموالي إلى الأندلس مع طالعة بلج، وبلغ عددهم ألفا مولى من موالي بني أمية[١]، وانضم إليهم من كان في الأندلس من موالي العرب، فشكلوا قوة كبيرة عملت فيما بعد على تأسيس حكم لأسيادهم الأمويين في الأندلس، وكان ذلك في إلتفافهم حول عبد الرحمن بن معاوية[٢] (١٣٨هـ-١٧١هـ/٧٥٦م-٧٨٨م).

٣.البربر : احتل البربر دوراً هاماً في عمليات الفتح الإسلامي للأندلس، من ذلك ما تشير اليه المصادر أن جيش طارق ضم العديد من البربر، ويحددهم ابن خلدون بأربعة قبائل بربرية هي مطغرة، مديونة، مكانسة،وهوارة[٣].وبعد الفتح الإسلامي وفد العديد من القبائل البربرية الأخرى مثل قبائل مغيلة، ملزوزة، نفزة، أوروبة، ومصمودة، وتوزعوا في البلاد[٤].

٤.المسالمة أو الأسالمة :وهم كل من اعتنق الإسلام من الإسبان، بحيث كان لسياسة التسامح والاعتدال التي انتهجها الفاتحون الجدد أثراً طيباً في اعتناق الكثير من أبناء البلاد الذين

(١) Levi – Proven cal , Histoie de L'Espagne Musulmane, Paris, 1951, Tome(3), P(172).

وسيشار إليه . Levi – Proven ca'l , Histoir

(٢) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، كنيته أبو المطرف، ولقبه (الداخل) وكذلك لقبه أبو جعفر المنصور بـ(صقر قريش) لقوته وجسارته، له من الشعر الشيء الكثير، وأجمل ما قاله في وصف نخلة في أرض رصافة قرطبة، رآها ذات يوم وحيدة، شامخة، فألهبت مشاعر الحنين إلى وطنه دمشق، ومنها قوله (الطويل):

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة   تناءت بأرض الغرب، عن النخل

فقلتُ شبيهي في التغرب والنوى   وطول التنائي عن بني عمي وأهلي

ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن محمد بن يوسف الأذي، ت(٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، ط(٢)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م، جـ(٢)، ص(٨٤٨-٨٥٠). وسيشار إليه ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس. ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ(١)، ص(٩٣).

(٣) ابن خلدون، العبر، الجزء الرابع، القسم الأول، ص(٢٥٤).

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص(٤٩٨-٥٠٢).

الإسلامي، إما بحثاً عن مصالح شخصية وآنية، أو إيمانا صادقا بهذا الدين الذي ضمن للمسألة المساواة الكاملة مع العرب الفاتحين.

ومن الجدير ذكره هنا، أن الدين الإسلامي لم يُفرض على سكان الأندلس فرضاً بالقوة والقهر، وذلك ما يؤكده المؤرخون حتى المستشرقين منهم[1]، بدليل قوله تعالى :" لا إكراه في الدين"[2].

٥. المولدون : وهم جيل من الأبناء كان نتاج تزواج العرب المسلمين من الفتيات الأسبانيات، وأول من تزوج بإسبانية هو الأمير عبد العزيز ابن موسى بن نصير (٩٤هـ/٧١٣م)، والذي تزوج أرملة لوذريق المدعوة ايخلونا[3] (Egilona)، والتي تسميها المصادر الإسلامية (أم عاصم)[4]، وكذلك ممن تزوج باسبانية زياد بن النابغة التميمي[5]، وكذلك توزج عيسى بن مزاحم[6] من سارة القوطية ابنة ألمند ابن غيطشة، ومن نسلها المؤرخ المشهور أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية[7].

واحتفظ العديد من المولودين بأسمائهم الأسبانية القديمة أمثال بنو أنجلين[8] (Angelino)

---

(1) Le`vi –Provenca'l , Histoire, Tome (1) , P (73)

(2) البقرة ، آية(٢٥٦).

(3) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ(١)، ص(٢٣٢). ويخطىء ابن عبد الحكم بالقول أن ايخلونا هي ابنة لوذريق، أنظر ابن عبد الحكم، **فتوح مصر**، ص(٢١٢). عبد الرحمن على حاجي، **أندلسيات**، ط(١) ،دار الإرشاد، بيروت، جـ(٢)، ١٩٦٩، ص(٣١). وسيشار إليه حاجي، اندلسيات.

(4) انظر مولف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص(٢٧).

Ahmad, The Moorish Spain, P(19)

(5) زياد بن النابغة التميمي، من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس بطالعة موسى بن نصر، وهو الذي تولى قتل عبد العزيز بن موسى، وقطع رأسه. أنظر عبد الواحد المراكشي: محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي ت(٦٤٧هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط(١)، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩م، ص(١٢) وسيشار إليه عبد الواحد المراكشي، **المعجب**. ابن عبد الحكم، **المصدر نفسه**. الحميدي، **جذوة المقتبس**، جـ(١)، ص(٣٣٩). الضبي، **بغية الملتمس**، جـ(١)، ص(٣٧٢).

(6) عيسى بن مزاحم : من أشراف دمشق، ومن بطانة الخليفة هشام بن عبد الملك، ولقد زوجه الخليفة من سارة القوطية عندما جاءته متظلمة من عمها أرطباس، والذي كان بدوره قد استولى على ضياعها بعد موت أبيها فأمر لها الخليفة بإرجاع كامل حقوقها. أنظر ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٦٠).

(7) **المصدر السابق**، ص(٧٥).

(8) ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين، المقتبس، تحقيق ملتشور أنطونية،بولس كتنر الكتبي، باريس، ١٩٣٧، ص(٧). وسيشار إليه ابن حيان، المقتبس، تحقيق أنطونية.

وبنو شبرقة (Sabrica)، وبنو جريج (Jorge) وبنو لنتق[1] (Longo)، وبنو غريسة (Garica)، وبنو مردنيش [2] (Martines) وغيرهم.

ثانياً : غير المسلمين.

١. المستعربون [3] (Mozarabes)

أطلق مصطلح (المستعربون) على نصارى الأندلس، وهم الذين آثروا البقاء على نصرانيتهم ومبادئهم القديمة، ودخلوا في ذمّة المسلمين وعهدهم، كما عاشوا في كنفهم وتحت حمايتهم،وتعايشوا معهم، وتعلموا لغتهم العربية حتى أجادوها، واتقنوا فنونها وعرفوا خفاياها، وتكلموا بها[4].

ولقد احتفظ هؤلاء المستعربون بنظمهم الإدارية الخاصة بهم وكان لهم قوانينهم وتشريعاتهم التي حافظوا عليها، يقول المستشرق فرانسيسكو خافيير سايمونيت :" إنّه فيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية، فإن النصارى الإسبان احتفظوا في ظل الحكم الإسلامي بنوع من الحكومة الخاصة، واحتفظ الناس بأحوالهم القديمة دون تغيير كبير واحتفظوا من الناحية القانونية بالقوانين القوطية أو

---

(١) دوزي، المسلمون في الأندلس، جـ(٢)، ص(٤٠).

(٢) Le`vi –Provenca'l , Histoire, Tome (2) , P (76)

(٣) يعتبر مصطلح المستعربون Mozaritts مصطلحاً استشراقياً حديثاً، استخدمته المصادر النصرانية منذ القرن الحادي عشر الميلادي للتفريق ما بين النصارى الذين بقوا على ديانتهم، وخضعوا للحكم الإسلامي عن أولئك الذين عاشوا في الممالك النصرانية الشمالية و لم يتأثروا بالحكم الإسلامي، أمّا اللفظ mo zarabes فهو مشتق عن الأصل العربي مستعرب (Mustau'rab). وهو الذي يقصدُ اللغة العربية والثقافة والتقاليد العربية، وهو في الأصل أجنبي ومن نسب أعجمي.

أمّا المصادر الإسلامية فتشير إلى هذه الفئة بمصطلحات أخرى مثل نصارى، روم، عجم، أهل ذمّة، علوج، معاهدين، أهل الكتاب، طغاة، كفار... وغيرها.

Isidro de las Gagigas, Los Mozarabes, Madrid, 1929, Tome (1), P(56)

وسيشار إليه Gagigas, Los Mozarabes

Mikle de Epalze, Mozarabe-An Emblematic Chistian Minority-Edited by Salma khadra Jayyusi, The Legacy of Maslim Spain, Leiden , E.j Brill, 1992, P.P (149/151).

وسيشار إليه Epalze, Mozarabe

(٤) يؤكد ليفي بروفنسال– على سبيل المثال– أن معظم طليطلة لم يتخلوا قط عن عقيدة الروم الكاثوليك. أنظر ليفي بروفنسال، **طليطلة**، بحث منشور في دائرة المعرف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ١٩٩٦م، جـ(٢١)، ص(٢٦٠). وسيشار إليه برفنسال، طليطلة.

قانون التقاضي (Fuero Juzo) [1]، يخضعون لها في كل ماله علاقة بحكومتهم[2]".

وكان للنصارى رئيس في كل مدينة يقطنوها[3]، كما كان لهم قاض من ملتهم يفصل بينهم في النزاعات والخصومات يعرف بـ(قاضي العجم) [4]وإذا ما اختصم ذمي مع مسلم فكان الإحتكام إلي قاضي الجند المسلم وهو الذي عرف بعد ذلك بقاضي الجماعة[5].

لقد عامل المسلمون النصارى معاملةً حسنةً، حيث ضمنوا لهم تنظيمهم الديني المتعارف عليه بينهم[6]، وكان للنصارى ثلاثة مطرانيات[7] (أبرشيات)رئيسة، كما كان لهم العديد من الأسقفيات والكنائس والأديرة الهامة،مثل دير سان خوان ديلابينا(San Juan del Pena)، وهو الذي أنشأه

---

(1) مختصر عن اللاتينية (Forum Judicum)-القانون القوطي- أي مجموعة القوانين القوطية، وقد تكون على مدى قرن، بداه الملك يورك، ثم أضاف اليه خلفه الملك ألاريك الثاني مجموعة من القوانين الرومانية تسمى Berviarm وهو مختصر القانون الروماني. انظر مؤنس، فجر الأندلس، ص(٤). ويشير إليه بروفنسال بـ(Liber Judicum). ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، ص(٧٣). وسيشار إليه بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس.

O'caLLoghan , Ahistory of Medieval, P(151).

(2) Francisco.J. Simonet, Historia de Mozarabes de Espana , Madrid, Ediciones Turner, 1897, Tome(1) p.p(106-107).

وسيشار إليه Simonet, Historia de Los mazarabes

(3) عرف هذا الرئيس باسم (قومس)-وسيرد تفصيل لوظيفته فيما بعد- انظر أحمد مختار العبادي، **الإسلام في أرض الأندلس**، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد(١٠)، العدد الثاني، يوليو ١٩٧٩م، ص(٣٤٤)، وسيشار إليه العبادي، الإسلام في أرض الأندلس.

(4) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**،ص(٧٥).

(5) الونشريشي: أبو العباس احمد بن يحيى،ت(٩١٤هـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب**،ط(١)، تحقيق محمد حجى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م،جـ(١٠)، ص(٥٦). وسيشار إليه الونشريشي، المعيار المغرب. سحنون: عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي،ت(٢٤٠هـ) ، **المدونة الكبرى**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، جـ(١٦)، ص(١١،٤٢،٥٥-٥٦). وسيشار إليه سحنون، المدونه.

(6) ليفي بروفنسال، المصدر السابق ، ص(٧١).

(7) حددت هذه المطرانيات بثلاث مدن هامة هي طليطله(Toledo)، وأشبيلية(Sevilla) وماردة (Marida). انظر أبو دياك، **الوجيز**، ص(٢٢٣) وممن تولى مطرانية أشبيليه ابن ألمند ابن غيطشه. انظر ابن القوطية، **المصدر السابق** ،ص(٧٤).

الأخوان الراهبان فوتو(Voto) وفيلكس (Felix) في عهد الأمير عقبة بن الحجاج[1] (١١٦هـ-١٢١هـ/٧٣٤م-٧٣٩م) على جبل أورويل[2] في أقصى الشمال، والذي يعد من أهم الأديرة في البلاد.

ولقد ترك المسلمون للنصارى كنائسهم[3]، وسمح لهم بممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينيه بكل حرية، كما سمح لهم بقرع النواقيس للصلاة، رغم ما تسببه من أذى لأسماع المسلمين، ولقد ذكر ابن حزم الأندلسي[4] هذه العادة بقوله:

أتيتني وهلال الجو مطلع   قبيل قرع النصارى للنواقيس[5]

ويصف شاعر آخر[6] إحدى كنائس النصارى بقوله:

---

(١) عقبة بن الحجاج: والي الأندلس زمن الخليفة هشام بن عبد الملك من قبل عبد الله بن الحبّاب أمير مصر وأفريقية . انظر الضبي، **بغية الملتمس**، جـ(٢)،ص(٥٦٦).

(٢) جبل أورويل: يقع بالقرب من حصن أوريولة بالأندلس، من كور تدمير ، عليه قصبة في غاية الإمتناع، ولها بساتين وجنان وفواكه. انظر الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص(٣٤).

(٣) استثنى المسلمون من هذه الكنائس تلك التي استدعت الحاجة إلى هدمها وإقامة مساجد جامعة مكانها، نذكر منها كنيسة القديس بنجنت(Saint Vicente) -نسبة إلى بنجنت الشماس المقتول بمدينة بلنسية- والتي انشأ مكانها جامع قرطبة الشهير زمن موسى بن نصير. وكنيسة القديسة رفينة(Santa Rufina) التي أقيم على أرضها مسجداً. انظر عريب بن سعد ت(٤١٨هـ)وربيع بن زيد الأسقف ت(٤٢٧هـ)، **تقويم قرطبة لعام ١٩٦١م الموسوم بكتاب الأنواء**، تحقيق رينهارت دوزي،مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦١م،ص(١١٣،٣٣). وسيشار إليه عريب-ربيع، تقويم قرطبة.

O'calloghar, Ahistory of medieval ,P(102). S.M.Imamuddin Apolitical History, P(102). J.B Trend, The Civilization of Spain, Londn, Oxford University Press, P.P (29-30) .

وسيشار إليه Trend,The Civilizatien

(٤) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ولد بقرطبة سنة(٣٨٤هـ)، وبرع في الأدب والفقه، وله مذهب فقهي هو المذهب الظاهري، والذي نفى به القياس كله جلية وخفية، وأخذ بظاهر النصوص. انظر الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،جـ(١٨)،ص(١٨٤).الضبي، **بغية الملتمس**، جـ(٢)، ص(٥٤٣).

(٥) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد،ت(٤٥٦هـ)، **طوق الحمامة في الألفة والآلاف**، تحقيق الطاهر احمدمكي، دار الهلال، الرياض، ١٩٩٤م،ص(١٣٣). وسيشار إليه ابن حزم، طوق الحمامة.

(٦) هذا الشاعر هو أبو عامر احمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد الملقب بذي الوزارتين، له قوة بديهة، وكان وزيراً في زمن الخليفة الناصر لدين الله . أنظر الفتح بن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الأشبيلي، ت(٥٢٩هـ)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، ط(١)،تحقيق محمد على الشوابكة، دار الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص(١٨٩-٢٠٢). وسيشار إليه الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**. ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، ت(٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة،

وقد فرشت بأضغـــــات آس	وعَرشــت بســرورٍ واستينــاس
وقرع النواقيسِ يبهــــج سمعه	وبرق الحميّـا يُسـرح لمعــه
والقسُ قد برز في عبدة المسيح	متوشحاً بالزنانير، ابدع توشيــح[1]

٢. اليهود Jews

تمتع اليهود في ظل الحكم الإسلامي للبلاد بتسامح كبير لم تحظ به كافة الطوائف الدينية الأخرى، وكان السبب في ذلك يعود إلي مؤازرتهم للعرب الفاتحين[2] أثناء عمليات الفتح الإسلامي، ولقــد انتشرت الجماعات اليهودية في معظم المدن الأندلسية، كغرناطة[3] وماردة، حيث كانت اعدادهــم وفيرة، وفي قرطبة وجد الحي اليهودي في المدينة — أنظر ملحق (٤)- بجوار القصر الحاكم والمسـجد الجامع، كما أطلق على الباب الشمالي اسم باب اليهود ، وبجوار هذا الباب الشمالي يوجد طريــق يتجه ناحية الشمال الشرقي نحو مقبرة خاصة لليهود، وهناك في مدينة أشبيلية[4] أعداد منهم ، علــى ان أكبر تجمع لهم كان في مدينة أليسانة(Lucsna) [5].

بيروت، ١٩٨٧، القسم الأول، المجلد الأول، ص(١٩١-٣٣٦). وسيشار إليه ابن بسام، الذخيرة. كارل بروكلمان- تاريخ الأدب العربي، ط(٣)، تعريب عبد التواب رمضان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، جـــ(٥)، ص(١٢١). وسيشار إليه بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.

[1] المقري، نفح الطيب، جــ(٢)، ص(٥٢). الفتح بن خاقان، المصدر السابق، ص(١٩٤).

[2] أنظر بن الخطيب، اللمحة البدرية، ص(٦). سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربيــة، ط(٢)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص(٢٨). وسيشار إليه عاشور، المدينة الإسلامية.

[3] غرناطة: مدينة أندلسية بالقرب من ألبيره، من أحسن مدن الأندلس، وتعني الرمانة باللغة القشتالية، يشقها نهر عظيــم. أنظر القزويني، آثار البلاد، ص(٥٤٧). ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن محمد، ت(٦٨٥هــ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، جــ(١)، ص(١٠٥)، وسيشار إليه ابن سعيد المغربي، المغرب.

[4] أشبيلية : مدينة بالأندلس بالقرب من أبله، تمتاز بطيب هوائها وعذوبة مائها، وصحة تربتها، وكثرة ثمارها، وصيد البـر والبحر بها، فتحت على يد موسى بن نصير. أنظر الحميري، الروض المعطار، ص(٥٨-٥٩). عبد الواحد المراكشــي، المعجب، ص(٨)، مولف مجهول، أخبار مجموعة، ص(٢٥).

[5] الشريف الإدريسي، صفة المغرب، ص(٢٠٥).

Scheindlin, The Jews in Muslim spain, P(190)

وأطلق على رئيس الجالية اليهودية اللقب العبري (ناجد) والذي كان يعين من قبل الحـــــاكم في قرطبة [1]، وكان كنيس العبادة الخاص بهم يسمى (شنوغة او شنوعة) [2] ، له اموال كثيرة وأحبـاس يحبسها ابناء الطائفة للانفاق عليه ، ولقد مارس اليهود في المجتمع الاندلسي مهناً كثيرةً ، وبرعـــوا في ميادين مختلفة حتى انهم شغلوا مناصب هامة في الدولة[3] .

---

(1) Roth, Encyclopedia Judica, Vol(12), P.P(758-764).

(2) سبق الإشارة إليه. أنظر ص(٩).

(3) Epalza, Mozarabes, P.P (106-161)

الفصل الثاني

الدولة وأهلَ الذمّة

- الدولة وأهل الذمّة.
  - أ. الدولة ورجال الدين.
  - ب. الدولة و الأماكن المقدسة.
  - جـ. الدولة والتنظيم الإداري لأهل الذمة
    - ١- النصارى.
    - ٢- اليهود.
- الوظائف الرسمية والمهام الدبلوماسية التي شغلها أهل الذمّة.
- القضاء عند أهل الذمّة.
- أحباس أهل الذمّة في الأندلس.

الدولة وأهل الذمة

رسم الأمير عبد الرحمن الداخل في الأندلس سياسةً سار عليها من خلفه من أمـــراء وحكـــام البيت الأموي في تعاملهم مع أبناء الطوائف المذهبية، ولقد اعتمدت هذه السياسة على مبادئ العـــدل والمساواة والتسامح الديني[1]، ولقد تركزّت هذه السياسة الرسمية للدولة على عدة مبادئ هي :

أ- الدولة ورجال الدين

لقي رجال الدين في المجتمع الأندلسي اهتماما كبيراً و تعاملاً حسناً من الحكومـــة المركزيـــة في قرطبة، وكان ذلك للدور المُلقَى على عاتقهم في تنظيم وإدارة شؤون أبناء طائفتهم، فعند النصـارى- على سبيل المثال- كانت الحاجة ملحة إلى القساوسة والرهبان في تعميد أبناء النصارى، إضافـــة إلى أهمية وجود الشمامسة والأساقفة لعقد الطقوس والصلوات الدينية[2]، وليس ذلك وحسب فقد لعـب العديد منهم أدوراً هامةً في السياسة الخارجية للدولة الأموية كوسطاء وسفراء ومتراجمين[3] للحكـــام مع الدول النصرانية المجاورة حتى منتصف القرن الرابع الهجري-(العاشر الميلادي)، نذكر منهم ربيـــع بن زيد الأسقف[4]، الذي تعرفه المصادر النصرانية والأجنبية باســـم ريثمونـــدو[5] (Recemundo)، وعباس بن المنذر- جاثليق[6] ويعقوب بن مهران أسقف بجانة، وعبد الملك بـــن حســـان أسـقف ألبيرة[7]، زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هــ-٣٥٠هــ/٩١٢م-٩٦١م)، وعبـــد الله ابـــن

---

(١) لين بول - ستانلي، قصة العرب في إسبانيا، تعريب على حازم، دار المعـــارف، القـــاهرة، ١٩٦٠م، ص(٣٩-٤٠). وسيشار إليه لين بول- ستانلي، قصة العرب في إسبانيا.

(٢) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص(٦٥، ١٩٨).

(٣) Epalza, Mozarabe, P.P(154-155).
Ibid

(٤) ابن خطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني، ت(٧٧٦هــ)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام الموسوم بتاريخ اسبانية الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، ١٩٥٦، (٣٨). وسيشار إليه ابن الخطيب، أعمال الأعلام.

(٥) S.M.Imamuddin, Apolitical History, P(155)

(٦) الجاثليق : كلمة يونانية، وهي وظيفة دينية عند النصارى، يقول التنوخي :" وجمعها جثالقة، وهو متقـــدم الأســـاقفة"، أنظر التنوخي : أبو علي المحسّن بن علي، ت(٣٨٤هــ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشـالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، جـــ(١)، ص(٥٣). وسيشار إليه التنوخي، نشوار المحاضرة.

(٧) ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حيان، ت(٤٦٩هــ)، المقتبس، القسم الخامس ، تحقيق ب.شالميتا، المعـــهد الاسباني العربي الثقافي، مدريد، ١٩٧٩، ص(٤٦٧). وسيشار إليه ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا.

القاسم مطران طليطلة في عهد الخليفة الحكم المستنصر[1] (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م) اضافة إلى الجهود الدبلوماسية لحاخام اليهود في قرطبة زمن الخليفة الناصر لدين الله حسداي بن اسحق بن شبروط[2].

هذه المهام السابقة تطلبت من الحكومة المركزية أن تنظر إلى رجال الدين نظرة اهتمام ورعاية، فنجدها تسمح بتنصيب قساوسة وأساقفة وحاخامات جدد كلما استدعت الحاجة[3]، كذلك أبقى بنو أمية على الوظائف الدينية المتبعة ضمن الطائفة دون أي مساس بها، فعند النصارى بقي السلم الكهنوتي كما هو، ولم يتغير سوى تسمية الوظيفة وذلك بسبب استعراب ألسن العامة أما الترتيب فهو[4]:

- مطران أو البطريارك[5] (Metropolitanus).
- أسقف (Episcopus).
- أرج برشبطر Archi-presbiter
- أرج دياقن Archi-diaconus[6].

وكذلك نجد الدولة تعفي رجال الدين الفقراء من أداء الجزية، ولقد احتفظ رجال الدين بملابسهم وأزيائهم الخاصة دون أي تقييد أو اعتراض على ذلك[7]، ونجد الحكومة المركزية في قرطبة تهتم بتنصيب كبراء ورؤساء الطوائف الإثنية، وتعتبره من اختصاصها حيث كانت تضمهم إلى بلاط القصر الحاكم في العاصمة[8]، فلقد كان الأسقف في قرطبة يمثل كبير الأساقفة في الأندلس يذكر المستشرق ليفي بروفنسال أنه عندما أراد العرب تنصيب أبّه (Oppa)- أخو الملك

---

(1) ابن خلدون، العبر، جـ(٨)، ص(٣١٤). دوزي، المسلمون في الأندلس، جـ(٢)، ص(٦٢).

(2) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص(٤٥٤،٤٦٦).

M.Imamuddin, Apolitical History, P(146-147).

(3) **Epalza, Mozarate, P(154)**

(4) **Simonet, Historia de Los Mozarbes, Tome (1), P.P(106-107).**

(5) أنظر الملحق رقم (٣).

(6) وهي رتبة مساوية للخور أسقف -معاون المطران- أنظر حنانيا إلياس، مجموعة الشرع الكنسي، ص(٦٦).

(7) **Epalza, OP.Cit, P(155).**

(8) في المقابل-كان الحاكم القوطي سابقاً يتولى تعيين جميع الأساقفة والكهنة في جميع الطوائف وفي شتى أنحاء البلاد، كما كان يسيطر على الصلاحيات المناطة بهم سيطرة تامة وبقبضة من حديد، الأمر الذي أثار رجال الدين والعامة ضد حكمهم المستبد. أنظر

Hillgarth, Visigothic Spain, P(8)

غيطشة- مطراناً لطليطلة، لم يرض النصارى بذلك، واحتجوا عليه وأقاموا مطراناً آخر هو أربانو(Urbano) فرضي به العرب و لم يعترضوا[1]، وهذا يدل على تسامح العرب، وعندما توفي المطران وسترميرو (Wistremiro) في عام (٢٤٤هـ/٨٥٨م) انتخب الأساقفة أيولوخيو(Eulogio) مطراناً[2]، فاحتج الأمير محمد بن عبد الرحمن عليه، ولكنه بقي حتى أعدم في شهر مارس من العام التالي بسبب تحريضه على شتم الرسول ﷺ علانية وقذف الاسلام من خلال أحداث فتنة المستعربين[3].

و لم يقتصر الاهتمام بكبار رجال الدين على النصارى دون اليهود فهذا المستشرق ريموند تشندلين يطلق على حسداي بن شبروط لقب -حاخام بلاط الأندلس اليهودي- (Andalusi Jewish Cortier, rabbi)[4].

مما سبق، يتضح لنا مدى حرص واهتمام الدولة في قرطبة على المشاركة في تعيين كبار الطوائف الدينية، وضمهم إلى البلاط الحاكم، الأمر الذي يثير المستشرق، رينهارت دوزى، فيعتبره تدخلاً وتقييداً للنصارى في اختيار زعمائهم الدينيين[5]، وهذا أمر غير صحيح، لأنه ليس إلا إجراءاً إدارياً، وتنظيماً لشؤون طوائف الذمة في علاقتهم مع الدولة، وهو حق مكتسب للسلطة في سبيل توطيد دعائم الدولة[6].

ب- الدولة والأماكن المقدسة.

مر بنا سابقاً أن المسلمين سمحوا لنصارى الأندلس بالحفاظ على كنائسهم وأديرتهم وأماكنهم المقدسة وفق تنظيماتهم الدينية[7]، باستثناء تلك التي شاركوهم بها بإنشاء مساجد جامعة بشطر

---

(1) بروفنسال، حضارة العرب في إسبانيا، ص(١٠٢).

(2) Roger Collin, **Early Medieval Spain**, New York, St. Martin's, Press, 1983, P(203)

وسيشار إليه Collin, Early Medieval Spain

(3) سيرد في الفصل الثالث تفصيلاً وافياً عن هذه الفتنة.

(4) Scheindlin, **The Jews in Muslim Spain**, P(190)

(5) دوزى، **المسلمون في الأندلس**، جـ(٢)، ص(٢٨١).

(6) عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص(٦٤).

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية**- بحث منشور في مجلة عالم الفكر، وزارة الاعلام، الكويت، المجلد (١١)، العدد الأول، يونيو ١٩٨٠، ص(٩٦). وسيشار إليه عاشور، الحياة الاجتماعية.

منها كجامع قرطبة[1] وجامع طليطلة[2]، ولقد حرص المسلمون من خلال عهودهم ومواثيقهم لسكان البلاد المفتوحة المحافظة على هذه الأماكن المقدسة وعدم التعرض لها بالهدم أو التخريب[3].

ولقد صان بنو أمية –خلال حكمهم للبلاد– هذه العهود و المواثيق وحرصوا على عدم المساس بأي من الأماكن المقدسة للطوائف الأثنية في الأندلس، ففي أحداث سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م[4] نجد ان عبد الرحمن الداخل عندما لاحظ أن جامع قرطبة قد ضاق بالمصلين،ويحتاج لتوسعةٍ، نجده يستدعي قساوسة كنيسة القديس بنجنت (Saint Vincent) المجاورة ويشاومهم على شراء الشطر الآخر من الكنيسة ولقد تم له ما أراد بعد أن شرطوا عليه الموافقة على إعادة بناء كنيسة شنت أجلح[5] (Saint Aciscul)، هذه الحادثة تشير إلى حرص الحكومة المركزية–رغم سطوتها وسيادتها– على موافقة رجال الدين النصراني لبيع شطر الكنيسة قبل ضمها .

وتشير الدراسات و المراجع النصرانية[6] أن أعداد الأسقفيات و الكنائس التي انتشرت في أنحاء الأندلس خلال الحكم الأموي قد بلغت نيفاً وثلاثين مطرانية (أبرشية) وأسقفية موزعة كالتالي:

١–المطرانيات (أبرشيات):طليطلة (Toledo)–ماردة (Me`rida)–أشبيلية (Sevilla).

٢–الأسقفيات: وادى آش، آركبيقة (Arcavica) ، استجه(Baeza)[7]، شذونة (Sidonia)، برشلونة(Barcenona) ،بسطه(Baza)، بياسه(Baeza)، بقسترة(Bigastro)،

---

[1] تذكر المصادر ان بناء جامع قرطبة تم بعد فتح المسلمين لمدينة قرطبة (Cordova) وذلك بتوجيه وإشراف الحنش الصنعاني، وهو تابعي دخل الأندلس مجاهداً في جيش موسى بن نصير. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،جـ(٤)،ص(٤٩٢). وكان بناؤه بسيطاً قائماً على شطر كنيسة القديس بنجنت على نهر الوادي الكبير(Guadaiquivir)، عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، ص(١٤). السيد عبد العزيز سالم، **في تاريخ حضارة الإسلام في الأندلس**، موسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨٥م: ص(١٦٢). وسيشار إليه سالم، في تاريخ حضارة الإسلام. عبد الواحد المراكشي، المعجب،ص(١٤).

[2] بناه المسلمون مكان كنيسة القديسة ماريا (Santa Maria) والتي أحرقها القائد مغيث الرومي اثناء عملية الفتح الإسلامي بعد أن إلتجأت اليها حامية قوطية. مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص(١٢–١٤). المقرى، **نفح الطيب**، جـ(١)،ص(١٢٣).

[3] عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص(١٩٨).

[4] ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن عي بن محمد (ت٦٣)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر،بيروت، ١٩٦٥م، جـ(٧)، ص(١٠٩). وسيشار إليه ابن الأثير، الكامل.

[5] عريب – زيد، **تقويم قرطبة**، ص(١٦٧).

[6] **Simonet, Historia de mozarabe , Tome(1),P.(122). Epalza, mozarabes P.(154).**

[7] ابن عذارى، **البيان المغرب**، جـ(٣)،ص(٧١).

قلهرة(Calhrra)، قورية(Coria)، سرقسطه(Sarracosa)، مدينـــة المـــائدة(Alcala de Henares)، ألبـــيرة (غرناطـــــة) (Elvira) ، جرنـــــده(Gerona)، ألـــــش(Elch)، قرطبة(Cordova)[1]، قبــــيره(Cobera)، قلمريـــة (Coimbra)، بلنســـية (Valencia)، أرقلة(Urgel)، أوسمة(Osma)، شيّة(Sxea)، أرشــــي(Urchi)، ســيجونثيا(Siguenza)، مارتش(Martos)، طالقه(Talica).

وهناك العديد من الأديرة والكنائس التي انتشرت في شتى أنحاء البلاد، منها دير تلة العسل(Pinna Mellavia) ودير أرملاط(Goerobium Armi Latense)[2] نسبة إلى نهر أرملاط المجاور لها، وهو الدير الذي ضم جسد ايولوخيو(Eulogio)عرّاب فتنة المســـتعربين في الأندلـــس قبـــل نقلـــه إلى أبيط(Oviedo) في عام (٢٧١هـــ/٨٨٤م).

ومن الكنائس المشهورة في الأندلس كنيسة القديس أجلح[3](Saint Acíscly) علـــى الشـــاطئ المقابل للوادي الكبير، وكنيسة القديس قرشتوبل(Saint Christophorus) وذلك إضافة إلى وجود عدد لا بأس به من الشنوغات لأداء صلوات اليهود، حيث سمح المسلمون لليهود بإنشاء العديـــد منها في جميع أنحاء البلاد،ومنها الشنوغة التي بناها إسحاق بن عزرا بن شبروط-والد الطبيـــــب المشهور حسداي- في مدينة قرطبة[4].

هذا الكم من الأبرشيات والأسقفيات والشنوغات يدل على مدى التسامح الديني الذي حظي به أهل الذمّة في الأندلس خلال الحقبات المتتالية بعد ذلك.واهتم المسلمون كذلك بمزارات وأضرحـــة لنصارى في الأندلس،ومن أشهرها ضريح يعقوب الحـــواري[5] في مدينـــة شـــنت يـــاقب[6]- (Santiago Compostela)، وهذه المدينة غزاها المنصور بن أبي عامر في (جمادي الآخرة

---

[1] الحميرى، صفة جزيرة الأندلس،ص(١٥).

[2] القزويني، آثار البلاد،ص(٥٥٢).

[3] نسبة إلى القديس أجلح المقتول على يدي الوالي بقرطبة. عريب - زيد، تقويم قرطبة، ص(١٦٧).

[4] Collin, Early Medieval Spain, P.(203).

[5] هو يعقوب الحواري ابن زبيدي أو زبدي(zabedee) احد حواري المسيح الإثنى عشر، ومن تلاميذه المقربين، لقب بأخ المسيح.انظر

Abderhaman Ali Hajji, Christian States in northern Spain during Umayyad Period. بحث منشور في Islamic Quarterly , London , Islamic Cultural Center, 1965, vol(9) , nos 1-2,P.(49).

وسيشار اليه Hajji, Chr.Stat

[6] شنت ياقب: هي كنيسة عظيمة عندهم، من ثغور ماردة، وهي مبنية على جسد يعقوب الحواري. انظر الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص(١١٥-١١٦). الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، جـــ(٢)، ص(٧١٨).

٣٨٧هـ/أغسطس٩٩٧م)[1]، فوجدها خالية وقد فر سكانها عندما سمعوا بقدوم المسلمين، و لم يجد بها غير عجوز ناسك يجلس بجوار قبر الحواري، فسأله المنصور:"ماذا تعمل هنا؟" فرد الناسك:"أؤنس يعقوب" فرقّ له قلب المنصور وقال له:" أقم على إيناسك" و لم يلمسه بأذى، ويضيف رينهارت دوزي:" وأقام المنصور حامية على القبر حتى لا تمتد إليها يد الجند"[2]. وهذا دليل عملي على إهتمام المسلمين وعنايتهم بهذا المزار.

وهناك قضية جديرة بالملاحظة، وهي أن أمراء بني أمية نقلوا مركز المسيحيين في الأندلس، من العاصمة السياسية والدينية القديمة طليطلة إلى العاصمة الجديدة قرطبة[3]، في حين احتفظت طليطلة بكرسي المطرانية الكبرى و لم ينقل.

هذا الإجراء نجده لا يروق لعدد من المستشرقين، على رأسهم رينهارت دوزي[4]، وفرانسيسكو خافيير سايمونيت[5]، وخوليان ريبيرا، الذين لم يجدوا في هذا العمل إلا التعصب والتدخل في شؤون النصارى في الأندلس، وأنّ هناك تقييداً من المسلمين بالحريّات الدينية، ومن الغريب حقاً أن هؤلاء المستشرقين لم ينظروا إلى هذا الإجراء على أنّه خطوة نحو التنظيم الإداري، والتنسيق الطائفي الذي دعت إليه الحاجة للإتصال و التواصل ما بين الحكومة المركزية في قرطبة وبين أبناء الطوائف الذمّية[6].

جـ ـ الدولة والتنظيم الإداري لأهل الذمّة.

اهتمت الحكومة في قرطبة بعدم التدخل في التنظيمات الإدارية الداخلية عند أهل الذمة، فنجدها تبقي على نظام دويلات المدن[7](City states)كوحدة ادارية معتمدة في المدن ذات الطابع النصراني وقديماً أطلق على هذا النظام(البلديات)، وهو نظام كان قائماً منذ العهد الروماني، وامتد زمن الحكم القوطي حتى الفتح الإسلامي للبلاد، غير أن هذا النظام أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً

---

(1) حسين مونس، رحلة إلى الأندلس،ط(١)، مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٩٦٣م، ص(٣٠٩) وسيشار إليه مونس، رحلة إلى الأندلس، ابو دياك، الوجيز، ص(٣٨٤).

(2) دوزي، المسلمون في الأندلس،جـ(٢)،ص(١٤٠-١٤١).

(3) مونس، فجر الأندلس،ص(٤٩٥).

(4) دوزي، المصدر السابق،ص(٢٨١).

(5) Simonet, **Historia de los mozarabes**, Tome (1). P.(122).

(6) Epalza, Mozarabe,P.(155). S.M.Imamuddin, Apolitical History, P(122).

(7) مونس، فجر الأندلس، ص(٤٥٩).

مع اعتناق الكثير من السكان للإسلام، وبالتالي الانصهار في بوتقة حكومة مركزيـــة، ووحـــدة سياسية، مركزها العاصمة قرطبة.

ظهر أمر الاستقرار السياسي للأندلس جلياً في قرار إعلان الخلافة الإســـلامية في الأندلـــس، والمناداة بعبد الرحمن الثالث خليفةً للمسلمين وذلك سنة(٣١٣هــ/٩٢٦م)[١]، ولقد تبـــع هـــذا القرار استقلالاً تاماً للأندلس عن المشرق الإسلامي وبالتالي ظهور الشخصية الأندلسية المتمـــيزة، كما ترتب على هذا الاستقلال السياسي استقلالا اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً حتى على مســـتوى الطوائف الدينية فلقد علق المستشرق خوان فيرنيت في بحث له بعنوان-هل هناك أصـــل عـــربي أندلسي لفن الخرائط البحرية؟ قائلاً:" ومن الطريف أن هذه النزعة الاستقلالية الروحية لم تلبث أن سرت أيضاً بين أهل الذمة، إذ تروي المصادر العبرية أن الجاليات اليهودية الأندلسية أسرعت بعـــد إعلان خلافة عبد الرحمن الناصر بإلغاء تبعيتها الروحية للأكاديميات اليهودية ببغداد"[٢].

وفيما يلي عرض للتنظيمات الإدارية عند أهل الذمة.

أولاً : النصارى Cristians

أ. القومس[٣] .Comes

---

[١] المقري، نفح الطيب، جــ(١)، ص(٣٥٣).

[٢] خوان فيرنيت، هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط البحرية؟، بحث منشور في مجلة معهد الدراسات الإســـلامية، مدريد، العدد الأول، للعام ١٩٥٣م، ص(١٩٣). وسيشار إليه فيرنيت، هل هناك أصل عربي.

[٣] عُرف منصب القومس في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي في البلاد، حيث تذكر لنا الدراسات أن المجلس الملكي في طليطلة بـــ Aula Regia ضم إلى جانب كبار موظفي القصر والنبلاء والأساقفة ستة من قوامس العاصمة هـــم : قومـــس الخزانة Comes Theasaurorum وقومس المواريث الملكية Comes Patrimonii وقومـــس الحـــرس Comes Spatariom وقومس الإسطبلات Comes Stabuli وقومس البلاط Comes Gubiclariorum، وكانت تلـــي مرتبة الدوق. أنظر .Ocalloghan, Ahistory Of Medieval Spain, P(60) ومن المستغرب حقـــاً أن تشـــير بعض الدراسات الحديثة إلى أن وظيفة القومس هي وظيفة استحدثها الأمويون متأثرين بنص ذكره ابن القوطية تحـــدث فيه عن ارطباس بن غيطشة قائلاً:" وولاه-الأمير عبد الرحمن الداخل- القِمّاسة، فكان أول قومس بالأندلس". أنظر ابـــن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٩٤).

ويرد حسين مؤنس على هذا الإدعاء قائلاً:" ولكن صورة الخبر الذي يتضمن هذا اللقب عند ابن القوطية تدل على أن الوظيفة كانت قديمة، والجديد هو اللقب". أنظر مؤنس، فجر الأندلس، ص(٤٦٠). وهذا الرأي ما أميل اليه، بدليـــل ما ذكره ابن حزم أن من القوامس الذين عاصروا دولة القوط ودولة العرب معاً قسي الذي كان قومساً للثغر، وإليـــه ينسب بنو قسي في الثغر الأعلى خلال القرن الثالث الهجري. أنظر ابن حزم، جمهرة انســـاب العـــرب، ص(٥٠٢-٥٠٣).

وهو متزعم النصارى في المجتمع الأندلسي، ومتولي شؤونهم، ولقد أطلق على القومس في العاصمة قرطبة لقب(قومس الأندلس) في حين كان لكل مدينة في البلاد قومساً خاصاً بها تنتخبه الجماعة النصرانية، وتختاره بنفسها، وقديماً كان الحاكم القوطي يتولى تنصيب هؤلاء القمامسة من بطانته وأصدقائه المقربين.

خلال حكم المسلمين للبلاد اكتفى الحاكم بتنصيب قومس قرطبة كقومسٍ أعلى للأندلس كلها دون أن يكون له أمر تعيين قمامسة المدن الأخرى أو أن يكون له سلطة عليهم، فهو ليس أكثر من منصب فخري[1].

ومن المهام الملقاة على عاتق القومس ما يلي :

١. تولي الشؤون المدنية الخاصة بالنصارى، وتمثيلهم أمام السلطة السياسية والقضائية[2] في البلاد.

٢. جمع الجزية والخراج-أحياناً- لصالح المسلمين[3].

٣. القضاء بين النصارى-أحيانا- وفق أحكام القوط القديمة[4].

٤. المشاركة في الأنشطة والفعاليات السياسية والدبلوماسية من خلال استقبال ملوك الدول المجاورة وسفرائهم بالاضافة إلى مرافقتهم كمترجمين. وهنا نذكر دور القومس معاوية بن لب زمن الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م)[5].

---

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص(٢٦٨) مؤنس، المصدر السابق، ص(٤٦٠).

(٢) ذكر القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل في أحكامه الكبرى قضية مفادها أن عجم أهل أبطليش – قريـة من قرى الأندلس- أقاموا دعوة ضد امرأة اسمها أسماء بنت جبون، ومثّلهم في هذه القضية القومس. أنظر ابن سهل : أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي، ت(٤٨٦هـ)، **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس من مخطوطة الأحكام الكبرى**، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للإعلام، القاهرة، ١٩٨٠م، ص(٥٨). وسيشار اليه ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة.

(٣) يورد ابن الخطيب ان ارطباس كان "قومس الأندلس، وزعيم عجم الذمة، ومستخرج خراجهم لأمراء المسلمين". ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ(١)، ص(١٨).

(٤) J.B Burry, **The Cambridge Medieval History**, London ,Combridge University Press, 1957, vol(3).P.P (29-30)

وسيشار إليه Burry ,Camb. Med. His

(٥) ابن حيان، **المقتبس في اخبار أهل الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي حاجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ص(١٨). وسيشار إليه ابن حيان ، المقتبس، تحقيق حاجي.

ومن أشهر من تولى قمامسة الأندلس أرطباس بن غيطشة" الذي كان له مجلسٌ فخمٌ مهيب اتخذ فيه كرسيّا مصمداً بالذهب والفضة"[1] وكان مجلسه يحضره وجوه العرب وعليةُ القوم طلباً لكرمه وسعياً لوصاله،وفي عهد الحكم الربضي(١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م) نسمع عن القومس ربيع بن توديلفو(Rabi b.Teodulfo) والذي كان أثيراً عند الحكم ورفيقاً له[2]، وفي بداية حكم الأمير عبد الله (٢٧٥هـ-٣٠٠هـ/٨٨٨م-٩١٢م) كان قومس الأندلس يدعى حجاج أو حسان[3] الذي أمر بصلبه بعد أن هرب ابنه شربند وانضم إلى الثائر عمر بن حفصون[4] في ثورته ضد الأمير، وتلاه في القماسة حزمير(Hazemir) الذي علا نجمه عند الأمير، غير أنه تورط بدوره في ثورة ابن حفصون وحبس ولقد ظل في سجنه إلى أن توفى سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م)[5].

ب-قاضي العجم[6].

ويلي القومس في السلك الإداري للنصارى، سمي قديماً زمن القوط يودكس[7](Judex)، ثم حلت محلها التسمية العربية-القاضي- وسرعان ما دخلت إلى اللغة القشتالية(Alcade)[8] وظلت بها حتى يومنا هذا.

ومهمة قاضي العجم هي الفصل في المنازعات و الخصومات التي تدبّ بين النصارى وفق القوانين الخاصة بهم-وسيرد لاحقاً تفصيل هذه الوظيفة-.

جـ-المشرف(Alamosrif).

---

[1] ابن القوطيه، تاريخ افتتاح الأندلس،ص(٩٤-٩٥).

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ص(٩٦).

[3] ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالينا،ص(٩٢).

[4] وهو عمر بن حفص الشهير بابن حفصون، وكان من الخوارج القائمين بالأندلس بأعمال رية، اصله من المولدين، كان رجلاًشجاعاً، أتعب السلاطين وطال أمره لأنه تحصن بقلعة ببشتر(Babastro). الحميدي، جذوة المقتبس، جـ(٢)،ص(٤٧٦-٤٧٧). الضبي، بغية الملتمس،جـ(٢)،ص(٥٣٠).

[5] ابن عذاري، البيان المغرب،جـ(٢)،ص(١٤٢).

[6] O'Calloghan, History of medicval Spain ,P(151).

[7] مونس، فجر الأندلس،ص(٦٤٢).

[8] المصدر نفسه.

وهي وظيفة يتولى صاحبها الإشراف على شؤون المال في الناحية، وانتقل لفظها إلى عجمية أهل الأندلس-اللطينية[1]-في صور مختلفة منها (alamosrif) و (almossarif) و (almoxerife) وأخيراً (almoxrife)[2] والتي استقرت في اللغة القشتالية على اللفظ الأخير.

د-مستخرج الخراج[3](Exeptor).

وهو الموظف المسؤول عن جمع الضرائب و الجزية والخراج لصالح المسلمين، وهي وظيفة حلت محل قومس الخزانة (Comes Thesaurorum) في العهد القوطي[4]، وعرف بعجمية أهل الأندلس بـ(Exeptor).

ثانياً : اليهود Jews

لا تسعفنا المصادر الإسلامية ولا العبرية بالمعلومات الكافية عن التنظيم الإداري لليهود في الأندلس، فرغم ما تميز به وضع الطائفة في البلاد من استقلال وحرية ورخاء اقتصادي وفكري ، إلا اننا نجد ندرة في المعلومات عما كان عليه الحال داخل مجتمعاتهم المحلية. ولعل السبب الرئيسي في هذه الندره يعود إلى طبيعة المجتمع اليهودي المنغلق، القائم على الإنعزال و التقوقع داخل تجمعات سكنية لهم في المدينة الإسلامية، من ذلك اننا نجد في كل مدينة أندلسية سكنها اليهود حيّاً خاصاً بهم عُرف "باليهودية" أو حيّ اليهود-أنظر الملحق رقم (٤)- ولقد أطلق المسلمون على اليهود اسم الجماعة[5](aljama)في النواحي الداخله تحت الحكم الإسلامي، وفي المناطق التي لا تخضع لحكم المسلمين كان يطلق عليهم في الغالب لفظ كحال(Kahal)العبرّية[6].

أ- المقدم أو النعمان [7](No'man).

---

(1) هي لغة الـ(Romaance)، وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية وتكونت منها اللغة الإسبانية. أنظر المصدر نفسه.

(2) Simonet, **History de Los Mozarabe**, Tome (1), P(108)

(3) **Ibid**

(4) مونس، فجر الأندلس ،ص(٤٦٣).

(5) مونس ، المصدر السابق،ص(٥٢٥).

(6) Abraham .A. Neuman, The Jews in Spain, Philadelphia, The Jewish publication society of America, 1948.P.(20).

وسيشار إليه Neuman, The Jews in Spain .

(7) مونس، المصدر نفسه. وتطلق المصادر العبرية على رئيس الجالية اليهودية في الدولة الإسلامية لقب ناجد

Isidor singer, The Jewish Encyclopedia, U.S.A., KTAV publishing House,vol(5), p.p(67-69).

وسيشار اليه singer, The Jewish Encyclopedia

وهو زعيم الجماعة اليهودية، وكان يعين من قبل البلاط في قرطبة[1]، وأطلق عليه أيضاً البُرور، وله مجلس يسمى البروريم-البرورين- ويبدو أن مهام المقدم لم تختلف كثيراً عن مهام قومس النصارى من رعاية شؤون أبناء الطائفة واستخراج خراجهم، اضافة إلى تمثيلهم امام السلطة في قرطبة.

ب- الأمير[2](nasi).

مصطلح (nasi) هو ذو أصل عبريّ، أُطلق على المتنفذين من اليهود في البلاط الحاكم، ولا نجد وصفاً وظيفياً دقيقاً للمهام المناطة بالـ nasi ، و قد يكون لقباً فخرياً لممثل اليهود في البلاط الأموي، وممن تلقب بهذا اللقب الطبيب أبو يوسف حسداي بن اسحاق بن شبروط زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر[3] (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م).

جـ- المستشارين (الواعظين)[4].

وهم بطانة المقدم وحاشيته من المقربين و الناصحين، يعرفون باليوعاظيم-الواعظين-وعليهم تقديم المساعدة والنصح والإرشاد لزعيم الجماعة اليهودية في أداء مهامه.

الوظائف الرسمية والمهام الدبلوماسية التي شغلها أهل الذمة.

مر بنا سابقاً كيف أن الشارع الإسلامي أجاز الإستعانه بأهل الذمة واستعمالهم في بعض وظائف الدولة دون الولايات العامة-كالخلافة و وزارة التفويض والقيادة العامة للجيوش- كونها وظائف مشروطة بإسلام المكلف[5].

وفي الأندلس، لم تذكر المصادر الإسلامية ولا النصرانية معلومات وافية حول الوظائف الرسمية التي شغلها الذمّيون في ظل الدولة الإسلامية، ولا يوجد بين أيدينا سوى بعض الإشارات المتناثرة هنا وهناك عن حالات فردية تولى فيها ذمّي عملاً رسمياً لخليفة مسلم مع بقائه على يهوديته أو نصرانيته وربما كان السبب في ذلك الأمر يعود إلى حساسية المجتمع الإسلامي وأفراده من أن يتولى كتابي أو مشرك أمراً من أمور دنياهم.

---

(١) Roth, Encuclopedia Judaica, vol(12). P(835)

(٢) .OP.Cit. P(535)

(٣) Singer, OP.Cit,vol(6),P(248).

(٤) مونس ، فجر الأندلس ،ص(٥٢٥).

(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص(٨٣-٨٦). ابن الأثير، الكامل،جـ(٩)، ص(٨١-٨٢). عاشور، الحياة الإجتماعية في المدينة العربية، ص(٩٦).

ويذكر لنا ابن القوطية خبراً بأن الأمير محمد[1](٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م) أمضى رجال أبيه على الوزارة، وعلى الكتابة عبد الله بن أمية بن يزيد[2] نحو عامين، ثم مرض فلم يتمكن من الركوب إلى الأمير أعواماً، أقام فيها الأمير قومس بن انتنيان النصراني للكتابة، وعاب عليه الوزير هاشم بن عبد العزيز[3] استعماله لذلك النصراني قائلاً:" إن من أعجب العجب أن يبلغ خلائف بني العباس في المشرق أن بني أمية بالمغرب اضطروا في كتابتهم العظمى وقلمهم الأعلى أن يولوا قومساً النصراني ابن انتينان بن يليانه النصرانية"[4]، فقال الأمير محمد :" لو أن قومساً كان مسلماً ما استبدلناه"[5].

ومن الوظائف التي شغلها ذمّيون في حكومة بني أمية وظيفة فرض الضرائب، حيث ولى الحكم الربضي[6] (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م)القومس ربيع بن توديلفو (Rabi b.Teadulfo) أمر الضرائب على العامة "وسوغه افتراض المعاون[7] والمغارم[8] على المسلمين"[9]، ويبدو أن ربيعاً كان ظالماً متجبراً على الناس متعدياً على حقوق الرعية، مما أثار الغامة ضده وعلى الأمير الحكم، فكان ذلك من أسباب ثورة الربض في قرطبة[10]، كما كان للحكم نفسه مغنٍ يهودي اسمه(أبو

---

[1] خامس أمراء بني أمية في الأندلس-انظر الملحق رقم(٥)-.

[2] هو عبد الله بن أمية بن يزيد بن حوثرة مولى معاوية بن يزيد بن عبد الملك، بيت كتابة لبني أمية بالأندلس، تناسق بعبد الله ثلاثة منهم ما بينه وبين جده أمية بن يزيد كاتب عبد الرحمن الداخل، توفي سنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م). أنظر ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص(١٧٠).

[3] هاشم بن عبد العزيز، أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز، معروف بفضله وأدبه، يُكنى أبو خالد. أنظر الضبي، **بغية الملتمس**، جـ(٢)، ص(٦٥٢). ابن الآبار، **الحلة السيراء**، جـ(١)، ص(١٣٧-١٤٢).

[4] ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(١٢١).

[5] المصدر السابق، ص(١٢٠).

[6] ثالث امراء بني أمية بالأندلس- انظر الملحق رقم (٥).

[7] المعاون : ضريبة يدفعها العامة عند اللزوم معاونة للدولة. هشام أبو رميلة **نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية بالأندلس**، دار الطباعة العربية ،القدس، ١٩٨٠م، ص(١٥٤)، وسيشار إليه أبو رميلة، نظم الحكم.

[8] المغارم : وهي ضريبة يفرضها الحاكم على الناس وقت الحاجة أو كعقاب لهم على أمور ينكرها عليهم ولهذا تسمى مغارم سلطانية، وتدفع عيناً، ويبدو ان أهل الأقليم الواحد يتحملون جمع قيمتها. ومن ذلك ما ذكره ابن عذارى وفي شهر صفر ٣٥٣هـ/٣٥٣م، "الغى الخليفة الحكم المستنصر هذه المغارم عن أهل سبته وجعل ما عليها يتحمله سكان اشبيلية". ابن عذارى، **البيان**، جـ(٣)، ص(١٢٣،١٣٧،٢٢٧). مولف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص(١٢٩-١٣٤).

[9] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص(١٥).

[10] المصدر نفسه. احمد إبراهيم الشعراوي، **أمراء الأندلس الأول** ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م. ص(٢٤٢). وسيشار إليه الشعراوي، أمراء الأندلس.

النصر منصور) حظي بثقة الأمير فبعثه إلى بغداد رسولاً إلى المغني زرياب[١] المشهور يستدعيه للقدوم إلى بلاطه في الأندلس، حيث نجح منصور في مهمته[٢].

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م) تولى قومس ابن انتنيان خطة الكتابة وكان جليس الأمير وأمين سره وممثله في المجمع الديني الذي عقد لمناقشة فتنة المستعربين في قرطبة عام ٢٣٧هـ/٨٥٢م[٣].

وتعتبر خطة الوزارة أهم الوظائف التي شغلها الذمّيون إطلاقا، ففي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) تولى يحى بن اسحاق الطبيب الوزارة وهو من أصل نصراني، وكان ذلك في سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م[٤].وقبل ذلك عينه على الشرطة الصغرى[٥] في عام ٣٠٢هـ/٩١٤م، وفي عام ٣٠٤هـ/٩١٦م أضاف اليه خطة الرد[٦] فجمع بينهما[٧].

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر[٨] (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) سطع نجم الطبيب اليهودي أبو يوسف حسدي بن اسحق بن شبروط، وأصبح خليل الناصر ونديمه[٩] حيث أنه ولاّه إدارة ماليةً من المحتمل أن تكون إدارة الجمارك، وأضاف اليها فيما بعد خطة الكتابة[١٠].

---

(١) هو الحسن أبو علي بن نافع، لقب زرياب تشبها بالطير لسمرة بشرته وبيان لسانه وحلاوة شمائله، كان شاعراً موهوباً، وتلميذاً نابغاً لإسحاق الموصلي مغنى هارون الرشيد، المقرى ، **نفح الطيب**،جـ(٣)،ص(١٢٢-١٣٣)، خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، جـ(٥)،ص(٢٨) وسيشار إليه الزركلي،الأعلام.

(٢) ليفي بروفنسال، **الشرق الإسلامي و الحضارة العربية الأندلسية**، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥١م، ص(٢١). وسيشار إليه بروفنسال، الشرق الإسلامي.

(٣) O'calloghan, Ahistory of Medieval, P(111).S.M.Imamuddin, Apolitical, P(106).

(٤) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالمتا، ص(١٨٢).

(٥) وهي إحدى مراتب خطة الشرطة إلى جانب كلٍّ من الشرطة العليا والشرطة الوسطى وظهرت هذه المرتبة في عام (٣١٧هـ/٩٣٠م) في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وأول من تولاها كان سعيد بن سعيد بن حدير. أنظر عنان، **دولة الإسلام في الاندلس**، والعصر الأول، القسم الثاني، ص(٦٨٥).

(٦) خطة الرد من الخطط القضائية التي تميز بها الأندلس عن سائر الأقاليم الإسلامية يذكر ليفي-بروفنسال نقلاً عن ابن سهل:"أن الرد كان من بين الخطط الستة التي تخول لمتقلدها سلطة إنقاذ الأقضية، وهي القضاء والشرطة والمظالم والرد والمدينة والسوق" ويعلل ابن سهل تسميته الرد :" وإنما كان-صاحب الرد- يحكم فيما استرابه القضاة ورده عن أنفسهم" أنظر **Levi-Provencal, Histoire**, Tome (3),P.P(143-145)

(٧) ابن حيان، **المصدر السابق** ، ص(١٣٤).

(٨) ثامن حكام بني أمية، وأول من نادى بالخلافة الأموية في الأندلس- انظر ملحق (٥).

(٩) Scheindlin, **The Jews in Muslim Spain**, P(190)

(١٠) ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق شالميتا، ص(٤٥٤).

وتشير المصادر إلى وجود العديد من الوظائف المساعدة، والتي تولاها من أهل الذمـــة، منـــها مساعدة صاحب بيت مال المسلمين[1]، وكان ممن عمل في بلاط الأمير عبد الرحمـــن الأوســـط (٢٠٦هـــ-٢٣٨م/٨٢٢م-٨٥٢م) رجل نصراني يدعى اسحاق، وهو من أسرة نبيلة[2]، وعندما تفاقمت فتنة المستعربين وازدادت مخاطرها، غضب الأمير عبد الرحمن على النصارى، وطرد مـــن قصره جميع المستخدمين منهم[3].

وهناك عددٌ من الوظائف التي حظر على الذمّي أن يتولاها، منها الخدمة في الجيش الإســـلامي، مع العلم أن في الممارسة كان هناك العديد من النصارى، كمرتزقة في الجيش[4]، وفي عصر الخلافة أضحت مشاركة المستعربين في جيش الدولة أمراً عادياً، فأستكثر المنصور بن أبي عـــامر منـــهم، وعندما كان يحدث نزاع بين نصراني وبين مسلم من جنوده، فإنه عـــادة مـــا كـــان ينتصـــف للنصراني[5].

ولعب أهل الذمة دوراً هاماً في النشاط الدبلوماسي خلال حكم بني أمية في الأندلس، حيـــث كلف الأمويون العديد من المستعربين واليهود في مهمات دبلوماسية وبسفارات رسميّـــة، وغـــير رسميّة إلى ملوك وحكام الممالك النصرانية المجاورة، ويؤكد المؤرخ جاكسون[6] أن امراء قرطبـــة كانوا يختارون لسفاراتهم المختلفة مع أوروبا وبيزنطة نفراً من المستعربين، سواء من النصـــارى أو اليهود الذين صقلتهم التجارب، وتمرسوا على أرفع أسلوب من الدبلوماسية، وحذقـــوا الحـــوار السياسي والدبلوماسية في العلاقات الدولية، ففي عام (٣٤٧هـــ/٩٥٨م)[7] بعث الخليفة عبـــد

---

(1) S.M.Imamuddin, The Economic History Of Spain Under Umayyad, Dacca, Asiatic Society Of Pakistan, 1963, P(396).
وسيشار إليه S.M.Imamuddin, The Economic History

(2) Collin, **Early Medieval Spain**, P(213).

(3) علي محمد حمودة، **تاريخ الأندلس السياسي**،دار الكتاب العربي، مصر، ص(٢٦) وسيشار إليه حمودة، تاريخ الأندلس.

(4) O'calloghan, **Ahistory of Medieval**, P(148).

(5) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص(١٦١).

(6) Jacksan, **The Making of Medieval Spain**, California, 1970 , P(30).
وسيشار اليه Jacksan, The Making of Medieval

(7) دوزى، المسلمون في الأندلس جـــ(٢)، ص(٥٢-٥٣).
Hajji, Chr.Stat., P.P(51-52). S.M.Imamuddin, A Political History, P(146)

الرحمن الناصر حسداي بن شبروط بمهمة دبلوماسية وعلاجية إلى بلاط الملكة طوطه (Dana-Totah) حاكمة نفارة (Navarre) وكان ذلك ردا على سفارتها التي وفدت إلى قرطبة طالبة المساعدة من المسلمين لاسترداد عرش ليون (Leon) إلى حفيدها شانجة السمين (Sancho The Fat) وعلاجه من السمنة الفارطة التي عانى منها وكانت السبب المباشر في خلعه وتولية ابن عمه أوردينو الرابع (Ordeno IV) مكانه.

ولقد نجح حسداي في إبراء شانجه من علته، وأقنع الملكة طوطه بالحضور إلى قرطبة في صحبة ابنها غرسية وحفيدها شانجة للقاء الخليفة الناصر شخصيا.

وفي عام (٣٢٨هـ/٩٤١م)[1] تمكن حسداي من إتمام مهمة دبلوماسية أخرى كلفه بها الخليفة الناصر، ألا وهي عقد السلم مع صاحب جليقية رذمير بن أردون، على الشروط التي ارتضاها الناصر لدين الله.

وكان من أمر جهود حسداي بن شبروط الدبلوماسية، وخدماته السياسية أن تبارى شعراء اليهود بالإشارة بها، فقال أحدهم مادحا حسداي[2] :

- طأطىء الهام أيها الجبل فهذا شيخ يهوذا حيالك.
- ولتمتلىء جميع الأفواه بالضحك والفرحة...
- ولتغن الأرض الجدباء ولتبتسم الصحراء ولتزهو الورود.
- فقد جاء شيخ الجميع ...

وفي عام (٣٤٤هـ/٩٥٦م) أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/ ٩١٢م-٩٦١م)ربيع بن زيد الأسقف- الذي تعرفه المصادر النصرانية باسم ريثموندو(Recemundo) إلى بلاط هوتو الأول(Otto 1) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وذلك ردا على سفارة الأخير إلى قرطبة في الوقت نفسه ، وكان سفير الإمبراطور إلى قرطبة هو جان دى جورز-أو يوحنا الجورزي-(John de Gorze)قد وجه تجريحا واحتجاجا ضد المسلمين، فكان أن أرسل الخليفة الناصر ربيع بن زيد في مهمة إلى بلاط الإمبراطور حتى يستوضح هل تلك الرسالة تعبر عن وجهة النظر الرسمية للإمبراطور،أم أن الأسقف المتطرف اهتبلها فرصة للإفصاح عما في صدره من غل وعداء للإسلام، ولقد تمكن ربيع من النجاح في مهمته، وبيان موقف الإمبراطور هوتو الأول المخالف لآراء الأسقف[3].

---

[1] ابن حيان المقتبس، تحقيق شماليتا، ص(٤٦٥).

[2] دوزي، ، تاريخ المسلمين في الأندلس،جـ(٢)، ص(٥٣-٥٤).

[3] وتضيف المصادر ان الناصر لدين الله قلد ربيع بن زيد أسقفية ألبيرة (Alvera) تقديرا لنجاحه في هذه المهمة.- **Early, Collin,Medieval, P(205).**

وفي عهد الحاجب المظفر عبد الملك بن منصور العامري، احتكمت اليه ملوك النصارى في أمر شجر بينهم، حيث توسط المظفر بين قومس قشتاله شانجه بن غرسيه- خال ألفونسو الخامس حاكم ليون- وبين قومس جليقية مندس بن غند شلب الوصي على عرش ألفونسو الخامس حاكم ليون الصغير، وكان شانجه يسعى لتنحية مندس عن الوصاية، فأرسل المظفر عبد الملك وفداً من زعماء النصارى على رأسهم أصبغ بن عبد الله بن نبيل الأسقف، الذي حكم لصالح مندس بن غند شلب[1]. وهنا نستنتج مدى ما وصلت اليه الحكومة الإسلامية في قرطبة من مكانة بين الدول، حيث أنها أصبحت مركز قوة يُحتكم إليه في الخلافات الدولية.

ولا بد لي من الإشارة إلى النشاط الدبلوماسي الذي قام به الرّحالة الشهير إبراهيم الإسرائيلي الطرطوشي[2]، ومدى مساهمته في تطور العلاقات بين حكومة قرطبة وبين أوروبا، رغم ما يراه عبد الرحمن علي حاجي "انها-السفارات- لم تكن ذات صفة رسمية أو شبه رسمية، وإنما هي مقابلات شخصية خاصة ومحدودة"[3]، ولقد تمكن الطرطوشي من الإلتقاء مع البابا يوحنا الثاني عشر(Pope John XII) في روما سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) ، وكذلك تقابل مع الإمبراطور هوتو الأول(Otto 1) في مدينة مذنبرج(Magdeburg) في صيف عام (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، ثم عاد إلى الأندلس في (٣٥٦هـ/٩٦٧م).

ولم يقتصر دور السفراء الذمّيين على المهام الدبلوماسية خارج البلاد مع الدول و الممالك النصرانية فقط، فعندما أراد الثائر عمر بن حفصون عقد السلم مع الخليفة الناصر لدين الله، بعث اليه الأخير وفداً للتفاوض على رأسه يحيى بن إسحاق الطبيب[4] ولقد استعان حكام بني أمية بالعديد من الزعماء والوجوه النصرانية كمترجمين ومرافقين أثناء المقابلات الرسمية مع ملوك وسفراء الدول و الممالك النصرانية ذكر منهم، وليد بن مغيث القاضي، عباس بن المنذر -جاثليق-[5] ، أصبغ بن عبد الله بن نبيل الأسقف، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة، والأسقف عيسى بن منصور، ومعاوية بن لب،

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٩٨٤م،ص(٧٣).
وسيشار إليه سالم،قرطبة.

[2] هو إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي، من بلدة الطرطوشة، رحالة كبير وجغرافي متمرس، له دور كبير وهام في تطور العلاقات الدبلوماسية مع دول أوربا، للمزيد انظر،

Abderhaman Ali Hajji, **Diplomatic Relation between Andalusian and Italy,**
بحث منشور في Islamic Quarterly , London , Islamic Cultural Center, vol(8), no(3), 1968,P.(143)

وسيشار إليه Hajji, dip. Rel. And.Ita.

[3] **Ibid**

[4] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص(٤٦٧).

[5] O'callOghan, **A History Of Medieval Spain**, P(125)

اضافة إلى يعقوب بن مهران أسقف بجانة و عبد الملك بن حسان اسقف ألبيرة[١]، وغيرهم مما يــدل على تمكّن الذمّيين وثقافتهم السياسية والدبلوماسية العالية، اضافة إلى اتقانهم العديد مـن اللغـات كالعربية والآتينية والعبرية والقشتالية[٢].

القضاء عند أهل الذمة

يعتبر القضاء أحد الأعمدة الثلاثة للحكم في أي مجتمع كان، فهو منصب الفصل في الخصومـات بين الناس"حسماً للتداعي وقطعاً للنـزاع"، وهي خطة دينية تتمتع في جميع أنحاء العالم الإسـلامي بهيبة كبيرة[٣]، وينظر إلى متقلدها بعين التقدير والتبجيل، إضافة إلى أنها نيابة عن أمير المؤمنين بتـولي سلطاته القضائية، والجلوس للحكم بين المتخاصمين بتوقيعاته[٤]، من هنا فلقد اهتم الحكام والخلفـاء بهذه الخطة، وتخيروا لها الشروط والمواثيق المحكمة فيمن يتولاها، حرصاً على صلاحها، ولاسـتتباب أمورها[٥].

كان القضاء الأندلسي على مراتب ودرجات، حيث وجد في المجتمع أكثر من قـاضٍ في وقـت واحد، فهناك قاضي القرية أو المدينة الصغيرة ويلقب بمسدد[٦]، خاصة، وهناك قاضي المدينة وهو مـن يتولى القضاء في الحواضر ومراكز الكور والمدن الكبرى، وأعلى مراتـب القضـاء رتبـة قـاضي

---

(١) والأصل انه مطران وليس أسقف. أنظر ص(٤) .

ابن خلدون، العبر، جـ(٨)، ص(٣١٤-٣١٥). ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص(٤٦٧)، حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٩٧،١٠١).

(٢) ابن خلدون، المقدمة، جـ(٢)، ص(٥٦٧).

(٣) المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(٢١٧-٢١٨).

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ص(٥٧٠)، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص(٨٨).

(٥) ابن رضوان : أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن الخطيب رضوان النجاري المالقي، ت(٧٨٣هـ)، **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق علي سامي النشار، ، دار الثقافة الدار البيضاء١٩٨٤م، ص(٣٢٣-٣٢٤). وسيشار إليه ابـن رضوان، الشهب اللامعة.

(٦) المقري، المصدر السابق، جـ(١)، ص(٨).

الجماعة[1]، وهو متقلد خطة القضاء في العاصمة قرطبة[2]، ويقابلـه قـاضي القضـاة في المشـرق الإسلامي.

ومن أنواع القضاء في اللأندلس قضاء أهل الذمة، وهو الفصل في الخصومات والنزاعـات بـين النصارى واليهود، كلٌ وفق شريعته وقوانينه الخاصة، ولقد ترك الشرع الاسلامي في سماحته ومرونتـه حق القضاء بين أهل الذمة لرجال من طائفتهم، وأنيط بهم تدبير أمورهم بأنفسهم[3]، ولقد عـرف قاضي النصارى بالأندلس بقاضي العجم، وترك أمر اختياره وتنصيبه إلى أبناء الملة[4]، وممن تولى هـذا المنصب حفص بن ألبر[5]، والوليد بن حيزون[6]، وأصبغ بن عبد الله بن نبيل[7]. ومنح لليهود كذلـك حرية الفصل في القضايا التي تشجر بينهم، ولا نكاد نعرف من زعماء اليهود خلال حكم بني أميـة سوى أبو يوسف حسداي بن اسحاق[8].

وبسبب الندرة في المعلومات، فإن المصادر الإسلامية والنصرانية لا تسعفنا بأخبار وتفاصيل حـول عمل قاضي العجم، ولا مراسيم تنصيبه أو شروط اختياره، ولا يوجد بين أيدينا معلومات عن قضايـا ومحاكمات تمت بين متخاصمين ذمّيين وفصل بها قضاة عجم[9]، في حين يوجد العديد من القضايـا

---

[1] وكان قبل ذلك يسمى قاضي الجند، وذلك أنه كان يقضي بين الجند، وأول من تلقب بقاضي الجماعة هو يحـي بـن زيد، الذي شهد عقد أمان يوسف الفهري مع عبد الرحمن الداخل بعبارة " وذلك بمحضر ... يحي بن زيـد قـاضي الجماعة". أنظر الخشني : **قضاة قرطبة وعلماء أفريقية**، ص(٤٧).

[2] النباهي : ابو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن المالقي، ت(٧٩٢)، **المرقبة العليا فيمـن يسـتحق القضـاء والفتيا**، ط (١)،تحقيق ليفي بروفنسال،دار الكتاب المصري، القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص (٢١). وسيشار إليه النبـاهي، المرقبة العليا.

[3] محمد عبد الوهاب خلاف، **تاريخ القضاء في الاندلس**،الموسسة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص(١٩٠). وسيشار إليـه خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس.

[4] مؤنس، **فجر الأندلس**، ص(٤٤٧).

[5] ويضيف ابن القوطية :" وهو من نسل رملة بن غيطشة"، ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٧٥). والأرجح انـه وقلة وليس رملة حيث لا يوجد لغيطشة ابن بهذا الأسم.

[6] انظر المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، ت(١٠٤١هـ)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيـق إبراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٤٠م،جـ(٢)، ص(٢٨٩). وسيشار اليـه المقـري، أزهار الرياض.

[7] ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق حاجي، ص(٦٤-١٦٤).

[8] عاشور، **الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية**، ص(٩٦).

[9] مؤنس، **المصدر نفسه**.

التي حدثت بين ذمّيين وبين مسلمين، وكان مرد هذه القضايا إلى قاضي المسلمين حتى يفصل بها[1]، ولقد ذكر القاضي عيسى بن سهل[2] بعض هذه القضايا في نوازله وعددها ستة عشر قضية[3]، وكذلك ذكر الونشريشي قضايا رغب مدعوها من الذمّيين بالمثول أمام قاضي المسلمين للحكم وفق الشريعة الإسلامية، ومنها قضية حدثت في القرن الرابع الهجري، تتلخص في اختلاف يهودي ويهودية على التقاضي عند المسلمين أو اليهود [4]، وسئل في ذلك فقهاء بقرطبة، فكان رأي أصبغ بن سعيد[5] " انه يجب له النظر عند قضاة المسلمين" ورأى محمد بن الحارث الخشني [6]"أنه يحكم بينها بحكم الإسلام ما ليس لهم فيه شريعة ولا حكم، وما لهم فيه شريعة وحكم يردّوا إلى أهل دينهم".

---

[1] ابن رشد (الحفيد) : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ت(٥٩٥هـ) **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٦، جـ(٢)، ص(٥١٢). وسيشار إليه رشد (الحفيد)، بداية المجتهد، الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص(١٤٦). سحنون، **المدونة الكبرى**، جـ(١٦)، ص(٤٢،١١).

[2] هو القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي، من أهل قرطبة، وأصله من جيان، روى عن أبي عبد الله بن عتاب الفقيه وعن كبار العلماء، كان حافظاً للرأي، ذاكراً للمسائل، عارفاً بالنوازل، توفي عام (٤٨٦هـ). أنظر ابن فرحون : أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين بن علي بن محمد اليعمري، ت(٧٩٩هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، ط(١)، تحقيق مأمون محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص(٢٨٢). وسيشار إليه ابن فرحون، الديباج. النباهي، **المراقبة العليا**، ص(٩٦-٩٧).

[3] بعض هذه القضايا تتلخص بالعناوين التالية :

١. غلام أسلم ثم عاد إلى النصرانية.
٢. غلام يزعم أنه حر، وأنه يُكره على اليهودية، وادعى يهودي أنه مملوكه.
٣. دعوى في فدان- بستان- غلب صاحبه عليه وحيز وعيّن.
٤. دعوى عجم أهل أبطليش- قرية في الأندلس- على أسماء بنت حيّون.
٥. نصرانية زعمت أن عيسى هو الله تعالى، وقالت :" كذب محمد".

للمزيد انظر ابن سهل، **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة**، ص(١٩-٣٣).

[4] الونشريشي، **المعيار المغرب**، جـ(١٠)، ص(٥٦).

[5] هو أصبغ بن سعيد بن أصبغ المعروف بالحجاوي، من أهل قرطبة ويكنى ابا القاسم، كان مائلاً للفقيه، عالماً بالرأي، وكان يشاور في الاحكام، توفي سنة (٣٩٨هـ). انظر ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري، ت(٥٧٨هـ)، **كتاب الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م، جـ(١)، ص(١٨١). وسيشار إليه ابن بشكوال، الصلة. ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ(١)، ص(١٥٥).

[6] هو ابو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني، صاحب كتاب (قضاة قرطبة وعلماء أفريقية).

ومما يُذكر في قضاء المسلمين في أهل الذمة، ما ذكره الخشني حول سبب استقضاء الحكم الربضي (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م) لسعيد بن محمد[١]، وذلك أن ربيع القومس[٢] كان قد استودع سعيداً مالاً عظيماً، فلما نكبه الأمير، أرسل هاتفاً يهتف بين الناس، أنه من كان عنده لربيع مال أو وديعة فلم يظهره بعد ثلاثة أيام سفكنا دمه وأذهبنا ماله، فاستهول سعيد الأمر وأسرع إلى الفقيه يحي[٣]بن يحي يشكو اليه همه، فما كان منه إلا أن نصحه بأن لا يخفر[٤] الأمانه، وذلك للحديث الشريف:" إنّ الأمانة تُؤدّي إلى البر والفاجر والرحم توصل برة كانت أو فاجرة، والعهد يوفى للبَّر والفاجر"، ثم ذهب وما أن انتهى الخبر إلى الأمير بعد ذلك حتى بعث اليه آذناً يخبر عنه ما دعاك إلى ستر ما أودعك ربيع وقد سمعت ما هتف عنا الهاتفُ وما أظهرته" فقال للآذن:"تعلم الأمير-أصلحه الله- عنى أني فعلت ذلك للحديث الذي أتى"-ثم نص الحديث فأنهى الفتى ذلك إلى الأمير عنه. فأوصى الأمير إلى الوزراء هذا رجل صالح فولوه القضاء، فكان ذلك سبباً في ولايته القضاء[٥].

وأورد الخشني قضية أخرى وهي: لمامات قومس بن انتنيان طالب الوزير هاشم بن عبد العزيز من القاضي سليمان بن الأسود[٦] بالنظر في أمر ماله، وانه لبيت مال المسلمين كون قومس مات على النصرانية، واثار الشهادات في كل جانب، وبعد التأكد منها أرسل القاضي إلى الأمير محمد يعلمه انه

---

(١) سعيد بن محمد بن بشير بن شرحبيل المعافري، كان نبيلاً، فاضلاً ، و ذو بصيرة نافذة، وكان معيناً لأبيه في تمكن العدل ومؤيداً له، وذو استقامة واضحة. أنظر الخشني، قضاة قرطبة، ص(٦٠).

(٢) هو ربيع بن توديلفو (Rab b. teodulfo) القومس. سبق التعريف به انظر ، ص(٤٠)

(٣) هو أبو عيسى يحي بن يحي بن كثير، من أهل قرطبة، وأصله من البربر من قبيلة مصموده، سمع عن زياد بن عبد الرحمن موطأ الإمام مالك، ثم رحل إلى المشرق فسمع من علمائها، ثم عاد إلى الأندلس، فكان إمامُ وقته، توفي سنة(٢٣٤هـ). أنظر ابن بشكوال، **الصلة**، جـ(٣)، ص(٩٥٧). ابن فرحون، **الديباج**، ص(٤٣١-٤٣٢). ابن حبيب، **التأريخ**، ص(١٧٨).

(٤) أي لا تنقصها أو تغدر بها. أنظر الرازي، **مختار الصحاح**، ص(١٨٢).

(٥) ابن الأثير ، **الكامل** ،جـ(٦)، ص(٣٨٣). الخشني. **قضاة قرطبة** ، ص(٦١-٦٢).

(٦) سليمان بن الأسود بن يعيش بن حشيب، من مدينة غافق، يكنى أبا ايوب،ولي كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة في قرطبة، كان يحظا عند الأمير محمد، توفي عن عمر يناهز ٩٩ عاماً و١٠ أشهر. ابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد،(ت٦٨٥هـ)، **المغرب في حلى المغرب**، ط(٢)، تحقيق شوقي ضيف،دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٤م، جـ(١) ، ص(١٥١)، وسيشار إليه ابن سعيد المغربي، المغرب. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ(١)،ص(٣٢٥).

لم يثبت عنده على قومس شيء من المكروه وجميع الشهادات الوافيه معلومه لم يـرد الله بشـيء منها،فخرج التوقيع إلى القاضي : اقسم مال قومس على ورثته"[1].

وغيرها من القضايا التي تبين مدى حرص القاضي المسلم على بيان الحق والحكم بالصحيح حتى وان كان المدعى عليه ذميا مشركا.

وان حدث أن استقضى الأمير الحكم سعيدا بن محمد لحفظه أمانة الذمي. فإن الأمير محمد قـد عزل القاضي عمرو بن عبد الله[2] لاستخفافه في أموال ذمي، وبيان ذلك ما رواه ابـن القوطيـة:"ان رجلا معروفا بالقصبي كانت له وجهة، وكان يوفده عبد الرحمن بن الحكم إلى قارلة- شارلمان -ملك الفرنجة وإلى ملك الروم، فتوفى عن ثلاثة آلاف دينار ناضه (حاضره) وترك ايتامـا، ووجـب علـى القاضي تثقيف (تقويم) المال وتحصينه فلما جلب اليه وصار بين يديه، ذهب المال فاتهم بِهِ ابنه المكـنى بأبي عمرو واتهم به كاتبه حتى قال به الشاعر مؤمن بن سعيد[3] (الطويل — والعروضة مقبوضة):

لعمري لقد أزرى بعمرو وأبو عمرو ومثـل ابي عمرو بوالـده يزرى

وقـد كان عمرو يستضـاء بنوره فأضحى أبو عمرو كسوفا على البدر

فلما بلغ محمدا الخبر أعظمه، وساءه ما نزل بالأيتام في مالهم لمكانة ابيهم منه ومن ابيه من قبلـه، فجمع أهل العلم وشاورهم فيه فأشاروا جميعا باستحلاف القاضي سوى الفقيه بقي بن مخلد[4] فإنه قال:"إن من الشماتة بنا عند اليهود و النصارى ان نستحلف قاضينا و المأمون على فروج نسـائنا وأحباسنا وأيتامنا

---

[1] الخشني، **قضاة قرطبة**، ص(١٥٩-١٦٢).

[2] عمرو بن عبد الله المعروف بالقبعة، مولى عبد الرحمن بن معاوية ، وهو أول من ولىقضاء الجماعة من الموالى وكـان ذلك في عهد الأمير محمد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٥م، وكان جميل الرأى، حسن السمت، قليل الحركـات مـع مهابـة شديدة ومـروءة ظـاهرة، الخشـني ، **قضـاة قرطبـة** ، ص(١٤٦-١٥٤). ابـن سـعيد المغـربي، **المغـرب**، جـ(١)،ص(١٥٢)، ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ(٢)، ص(٥٣٩).

[3] مؤمن بن سعيد، شاعر مشهور كثير الشعر، ذكره صاحب كتاب الحدائق، الحميدي، **جـذوة المقتبـس**،جـ(٢)، ص(٥٦٣). الضبي، **بغية الملتمس**،جـ(٢)، ص(٦٣٠).

[4] هو ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد، من الحفاظ المحدثين وأئمة الدين و الزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق فـروى عـن الأئمة الأعلام، منهم الإمام ابو عبد الله احمد بن حنبل، ابو بكر عبد الله بن ابي شيبة، ثم رجع إلى الأندلس فملأهـا علما جما، وألف كتبا حسان منها(تفسير القرآن) ومصنف في الحديث وآخر في فتاوي الصحابـة والتـابعين ومـن دونهم، مات بالأندلس سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م). الحميدي ، **المصدر السابق**، جـ(١)، ص(٢٧٤-٢٧٧). ابـن الفرضي، **المصدر السابق**، جـ(١)،ص(١٩٦-١٧١).

أرى للأمير أصلحه الله ان يجبر هذا من بيت المال"، فصار الأمير إلى رأيه، وأمر بعزل القاضي عمرو بن عبد الله[1].

وكذلك من صور إنصاف القضاء الإسلامي لأهل الذمة، قضية أوردها النباهي في كتابه- المرقبه العليا في من استحق القضاء و الفتيا- وكانت قد عرضت على سليمان بن أسود الغافقي عندما كان قاضياً على مدينة ماردة لعبد الرحمن الأوسط(٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م)، وكان ابنه محمد أميراً على المدينة، فاحتبس مملوكة لرجل يهودي من تجار جليقية كانت قد اعجبته واشتط اليهودي في ثمنها، فدسّ غلمانه لإختلاسها من اليهودي، وفزع اليهودي إلى سليمان بمظلمته، واستشهد بمن حول دار إمارة ممن عرف خبرها. فأوصل القاضي سليمان إلى الأمير محمد يعرفه بما ذكر اليهودي، وما شهد به لديه، ويقبح عنده سوء عمله، ويسأله دفع مملوكته اليه، فأنكر الأمير محمد ما زعمه اليهودي، فأعاد القاضي اليه الرسالة بقوله:" إنّ هذا اليهودي الضعيف لا يقدر ان يدعي على الأمير بباطل! وقد شهد عندي قوم من التجار، فليأمر الأمير بإنصافه"، فلجّ[2] الأمير ولجّ سليمان، فأرسل سليمان اليه ثانية يقسم بالله لئن لم يصرف إلى اليهودي جاريته ليركبن دابته من فوره، ويكون طريقه إلى الأمير والده يعلمه بالخبر، ويستعفيه من القضاء....فأشفق محمد من ذلك، واستجاب لرغبة القاضي، وانصف اليهودي بإطلاق جاريته[3].

وحتى يتمكن القاضي المسلم من النظر في قضايا الذمّيين، والحكم بينهم، كان لزاماً عليه ان يتخير مجلساً مناسباً يمكن الوصول اليه، فيقول ابن حبيب:" وأحب إليّ أن يجلس-القاضي- في رحاب المجلس من غير تضييق عليه للجلوس في غيرها، وكان من مضى يجلسون في رحاب المسجد وخارجاً عن المصلّى عند موضع الجنائز، فيصل إليه اليهودي والنصراني والحائض"[4].

---

[1] ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(١١٤-١١٥).

[2] لجّ في اللغة من الملاّحة، وهي بمعنى التمادي بالخصومة، ورجل لُجحة بوزن هُمزة أي لجوج. انظر الرازي، **مختار الصحاح**، ص(٥٩٢).

[3] النباهي، **المرقبة العليا**، ص(٥٦-٥٧). ابن منظور، **لسان العرب**، جـ(١٢)، ص(٢٣٨-٢٤٠).

[4] ابن هشام: أبو الوليد هشام بن عبد الله الأزدي القرطبي، د . ت، **مفيد الحكام في نوازل الأحكام**، مخطوط في مكتبة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة ، رقم المتسلسل(١٠٣) ، رقم الفهرست ٢١٧/٢، ١٢٧٧هـ، وسيشار اليه ابن هشام، مفيد الأحكام.

كما كان على القاضي أن يتقن عجمية أهل الأندلس، المسماة الرومانـثية(**Romance**)، ويناقش بها النصارى في مجالس القضاة، وكان المسلمون يطلقون على هذه اللغه لطينية الأندلس[1].

كما أنه ترتب على قاضي المسلمين معرفة عادات وتقاليد المستعربين في الأندلس، والحكم أحيانا بما يوافق هذه العادات والأعراف، ومراعاة البيئة المحلية في أقضيتهم[2]، من ذلك ما يذكره الخشني أنه سمع محمد بن عمر بن لبابة[3] يقول :" حضرت وقد خاصم إلى سليمان بن الأسود رجل في فرن بناه صاحبه، فأضر الدخان به وبالجيران، وهذا من الضرر الذي يجب قطعه، فقضى سليمان بغير ذلك، أن يجعل انبوبا في أعلى الفرن فيخرج الدخان من أعلاه ولا يضر ذلك بمن جاوره، فكان ابن لبابة يفتي بهذا ويحمل الناس عليه[4]". وهناك مثال آخر حدث في المجاعة أيام الأمير محمد فكثر التطاول من المفسدين فولى السوق حينئذ إبراهيم بن حسين بن عاصم[5]، وأمره بالإجتهاد، وعهد اليه بالتحفظ، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق، فإذا أتي بالفاسد المقدح قال له:" اكتب وصيته ودعا له بشيوخ فأشهدهم على ما يوصي غليه، ثم صلبه ونحره، فكان بين يديه من المصلوبين عدد عظيم فأتاة نفر من جيرانهم فشكوا اليه تطاولا على ما يكون من أشرار الأحداث، وهم لا يشكون أنه سيزجره الزجر القوي!! وإن أفرط في عقابه فالسجن، فقال لشيخ منهم :" ما يستحق عندك؟" فقال

---

[1] أحمد مختار العبادي، **التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسبانية**، بحث منشور في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد(٢٤)، ١٩٨٧م-١٩٩٠م، ص(٣٧). وسيشار اليه العبادي، التأثير المتبادل. صالح محمد فياض أبو دياك، **العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس**، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد(٣٣)، السنة الثالثة عشرة، ١٩٨٧م، ص(١٠٩). وسيشار أليه أبو دياك، العلاقات الثقافية.

[2] العبادي، **الاسلام في أرض الأندلس**، ص(٣٧٠).

[3] هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة، مولى أبي عثمان عبد الله بن عثمان من أهل قرطبة. درس كتب الرأي ستين سنة، وكان مشاورا في أيام الأمير عبد الله. كما أنه كان إماما في الفقه، مقدما على أهل زمانه في الحفظ والرأي، ثم انفرد في الفتيا أيام الخليفة الناصر فلم يكن يشركه أحد في رياسة البلد والقيام بالفتيا. أنظر الضبي، **بغية الملتمس**، جـ(١)، ص(١٤٧). ابن فرحون، **الديباج**، ص(٣٤٣). النباهي، **المرقبة العليا**، ص(٥٠، ٢٠٤-٢٠٥). ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ(٢)، ص(٦٨٠-٦٨١). الحميدي، **جذوة المقتبس**، جـ(١)،ص(١٢٧).

[4] الخشني، **قضاة قرطبة**، ص(١٦٥-١٦٦).

[5] هو أبو اسحق إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة بن حناب بن مسلم الثقفي، من أهل قرطبة، سمع من أبيه وغيره، تصرف في أحكام الشرطة والسوق أيام الأمير محمد. توفي يوم الثلاثاء في رجب ٢٥٦هـ. انظر ابن الفرضي، **المصدر السابق** جـ(١)، ص(٣٤) الضبي، **المصدر السابق** ، جـ(١)، ص(٢٦٤) . وكان أبوه حسن بن عاصم في الطبقة الثالثة بعد التابعين من أهل الاندلس. انظر ابن حبيب، **التأريخ**، ص(١٧٨).

له -على وجه المثال- :" ماساستحق هؤلاء"، وأشار إلى المصلوبين، فقال له إبراهيم ولإصحابه:"انصرفوا!!" ثم قال للفتى :" اكتب وصيتك"، فأجابه:" إتق الله فيّ! فإنه لم يبلغ ذنبي ان استحق القتل والصلب" فقال له:" بذلك شهد عليك الشهود" فقتله وصلبه. فلما بلغ الشهود ذلك أتوه، فقالوا له:" لم نشهد عندك على الفتى بذنب يجب فيه القتل" فقال :" أو لم يقل قائلكم انه يستحق ما استحق هؤلاء" فقالوا له "على المثل" قال :" فإثم ذلك في رقابكم إذ لم تحسنوا الإبانة في أنفسكم""[1]. ويعلق حسين مؤنس على أن هذين الحكمين مستقيان من جاري العرف والبيئة والقانون القوطي، فوضع المداخن أمر لم يكن معروفاً في المشرق، والحكم به تجديداً مقتبساً من البيئة الأندلسية، وقتل الحدث للذنب البسيط غير جائز في الشريعة الإسلامية لكنه جائز في شريعة القوط[2].

أحباس[3] أهل الذمة في الأندلس :

كان لأهل الذمة في الأندلس أحباس كثيرة حبست لصالح جهات عدة، وكان شأنهم في ذلك شأن المسلمين، فيذكر الونشريسي:" وكان للنصارى والمعاهدين العديد من الأحباس، خاصة في غرناطة وأشبيلية، وكانت موقوفة على كنائسهم، وكان رهبان وأساقفة هذه الكنائس لا عيش لهم إلا من ريع هذه الأحباس"[4]. كما يضيف الشريف الإدريسي: " ولكنيسة الغراب الواقعة قرب مدينة شلب أحوال يتصدق بها عليها وانها كانت عامرة بالقسيسين والرهبان، وبها أموال مدّخرة وأموال واسعة واكثر الأموال محبّسة عليها من أقطار الغرب وبلاده، وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع ما يلوذ بها"[5]، ومن ناحية أخرى قام بعض اليهود بحبس عقارات على أبنائهم واعقابهم، وكانوا يصفون الحبس ويوصون به في أعقابهم، وأورد ابن سهل في نوازله " أن يهودياً قد حبّس على ابنته البكر القاصر قلعة في موضع معين، ونص على ذكر حدودها، ونصف قلعة أخرى في موضع ثان

---

[1] الخشني، قضاة قرطبة، ص(٢٠٧-٢٠٨).

[2] مونس، فجر الأندلس، ص(٤٥١).

[3] الحبس بالطم ما وقف، وحبّس الفرس في سبيل الله وأحبسه فهو حبيس ومحبّس. الرازي، مختار الصحاح، ص(١٢٠). ويضيف ابن منظور :" والحُبس جمع حبيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفاً محرماً لا يورث ولا يُباع من أرض ونخل وكرم مستغل، يُحبس أصله وقفاً موبداً وتُسبّل ثماره تقرباً لله-عز وجل-". أنظر ابن منظور، لسان العرب، جـ(٣)، ص(١٨-٤٠)، معروف، المنجد، ص(١١٤).

[4] الونشريسي، المعيار المغرب، جـ(٨)، ص(٥٦-٥٧).

[5] الشريف الادريسي، صفة المغرب والسودان، ص(١٨٠).

على من يولد له وعلى أعقابهم، فإن لم يولد له ولد يؤول الحبس إلى ابنته وعلى أعقابها وأعقاب أعقابها، فإن انقرضوا رجع الحبس على مساكين المسلمين في مدينته لورقة[1]"[2].

ولا يجوز لأسقف أو راهب أن يخرج حبساً حُبِسَ على كنيسة أو دير عما حبس من أجله، وذلك ببيعه أو التصرف فيه، إذ يبطل كل شأن من هذا القبيل وتبقى العين المحبسة للغرض الذي حبس من أجله كما هو الحال بالنسبة لأحباس المسلمين على حد السواء[3].

وذكر الونشريسي قضية مفادها :" أن أحد اليهود حبّس داراً على أحد مساجد مدينة قرطبة"[4]، وذلك من الأمور التي تباينت بها آراء الفقهاء والمذاهب، فمنهم من أباح مثل هذا الحبس كالمالكية والشافعية كونها قربة في نظر الإسلام، وإن لم يكن كذلك في نظر الواقف[5]، و منهم من لم يجزها كأبي القطان[6] وابن رشد –الحفيد-[7] الذي قال أن المساجد تخص بأفضل الأموال وأطيبها، وأموال الكفار أبعد الأموال من ذلك"[8].

ويذكر ابن سهل قضية أخرى عُرضت على ابن زياد[9] – قاضي قرطبة زمن الناصر لدين الله (٣٠٠–٣٥٠هـ/٩١٢م–٩٦١م) – وتتعلق بنزاع على فدان – بستان – حبسه أحد الفتيان

---

[1] لورقة مدينة غراء حصينة على ظهر جبل، ولها أسواق وربض في أسفل المدينة، وعلى الربض سور، وبها معادن ، تربتها صفراء. الشريف الإدريسي، صفة أرض المغرب، ص(١٩٦).

[2] ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، ص(٦٨-٦٩).

[3] ابن سهل، المصدر السابق، ص(٦٩).

[4] الونشريسي، المعيار المغرب، جـ(٧)، ص(٦٥).

[5] كمال السيد أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص(١٨٦). وسيشار اليه كمال، بحوث في تاريخ.

[6] هو أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال المكنى بأبي عمر القطان قرطبي ذائع الصيت في فقهائها، وعليه وعلى محمد بن عتاب دارت الفتوى بها إلى أن فرق الموت بينها، كان عالماً، توفي سنة (٤٦٠هـ) أنظر ابن فرحون، الديباج، ص(١٠٢-١٠٣). النباهي، المراقبة العليا، ص(٩٦). ابن بشكوال،الصلة ، جـ(١)، ص(١٠٩).

[7] هو محمد بن ابي القاسم أحمد بن محمد بن رشد الشهير بالحفيد، يكنى أبا الوليد، روى عن أبيه، وأخذ الفقه عن ابي القاسم بن بشكوال وأبي مرة، وأبي بكر بن سحنون، وكان من أهل العلم والتفنن في المعارف، من تواليفه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" وكتاب "مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة" "الكليات" في الطب، توفي سنة (٥٩٥هـ). النباهي، المصدر السابق، ص(١١١). ابن سعيد المغربي، المغرب، جـ(١)، ص(١٠٤-١٠٥) ابن فرحون، الديباج، ص(٣٧٨-٣٧٩).

[8] محمد بن عبد الله، ناظر الوقف،بحث منشور في مجلة دعوة الحق، الرباط، عدد (٢٧٦)، ابريل – مايو ١٩٨٧م، ص(٦٦). وسيشار اليه محمد بن عبد الله، ناظر الوقف.

[9] هو أحمد بن محمد بن زياد اللخمي، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالحبيب، استُقضي بقرطبة في عهد الخليفة الناصر عدة مرات، توفي سنة (٣١٢هـ). أنظر ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي، ت(٦٥٨هـ)=

الصقالبة[1] على مسجد بقرية ترجالة، فقام أحد الأفراد بتنبيه القومس إلى أن هذا الفدان من أرض الجزية، ومن ثم لا يجوز حبسها على مسجد المسلمين، فلما طرح النزاع كان حكم القاضي إبقاء الحال على ماهو عليه إلى أن يأتي المدعي – القومس- ويثبت أنه – الحبس – أرض جزية[2].

تختلف أحباس أهل الذمة في أحكامها عن أحباس المسلمين في نواحٍ عدة، منها أن المسلم لا رجعة له في حبسه ونقضه إذا قام بتوثيق الحبس أمام القاضي، أما الذمّي اذا ما حبس شيئاً وأراد الرجوع في حبسه ونقضه أو باعه لم يُعرض له، ولا يحل للقاضي النظر في انفاذه، قال ابن عتاب[3] :" ان خيار المسلم يسقط في رجوعه عن الحبس إذا قام بتوثيقه أمام القاضي،أما الذمّي فإنه لا يمنعه في ذلك مانع"[5]وهذا ما ذهب اليه القاضي ابن سهل في قضية ملخصها أنّ أحد المسلمين اشترى جنة – بستان – من يهوديين، ونزل فيها، وحازها مدة عشرة سنوات قام خلالها بزراعتها ... ثم زعم يهودي أن هذه الجنة حبسها عليه عماه – اللذان كانا يملكانها- وذلك في تاريخ سابق على التبايع الصادر منهما إلى المسلم، واستظهر اليهودي تأكيداً لقوله بوثيقة تحبيس البائعين لها، ورد فيها أن البائعين اليهوديين حبسا الجنة المبيعة على ابن أخيهما المدعي، وعلى ذريته من بعده، وأن أحد هذين اليهوديين حاز الجنة نيابة ووصاية عن ابن اخيه ولحسابه لصغر سن هذا الأخير، فكان جواب القاضي :" ان كان اليهوديان المحبسان قد باعا الجنة التي حبساها، فبيعهما جائز نافذ وصحيح، وغير قابل للفسخ وإذا

=التكملة لكتاب الصلة. تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ١٩٨٩م، ص(٧٨). وسيشار اليه ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة. ابن سهل : أبو الأصبع عيسى بن سهل الأسدي، ت(٤٨٦هـ)، وثائق في العمران مستخرجة من كتاب الأحكام الكبرى، ط(١)، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للإعلام، القاهرة، ١٩٨٣، ص(٧١). وسيشار إليه ابن سهل، وثائق في العمران.

[1] الصقالبة: هم أبناء الشعوب السلافيّة الممتدة في بحر قزوين إلى الأدرياتيكي غرباً، وهي بلاد البلغار، وكانوا يجلبون كذلك من سواحل البحر الأسود، وقد دأبت القبائل الجرمانية سبي تلك الشعوب وبيع رجالها ونسائها في غرب الأندلسي، ولهذا سموا بالسلاف(Slave) بمعنى عبيد، ثم توسع المسلمون في استعمالهم في الجيش الإسلامي. ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، ت(٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص(١٠٥-١٠٦). وسيشار إليه ابن حوقل، صورة الأرض. العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، ص(٣٧٥-٣٧٦).

[2] ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص(٣١-٣٢،٨٠-٨١).

[3] هو الفقيه القرطبي محمد بن عتاب بن محسن، شيخ أهل الشورى في زمانه، يكنى أباعبد الله، دعي إلى القضاء بقرطبة مرات عديدة فأبى ذلك، توفي سنة (٤٦٢هـ). ابن بشكوال، كتاب الصلة، جـ(٣)، ص(٧٩٨-٨٠٠). الضبي، بغية الملتمس، جـ(١)، ص(١٥٢). ابن فرحون، الديباج، ص(٣٧٠). ابن سعيد المغربي، المغرب، جـ(١)، ص(١٦٥).

[5] الونشريسي، المعيار المغرب، جـ(٧)، ص(٤٣٩).ابن سهل، المصدر السابق، ص(٦٧).

كان المسلم حبس هذه الجنة على ذريته، فحبسه لازم على عكس حبس اليهوديين الذي لا يعتد به، والذي ألغي ببيعها الجنة"[1].

وكذلك من أوجه الاختلاف بين أحباس الذمّيين وأحباس المسلمين، أن أحباس الذمّيين لا حرمة لها، ويجوز للإمام أو الخليفة تحويلها لصالح بيت مال المسلمين عندما يشاء، وهذا رأي القاضي عياض[2] في أحباس أهل الذمة[3].

---

[1] ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص(٦٥-٦٩).

[2] هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، من أهل سبتة، قدم إلى الأندلس طلباً للعلم، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، سكن مالقة مدة، وتملك بها أملاكها، توفي في مراكش سنة (٥٤٤هـ). النباهي، المراقبة العليا، ص(١٠١)، ابن فرحون، الديباج، ص(٢٧٠-٢٧٢).

[3] الونشريسي، المعيار المغرب، جـ(٧)، ص(٧٣-٧٥).

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية لأهل الذمّة في الأندلس

- العلاقات الاجتماعية بين أهل الذمة والمسلمين

١ – الصداقة.

٢ – الزواج المختلط.

٣ – التأثيرات الاجتماعية بين أهل الذمة والمسلمين.

٤ – بين اليهود والنصارى.

- ممارسة الشعائر الدينية عند أهل الذمة.

١ –الأعياد.

٢ – المزارات.

٣ – التأثيرات الدينية بين أهل الذمة والمسلمين.

– فتنة المستعربين (Martyrdom)

العلاقات الاجتماعية بين أهل الذمة والمسلمين

شَكّل أهل الذمّة نسبة لا بأس بها من سكان المجتمع الأندلسي، وتوزعوا في شتى أرجاء البلاد ساكنين الكور ومراكز المدن، إضافة إلى الضياع والقرى.

ولقد تواجد النصارى واليهود في العاصمة المركزية قرطبة، وسكنوا بها في أحياء خاصة عُرفت بهم، كما أنه كان لليهود باباً في سورها عُرِف بباب اليهود[1] – أنظر ملحق رقم (٤) وضمَّت طليطلة وإشبيلية وماردة أعداداً من النصارى كونها مدن ذات صبغة نصرانية قديمة[2]، إضافة إلى حصن ببشتر (Babastro) – قلعة الثائر عمر بن حفصون – التي ضمت أعداداً منهم وكان لهم فيها أسقفية ترأسها الأسقف جعفر بن مقسم[3]، ولعل ذلك كان أحد الأسباب المباشرة وراء تنصر عمر بن حفصون، وكذلك سكن النصارى القرى والضياع المجاورة للمدن[4]، حيث يقول ابن حوقل : " وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن، وهم على دين نصرانية الروم، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم إلى حصن فطال جهادهم"[5].

وسكن اليهود في المدن الكبرى، فإلى جانب قرطبة تمركز العديد منهم في مدينة روطة (Rueda)[6] والتي سميت (بروطة اليهود)[7]، وكذلك استوطنوا مدن أشبيلية وبرشلونة وغرناطة، غير أن التجمع الأكبر لهم كان في مدينة اليسانة (Lucena)، والذين –أي سكناها من اليهود– وصفوا بأنهم الأكثر ثراءً وغنى في العالم الإسلامي كله[8]، ويشير إليهم الشريف الأدريسي فيقول :" وهم – اليهود– يسكنون في وسط المدينة مجتمعين إلى بعضهم البعض"[9] وذلك في

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص(٢٣٣). ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب السيد عبد العزيز سالم وصلاح حلمي نهضة، مصر، د.ن ، ١٩٥٦، ص(٦٤-٦٥)، وسيشار إليه بروفنسال، الإسلام في المغرب.

(2) Simonet, **Historia de Los Mozarabes**, Tome (1), P(122).

(3) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص(١١٣).

(4) Collin, **Early Medieval Spain**, P(206).

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص(١٠٦).

(6) كحيلة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، ص(٤٥).

(7) ابن حيان، المصدر السابق، ص(٣٣٥).

(8) الشريف الإدريسي، صفة المغرب، ص(٢٠٥).

(9) المصدر نفسه.

أحيائهم الخاصة، وحقيقة الأمر أن هذه الظاهرة الاجتماعية ذات جذور عقائدية تلمودية قائمة على عقلية المؤامرة لدى اليهود، وهي تستند إلى مبدأ العزلة والاعتزال عن بقية شعوب العالم، باعتبار أنهم جنس مميز، وشعب الله المختار[1]، أما غيرهم فهم خدم مسخر لهم ولخدمتهم[2].

ومن الجدير ذكره، أنه قد ترتب على هذا التوزيع الديمغرافي للذميين في الأندلس أن نشأت علاقات اجتماعية هامة مع المسلمين كالصداقة والمصاهرة والزواج المختلط، وفيما يلي أعرض لأهم هذه العلاقات :

أ. **الصداقة :**

تمتّع أهل الذمّة في ظلّ الحكم الأموي للبلاد بقسط وافر من الحرية والتسامح والمساواة الاجتماعية، حيث سُمح لهم بالسكن والتنقل والترحال أي وقت أرادوا من دون أي قيد أو شرط.

ولقد جاور الذميون المسلمين في سكناهم، وارتبط بعضهم بعلاقة صداقة مع جيرانه، فلقد ذكر ابن الخطيب عن تميز الصداقة التي قامت بين أرطباس بن غيطشة وبين أمراء وحكام المسلمين[3]، فهو الذي أشار على الأمير أبو الخطار حسام بن ضرار بتفريق الجند الشامي في الكور خوفاً من صدامهم مع الجند البلديين، وهو كذلك الذي بصّر الأمير عبد الرحمن الداخل بأمور كان الناس ينكرونها عليه[4]، وبيّنها له بدافع الصداقة، كما ويبدو أن أرطباس هذا كان ذو شخصية دمثة ومحبوبة، فلقد حرص العديد من وجوه العرب، وعليه النوم على حضور مجلسه والتقرب إليه كالصميل بن حاتم [5]وغيره[6].

---

(1) جاء في سفر التثنية " لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" التوراة، سفر التثنية، ٢/١٤. وفي سفر اللاويين يرد "أنا الرب الذي ميّزكم عن الشعوب" التوراة، سفر اللاويين، ٢٤/٤٠.

(2) حسن ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م، ص(٩٦). وسيشار إليه ظاظا، الفكر الديني.

(3) ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ(١)، ص(١٠٣).

(4) ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٩٤).

(5) هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي، ويُكنى أبا الجوشن، كان ممن يشاور في أمور الحكم من أشراف أهل الشام، دخل الأندلس في طالعة بلج، كان شجاعاً، كريماً، وهو الذي قام بأمر المضرية في الأندلس عندما أظهر أبو الخطار حسام بن ضرار العصبية لليمنية، وكان له في تغيير الحكم، وتدبير الحروب أخبار مشهورة. أنظر ابن الآبار، الحلة السيرا، جـ(١)، ص(٦٧-٨١).

(6) أمثال عبد الله بن خالد ويوسف بن بخت وأبو عبده وغيرهم. أنظر ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٩٤-٩٥).

وكان القاضي سعيد بن محمد بن بشير صديقاً لربيع بن توديلفو القومس وأمينا لعهده وأمانته[1]، وعندما أوقع الحكم الربضي (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م) بالفقهاء في قرطبة، وقضى على ثورتهم، أمر بتغريب من بقي منهم، وكان أحدهم الفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافري[2]، الذي شقّ عليه الانتقال ومفارقة وطنه، فرأى الاختفاء عند صديق يهودي له مدة سنة كاملة، " واليهودي في ذلك يكرمه أبلغ الكرم ويعظمه أشد التعظيم[3]" ، وكذلك كان لابن حزم المؤرخ والفقيه الأندلسي صديقاً يهودياً يأوي إلى دكانه كثيراً في مدينة المريّة (Almeria) هو إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي[4]، كما ويروي لنا الذهبي أنه شوهد يوم وفاة الفقيه عبيد الله بن يحي[5] نفر من اليهود والنصارى من جملة الباكين عليه[6]. ومن أجمل ما قيل في الحبّ العذري في الأدب الأندلسي، أبيات قالها أبو عبيد الله بن الحداد[7] بفتاة نصرانية أغرم بها ، حيث قال : (مجزوء الوافر)

عَساكِ بحقّ عيّناكِ	مريحةَ قلبي الشّاكي
فإنّ الحُسنَ قد ولاّ	كِ إحيائي وإهلاكي
ولم آت الكنائسَ عن	هوى فيهنّ لولاكِ
وها أنا مِنكِ في بلوى	ولا فرَح لبلواكِ
ولا أستطيع سلواناً	فقد أوثقتِ إشراكي
فكم أبكي عليكِ دماً	ولا ترثينَ للباكي

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص(٦١).

(2) طالوت بن عبد الجبار المعافري، وهو واحد ممن لقي مالك بن أنس. أنظر ابن سعيد المغربي، المغرب، جـ(١)، ص(٤٣).

(3) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص(٢١).

(4) ابن حزم، طوق الحمامة، ص(٦٧). محمد الطالبي، الحرية الدينية – القاعدة والشذوذ- بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربيّة، تونس، رجب ١٤١٢هـ، العدد(٧) خاص، ص(٤٧). وسيشار إليه الطالبي، الحرية الدينية.

(5) هو الفقيه عبيد الله بن يحي بن يحي الليثي، ذو علم ودراية، روى عن والده، وكان ممن يشاورون في الأندلس، كنيته أبو مروان. أنظر الخشني، المصدر السابق، ص (٩١، ٩٢، ١٢٨، ١٢٩).

(6) الذهبي، سير الأعلام النبلاء، جـ(١٣)، ص(٥٣١-٥٣٣).

(7) هو الشاعر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، عرف بابن الحداد، أصله من وادي آش ، سكن المرية ، وتنقل في أنحاء الأندلس، توفي سنة ٤٨٠هـ(١٠٩٠م). أنظر ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الثاني، ص(٦٩١-٧٢٩)، الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص(٣٣٦-٣٤١).

الزواج المختلط

تعد ظاهرة المصاهرة والزواج المختلط بين المسلمين والذميين من أهم المظاهر الاجتماعية التي ميزت العلاقة بين الطرفين؛ فمن المثبت تاريخياً أن المسلمين الذين وفدوا إلى الأندلس كانوا جنوداً فاتحين و لم يجلبوا معهم النساء والجواري[1]. وبعد أن استتب لهم الفتح وأخذوا بالاستقرار لجأوا إلى مصاهرة سكان البلاد من نصارى ويهود، ولم يكن عليهم حرج أو قيد في ذلك، فالشرع الإسلامي قد سمح لهم الزواج من الذميات ، حيث استمرت العديد من الزوجات النصرانيات بممارسة شعائرهن الدينية دون تضييق من الأزواج المسلمين[2]، وقد خيّر البعض أبناءهم بين اعتناق الإسلام أو النصرانيّة وإن نسبوا إلى الأب المسلم[3].

ومرّ بنا سابقاً كيف أن الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير كان أول من تزوج بنصرانية هي ايخلونا(Egilona) أرملة لوذريق، والتي تدعوها المصادر الإسلاميّة بأمّ عاصم[4]، وفي عصر الإمارة وُلد الأمير هشام المُلقب بالرضا (١٧٢هـ-١٨٠هـ/٧٨٨م-٧٩٦م) من جارية إسبانية أسمها حلاّل[5]، وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) حفيداً لأميرة نافارية هي أونقا(O niqa)[6] ابنة فرتون غرسية (Fortun Garcia) ملك نفارة (٨٧٠م-٩٠٥م)، وتدعوها المصادر الإسلامية بـ(دُر)[7]، أمّا أمه فهي مُزنه[8]، ولقد تزوج الأمير الحكم المستنصر (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م) من أميرة بشكنسيّة أسمها صُبح، وهي أم الخليفة هشام المؤيد بالله[9] (٣٦٦هـ-٤٠٠هـ/٩٧٦م-١٠١٠م).

---

(١) العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، ص(٣٤٦) Trend, The Civilization Of Spain, P(34)

(٢) Chejne , Muslim Spain , P(134

(٣) ونذكر هنا فتاة قرطبية أسمها فلورا (F lora) كان أبوها مسلماً وكان قد مات وهي صغيرة، فربّتها أمّها على مبادىء النصرانيّة، وعندما وجدت ذاتها قوية قادرة على المقاومة انضمت إلى حزب المتعصبين في فتنة المستعربين، وسيشار إليها لاحقاً. S imonet, Historia de Los Mozarabes, Tome(2), P(413).

(٤) المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(٢٤٣-٢٤٤).

(٥) S.M.Imamuddin, Apolitical History, P(70)

(٦) Mackendrick, The Horizen, P(35)

(٧) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ(٢)، ص(١٥٦).

(٨) O'calloghan, A History Of Medieval, P(117)

(٩) حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٣١). العبادي، المصدر السابق، ص(٣٤٧).

وتزوج تمام بن عامر الثقفي بأم[1] الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية، وكانت بارعة الجمال، وأنجب منها بنتاً هي أم الوزير عيسى بن فطيس[2]، ومن أشهر حالات المصاهرة بين المسلمين والنصارى، زواج سارة القوطية ابنة ألمند بن غيطشة التي تزوجها عيسى بن مزاحم ومن نسلهما المؤرخ ابن القوطية[3].

وفي القضاء الأندلسي هناك قضية قطع بها القاضي ابن زياد تتلخص أن زوجة لأحد المسلمين توفيت عن ابنتين صغيرتين، واختلف في حضانتهما، فأفتى ابن زياد أن الجدّة للأم أحق بالحضانة وإن كانت نصرانية[4].

وأحياناً كانت تحدث زيجات عكسيّة- أي زواج المسيحيين بالمسلمات- وكان ذلك في فترات الضعف والانكسار التي أصابت المسلمين أحياناً، ومن هذه الزيجات زواج ملك نفارة ونقة بن ونقة (Inigi Inguez) من أرملة موسى بن فرتون بن قسبي أمير الثغر الأعلى[5]، كما يذكر أن جميلة أخت الثائر البربري محمود بن عبد الجبار[6] قد تزوجت من أحد حكام جليقية الذي أجبرها على التنصُّر وأنجبت منه ولداً أصبح فيما بعد أسقفاً على مدينة شانت ياقب[7].

---

[1] هو أبو غالب تمام بن عامر بن أحمد بن غالب الثقفي يكنى بابن التياني، ولد سنة ١٨٤هـ(٨٠٠م)، ودخل الأندلس في طالعه بلج، وهو أحد النقباء القائمين بدولة عبد الرحمن الداخل، توفي سنة ٢٨٣هـ(٨٩٧م). أنظر ابن الآبار، الحلة السيراء، جـ(١)، ص(١٤٣).

[2] بالنثا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص(٦٠٣).

[3] ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٧٤-٧٥).

[4] ابن سهل، **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمّة**، ص(٨٦).

[5] الثغر الأعلى : ويمثل في الأندلس ولاية الحدود الشمالية، وهي مدينة سرقطه وأعمالها. أنظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، جـ(٢)، ص(٨١). الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص(٤٣) والثغر هو كل موضع قريب من أرض العدو، يقول ابن عبد الحق :" وسمي ثغراً من ثغرة الحائط، لأنه يحتاج لئلا يأتي العدو منه". أنظر ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، ت(٧٣٩هـ)، **مراصد الإطلاع**، ط(١) تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م، جـ(١)، ص(٢٩٧). وسيشار اليه ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع.

[6] ابن حزم، **طوق الحمامة**، ص(٤٨).

[7] هو محمود بن عبد الجبار بن زاقلة، من بني طريف من مصمودة إحدى قبائل البربر، تولى قيادة البربر في ثورتهم ضد حكم عبد الرحمن الأوسط واتخذ من ماردة مقراً لثورته قُتل في عام ٢٢٥هـ(٨٤٠م). أنظر ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص(٥٠٠-٥٠١). ابن خلدون، العبر، جـ(٤)، ص(١٢٨).

ولم يقتصر الحال في الزواج المختلط على طبقة الحكام والأغنياء دونا على العامة، فالناس على دين ملوكهم، ولقد ذكر المؤرخ عبد الواحد المراكشي خبرا نستنتج منه مدى انتشار هذه الظاهرة بين العامة، وذلك زمن المنصور بن أبي عامر الذي "ملأ الأندلس غنائم وسبايا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناقم من الثياب والحلي والدرر، وذلك لرخص أثمان بنات الروم فكان الناس يرغبون في بناقم بما يجهزوهن به، ولولا ذلك لم يتزوج أحد، بلغني أنه نودي على ابنه عظيم من عظماء الروم بقرطبة، وكانت ذات جمال رائع، فلم تساوى أكثر من عشرين دينارا عامريا" [1].

التأثيرات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة

- أدى تطور العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والذميين إلى تأثر كل منهم بالآخر، كما وأدى إلى انتقال العديد من العادات والطقوس بين كلا الجانبين، فمن أهم التأثيرات التي طرأت على المسلمين فقدان نقاوة العرق السامي، وامتزاج الدم العربي بالإسباني، مما نتج عنه تغيير في الصفات الجسمية من حيث لون البشرة، وزرقه العينين، وبرودة المزاج [2] ، ولقد وصف الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ-٣٢٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) بـ(الشعر الأحمر، والعينان الزرقاوان"، هذا الأمر حدا بالمستشرق خوليان ريبيرا إلى صياغة نظرية اعتبارية أن الأندلسيين جميعهم، ابتداء من جيلهم الثالث والرابع بعد الفتح هم في حقيقة الأمر أسبان مسلمون وليسوا عربا وافدين [3]، واليهم يعود الفضل في تطور الثقافة الأندلسية خلال العصور الوسطى.

ومن مظاهر تأثر المسلمين بالنصارى، استراحتهم يوم الأحد، حيث ذكر ابن حيان -نقلا عن الرازي- " وكان أول من سن لكتاب السلطان، وأهل الخدمة تعطيل الخدمة يوم الأحد من الأسبوع، والتخلف عن حضور القصر قومس بن انتنيان كاتب الرسائل للأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م)، وكان نصرانيا دعا إلى ذلك لنسكه فيه، فتبعه جميع الكتاب طلبا للاستراحة من تعبهم، والنظر في أمورهم، فانتحوا ذلك اليوم، ومضى إلى اليوم

---

[1] عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، ص(٣٨).

[2] ابن حزم، **طوق الحمامة**، ص(٤٨).

[3] يهدف المستشرق ريبرا من هذه النظرية الطعن بالثقافة العربية الإسلامية في الأندلس، ويرجع الفضل في هذه الحضارة العريقة الى الأسبان وحدهم. وهذا مخالف للحقيقة وتزوير لها. للمزيد أنظر بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص(١٤٢).

عليه" [1] ، ولقد تكررت هذه الإشارة عند المقري في معرض حديثه عن أخبار المنصور العامري قائلاً :"وأصبح المنصور صبيحة أحد، وكان يوم راحة الخدمة الذي أعفوا فيه من الخدمة " [2].

وليس ذاك وحسب، بل نجد المسلمين يقتبسون التقويم اليولياني[3] ، ويؤرخون به أعمالهم ومناسباتهم، وينظمون به أمور حياتهم، حيث تشير الدراسات أن هذا التقويم هو الذي استعمله المؤرخ ابن حيان في تاريخه[4] ، ووصلت حمى التأثر والتأثير بين الطرفين إلى العادات والتقاليد، فلقد تشبه النصارى بالمسلمين في غسل موتاهم، وتغطية وجه المرأة، وفي "عادات تأسيس البيوت العربية الأصل، لاسيما مجالس المرأة في هذه البيوت" [5] .

ولقد دخلت العديد من الأسماء والألقاب الأسبانية إلى اللغة العربية مثل فرتون(Fortunio)[6] ولُب (Lope)[7] وقسي(Kesi) ... وغيرها، وتسمى العديد من المسلمين بهذه الأسماء، فلقد تلقب عبد الرحمن بن الحاجب المنصور بن أبي عامر باسم سانشويلو(Sanchuelo) أي سانشو الصغير، وذلك تخليداً لذكرى جده-والد أمه[8]-، وقد عرف في المصادر الإسلامية باسم شانجول[9]، وكان لقب الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص(١٣٨)، محمد بنشريفة، حول التسامح الديني وابن ميمون والموحدين، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية، تونس، يونيو ١٩٨٥م، العدد (١٤)، ص(١٣). وسيشار اليه محمد بنشريفة،حول التسامح الديني.

[2] المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(٤١٧).

[3] التقويم اليولياني: نسبة الى الإمبراطور يوليوس قيصر (Julius Caesar) الذي وجد أن التقويم الروماني القديم قد أخطأ بحساب العديد من الأشهر، وهو بحاجة إلى تعديل، فقام بوضع تقويم بمساعدة العالم الفلكي سوسجينوس (Sosigenes) .

أنظر Academic American Enag, Vol (4), P.P)27-28).

[4] كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص(١٧٤).

[5] أميركوكاسترو، حضارة الاسلام في إسبانيا، تعريب سليمان عطار، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص(٤٨). وسيشار إليه كاسترو، حضارة الإسلام في إسبانيا.

[6] وتعني سعيد الحظ.

[7] أو (Lobo) أي السبع-حيوان لمفترس أكبر من الذئب- المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(١٨٥).

[8] هو سانشو ابن غرسية حاكم نفرة (Navara).

[9] Bury, Combr. Med. Hist, Vol (3), P(427)

الكندي[1] أبو جنيش[2] فعرف بالرمادي، كما وأن العرب المسلمين أضافوا إلى أسمائهم المقاطع الإسبانية، مثل (الواو) و(النون)-On- للتكبير، ومن ذلك خلدون من (خالد)، وحمدون من (حامد)، وحفصون من (حفص)، وعند التصغير يقولون عبيدون أو عبيديس[3].

بالمقابل نجد العديد من أهل الذّمة بأسماء عربية صرفه مثل القومس ربيع بن ثوديلفو، وربيع بن زيد الأسقف، وأصبغ بن عبد الله بن نبيل، وعباس ابن المنذر جاثليق[4]، وعبد الملك بن حسّان، ووليد بن مغيث[5] ... وغيرهم.

يعد اللباس من أهم المظاهر الاجتماعية التي تأثر بها الذميّون، فلقد تشبه النصارى بالمسلمين في لباسهم، من ذلك ما ذكره ابن الأخوة:" كما ركبوا – أهل الذمة- ركوب المسلمين، لبسوا أحسن ملبوسهم"[6]، ولا تذكر لنا أي من المصادر الإسلامية أو النصرانية أنه قد فرض على النصارى في الأندلس أنواعٌ مخصصة من الملابس تميزهم عن غيرهم من سكان البلاد[7]، كما نستنتج ذلك من قضية وردت على فقيه الأندلس ابن لبابة، وتتلخص في أن رجلاً نصرانيًا صلّى بجماعة من المسلمين الصلوات الخمسة المكتوبة، وكذلك صلاة القيام في رمضان، ومعه قرآن يقرأ فيه دون أن يعلم المسلمون من أمره شيئاً[8]، فلو كان هناك ما يميّز النصارى في اللّباس لما حدث ذلك الأمر، وكذلك اتخذ اليهود اللباس العربي[9]،

---

[1] هو أبو عمر يوسف بن هارون الكندي، شاعر معروف، روى عن القالي كتاب (النوادر)، لقب بأبي جنيش. أنظر الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص(٣١-٣٢)، ابن بشكوال، **الصلة**، جـ(٣)، ص(٩٦٩). ابن سعيد المغربي، **المغرب**، جـ(١)، ص(٣٩٢-٣٩٥). بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، جـ(٥)، ص(١١٩-١٢٠).

[2] وهي بمعنى رماد. أنظر بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص(٦٨).

[3] كحيلة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، ص(٣٢).

[4] كلمة يونانية، وهو متقدم الأساقفة من رجال الدين. أنظر التنوخي : نشوار المحاضرة، ١٩٧١م، جـ(١)، ص(٥٣).

[5] ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، ص(٤٦٧).

[6] ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي، د.ت، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تحقيق روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كمبردج، ١٩٣٧م، ص(٣). وسيشار اليه ابن الأخوة، معالم القربة.

[7] ابن عبدون : محمد بن أحمد التجيبي، د.ت، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص(٥١). وسيشار اليه ابن عبدون، ثلاث رسائل.

[8] الونشريسي، **المعيار المعرب**، جـ(١)، ص(١٥٦).

[9] Bury, Camt, Med. His, Vol(3), P(429).

إلا أنهم ميزوا أنفسهم بلبس غفائر[1] الصوف الصفراء دوناً عن باقي الألوان، ويضيف المقري " ولا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة"[2].

بين اليهود والنصارى

لا تسعفنا المصادر الإسلامية ولا الأجنبية بمعلومات حول العلاقة ما بين اليهود والنصارى في ظل حكم بني أمية الأندلس، وحقيقة الأمر أن هذه العلاقات قد تبدلت تماماً عمّا كانت عليه زمن الحكم القوطي، وبعد الفتح الإسلامي (٩٢هـ/٧١١م)[3]، حيث قل الاحتكاك والاتصال بين الطرفين على المستوى الرسمي، أما على المستوى الشعبي فمن غير المستبعد أن تقوم علاقات اجتماعية واقتصادية وصداقات وتزاور بين اليهود والنصارى شأنهم شأن الطوائف المتعايشة داخل بيئة، واحدة في مجتمع مرن كالمجتمع الأندلسي، ومن ذلك تحوّل بعض اليهود إلى النصرانية والتعصب لها مثل بول ألفارو القرطبي (Paul Aivaro) [4]، واعتناق بعض النصارى الديانة اليهودية مثل الشمّاس بودو[5](Bodo) الذي تهّود وتسمى باليعازر، وانتقل العيش في سرقطه (Saragosa) خلال الحكم الأمير عبد الرحمن الأوسط للأندلس[6](٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م).

ممارسة الشعائر الدينية عند أهل الأندلس

سبق لنا أن تحدثنا عن الحرّية التي حظي بها أهل الذمّة في ظل الحكم الأموي للأندلس، وكان ذلك من خلال الحديث عن موقف الدولة من رجال الدين والأماكن المقدسة.

---

(١) جمع غفارة، وتعني الستر، وتصنع من الصوف، وهي خرقة توفي بها المرأة خمارها. أنظر ابن منظور، **لسان العرب**، جـ(١٠)، ص(٩٢). الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، جـ(٢)، ص(١٠٣).

(٢) المقري، **نفح الطيب** ، جـ(١)، ص(٢٢٣).

(٣) سبق الإشارة عن الاضطهاد القوطي اليهود.

(٤) Levi-Provencal, Histoire, Tome(1), P(234).

(٥) شمّاس ألماني، نشأ وتربى في قصر الإمبراطور هوتو الأول (Otto1)، وتمكّن من الديانة النصرانية حتى صار برتبة شمّاس، وفي عام ٨٣٩م (٢٢٢هـ) تهوّد وانتقل للعيش في الأندلس بعد أن سمع بحرية الديانات والعقائد فيها تحت حكم المسلمين، وتزوج بامرأة يهودية أسبانية، وأخذ باضطهاد النصارى من خلال كتاباته ودعواته المتكررة الى حكام المسلمين بطرد النصارى من البلاد. أنظر سيمون الحايك عبد **الرحمن الأوسط**، المطبعة البوليسيّة، بيروت، ص(١٨٨-١٨٩). وسيشار إليه الحايك، عبد الرحمن الأوسط.

(٦) Ibid

وفيما يلي، الحديث حول بعض الممارسات الدينية عند أهل الذمة في الأندلس وتشمل :

١. الأعياد :

احتفل كل من اليهود والنصارى في الأندلس بأعيادهم ومناسباتهم الدينية[1] الخاصة بهم، وسمحت لهم السلطات الإسلامية بممارسة الطقوس والشعائر اللازمة لهذه الاحتفالات بجو من الحرّية والتسامح، بعيداً عن التعصب والتضييق.

ولقد أورد عريب بن سعد وربيع بن زيد الأسقف في مؤلفهما تقويم قرطبة- الموسوم بكتاب الأنواء- أعياد النصارى الدينية في الأندلس قال :" وقد ذكرت في هذا الكتاب جميع أعياد العجم التي لا تختلف أوقاتها ولا تتغير أزمانها، وذكرت ذلك عيداً عيداً في كل شهر من شهورهم ليكون ذلك زيادة في المعرفة، وعوناً في الدلالة"[2] وأول هذه الأعياد- وفقاً للشهور

---

[1] يذكر شيخ الربوة أن للقبط النصارى أربعة عشراً عيداً، سبعة كبار وسبعة صغار، فالكبار هي :" النوروز وهو نوروز الأقباط ويتخذونه في رؤوس سنينهم ... وعيد البشارة وهو بشارة جبريل بميلاد عيسى.. وعيد الزيتونة ويسمونه الشعانين، يعني التسابيح... وهو يوم ركوب المسيح الحمار ودخوله صهيون ببيت المقدس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر... وعيد الفسح(الفصح) وهو الكبير ويقولون أن المسيح قام فيه بعد الموت والصلب بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم ... وخميس الأربعين ويسمونه الصعود وهو الأربعون من فطرهم ويزعمون أن المسيح تسلّق فيه بين التلاميذ إلى السماء بعد القيامة ووعدهم بإرسال البافليط وهو (روح القدس).. وعيد الخمسين وهو العنصرة يعلمونه بعد خمسين يوماً من عيد القيامة.. وعيد الميلاد وهو اليوم الذي ولد فيه المسيح.. وعيد الغطاس "وأمّا الأعياد الصغار فهي :" عيد الختان يقولون أن المسيح ختن في ذلك اليوم وهو الثامن بعد الميلاد، وعيد دخول الهيكل يقولون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح الهيكل مع أمه وبارك عليه.. وخميس العدس والبيض والأرز وهو الخميس الكبير ... وعيد النور وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر من مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح الكنيسة، ويحملون ناره في الشموع الى بحر نيطس الى جزائر بلاد الفرنج وأحد الأحود وهو بعد الفصح بثمانية أيام فيه يجددون الآلات والأثاث واللباس، وعيد التجلي ويزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه في هذا اليوم على طور(ثابور) وظهوره لهم على هيئة إيليا وموسى يخاطبه فوقع التلاميذ على وجوههم فجاء المسيح فأقامهم فلم يروا أحداً غير المسيح وحده فأوصاهم أن لا يخبروا بذلك أحداً... وعيد الصليب يزعمون النصارى أن أم قسطنطين هي هيلاني وصلت إليها خشبة الصليب فغشتها بالذهب واتخذت ذلك اليوم عيداً". أنظر شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ت(٧٢٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق أغشطس بن يحي، مطبعة الأكادمية الامبروطرية، ١٨٦٥بطربورغ، م. ص(٢٧٩-٢٨٢). وسيشار اليه شيخ الربوة، نخبة الدهر.

[2] عريب- ربيع، تقويم قرطبة، ص(٢١).

العجمية (الميلادية)- هو عيد النيروز[1] ، ويوافق الأول من يناير[2]- كانون ثان- وفيه كـــان ختان السيد المسيح -عليه السلام [3]- وكان الأندلسيون يحتفلون به بإعداد أرغفة الخبز وغيرها من المأكولات الطيبة والحلويات والسكر ويتبادلون الهدايا، ويقدمون لأكابرهم مديحا من الشعر، وبعده يأتي عيد الغطاس [4]" وهو الذي غمر فيه المسيح، ويقولون أنه ظهر عليه في هذه الليلـــة نجم" [5]وهو يوافق السادس من يناير[6]-كانون ثان-، وبعده عيد يسمونه(قندليرا)[7] وهو مـــن أعظم الأعياد عندهم ويكون في الثاني من فبراير[8]-شباط- وهناك عيد المغرة، ويســـمى عيـــد الشمع" وهو يوم دخول المسيح الهيكل"، وفي هذا اليوم يطلي الناس أبوابهم وقـــرون بقرهـــم، ويكون عادة في التاسع من شهر مارس-آذار، وفي الواحد والعشرين من مارس[9]-آذار- هنـــاك عيد للنصارى، وهو " عيد التحام الكلمة في مشيمة مريم" وفي اليـــوم التـــالي-أي في الثـــاني والعشرين من مارس-آذار- بداية الفصح عندهم[10]، ويسمونه قيامة المسيح، فلا يتقـــدم قبـــل ذلك بيوم، وآخر أوقاته اليوم الرابع والعشرين من إبريل-نيسان- ولا يتأخر بعد ذلك بيـــوم، ولا يكون الفصح إلا في يوم أحد، ويتقدمه صومهم اثنان وأربعون يوما، " وعيد الفصح هو

---

[1] وهو من الأعياد الفارسية، ويوافق الأول من السنة الجديدة في التقويم الفارسي. أنظر النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت(٧٣٣هـــ)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، ط(٢)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م، السفر الأول، ص(١٨٤). وسيشار إليه النويري، نهاية الإرب.

[2] بحـــث منشـــور في **Fernado de La Granja, Fiestas Cristianas En Al –Andalus, Al Andalus Madrid, Escuels de Estudi Arabes , Vol(34), 1969, P(2).** وسيشار إليه **Granja, Fiestas**

[3] ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، ص(١٦٥). يوسف جرمانوس، **بيان الأعياد الموضوعة لأيام السنة**، ميكروفيلـم في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية، رقم الشريط (٧٥٦)، ص(١). وسيشار اليه جرمانوس، بيان الأعياد.

[4] وهو عيد التعميد"يقولون أن يحي بن زكريا- عليهما السلام- عمد المسيح في بحيرة طبرية" شيخ الربوة، **نخبة الدهـــر** ص(٢٨١). جرمانوس، **المصدر السابق**، ص(٢).

[5] عريب-ربيع، **تقويم قرطبة**، ص(٢٩).

[6] **المصدر نفسه**.

[7] يقول عريب:" وفيه للعجم عيد عند برج مريم أم عيسى ببيت المقدس". عريب-ربيع، **المصدر السابـــق**، ص(٤١). ولم أجد له ذكر غير هذا.

[8] **المصدر نفسه**.

[9] عريب-ربيع، **المصدر السابق**، ص(٥٥).

[10] تختلف مواقيت عيد الفصح عاما بعد عام، فهو يتراوح مابين ٢٢مارس –آذار- ٢٤ابريل-نيسان.

فطرهم وأكبر أعيادهم"[1]، وبعده عيد الصليب ويسمونه (شنت قروش) (Saint Cross)ويزعمون أنهم وجدوا صليب المسيح مرمياً في بيت المقدس[2]، ويكون في الثالث من نسيان،وتتابع أعياد النصارى الدينية، ففي الرابع والعشرين من يونيو-حزيران- عيد العنصرة[3]، وهو يوم ميلاد السيد يوحنا المعمدان[4]، ويوافق بداية الصيف في الأندلس، حيث يدعونه أهل هذه البلاد بالمهرجان[5]، وفيه تخرج النساء والرجال للتفرّج والنزهة وتجري الخيل والمباراة، وترش النساء بيوتهن بالماء ويخرجن ثيابهن بالليل إلى الندى[6]، وللنصارى عيد يقولون أن مريم رفعت فيه ويوافق الخامس عشر من أغسطس-آب[7]-، وأما عيد قتل يحي بن زكريا فهو في الرابع والعشرين من سبتمبر[8]-يوليو- ويكون أعظم أعياد النصارى على وجه الإطلاق في الخامس والعشرين من ديسمبر[9]-كانون أول- وهو عيد ميلاد السيد المسيح -عليه السّلام[10]- يقول النويري:" ويقولون-النصارى- أنه ولد في يوم الاثنين فيجعلون عشية الأحد ليلة الميلاد"[11]. ويتخذونها عيداً لهم، فيقضونها بتناول أصناف من الفواكه والسكر والتمر والزبيب والتين واللوز والجوز والبلوط والأترج... وغيرها من الأطعمة اللذيذة، كما أنهم يتهادون فيما بينهم بالتحف

---

(1) القرطبي، **الأعلام**، ص(١٦٨).

(2) عريب-ربيع، **تقويم قرطبة**، ص(٨١).

(3) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، ص(١٦٥). جرمانوس، **بيان الأعياد**، ص(٤٢).

(4) هو النبي يحي بن زكريا- عليهما السلام-. أنظر فيرنيت، **فضل الأندلس**، ص(٤٣).

(5) والمهرجان في الأصل تقليد فارسي،ويطابق اعتدال الشمس في الخريف. أنظر النويري، **نهاية الإرب**، السفر الأول، ص(١٧٩-١٨١). ولقد تداخل مع عيد العنصرة حتى أصبح يوم العنصرة مهرجان أهل الأندلس. أنظر شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص(٢٧٩).

(6) الونشريسي، **المعيار المغرب**، جـ(١١)، ص(١٥١). عمر بنميرة، **جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية**، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية، تونس، يونيو ١٩٩٥م، العدد(١٤)، ص(٥٩). وسيشار إليه عمر بنميرة، جوانب من تاريخ أهل الذمة.

(7) عريب-ربيع، **المصدر السابق**، ص(١٢٧). جرمانوس، **المصدر السابق**، ص(٥٥)

(8) عريب-ربيع، **المصدر السابق**، ص(١٤٣).

(9) عريب-ربيع، المصدر السابق، ص(١٨٣).

(10) المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، ت(٨٤٥هـ)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط(١)، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م،جـ(٢)، ص(٢٨). وسيشار إليه المقريزي، الخطط.

(11) النويري، **المصدر السابق**، السفر الأول، ص(١٨٤).

والهدايا القيمة. ولهم عيد في السابع والعشرين من ديسمبر هو عيد" رفع يحيى الحواري الإنجيلي"[١].

ومن أعياد النصارى الدينية في الأندلس عيد يسمى خميس العهد[٢] أو خميس إبريل-نيسان، وهو أيضاً خميس البيض والأرز "ومن سننهم فيه أن يأخذوا إناء يملأونه ماءً ثم يزمزمون(يرتلون) عليه، ثم يغتسل به للتبرك، ويزعمون أن المسيح فعل هذا لتلاميذه حتى يعلمهم التواضع"[٣].

وفي الأندلس أعيادٌ خاصة تخليداً لذكرى القديسين[٤]، من هذه الأعياد عيد جفريان الحكيم ويوافق الرابع عشر من سبتمبر[٥] -، وعيد القد يسه قرشينه في يوم السادس والعشرين من يوليو[٦]-حزيران- وغيرها، ولقد ذكر الطبيب عريب بن سعد في تقويمه جميع أعياد القديسين النصارى في الأندلس -أنظر ملحق رقم(٦)-.

وعن الأعياد القومية، احتفل الأندلسيون بعيد العصير(Alacir) الذي كان يقام عند جني محصول الغنب وعصره، وهو المحصول الرئيسي في البلاد، ومن المدن التي اشتهرت بزراعة العنب مدينة قرطمة (Cartoma) يقول الدكتور صالح محمد فياض:" واشتهرت بزراعته-العنب- سهول مدينة قرطمة التي أنتجت منه كميات وافرة لملاءمة تربتها وحسن مناخها، وعرف أهلها صناعة العصير الذي امتاز عن غيره بالنوعية والكمية"[٧].

وكان الأهالي في عيد العصير يغادرون ديارهم، وينتقلون إلى الحقول، والى الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول في جوٍ من المرح والغناء والرقص والطرب[٨].

هذا بالنسبة لأعياد النصارى، وأمّا أعياد اليهود فمنها الأعياد الشرعية، وهي الأعياد الدينية

---

(١) عريب-ربيع، تقويم قرطبة، ص(١٨٣).

(٢) يقول المقريزي :"ويسميه أهل مصر عيد العدس". أنظر المقريزي، **الخطط**، حـ(٢)، ص(٣٠-٣١).

(٣) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص(٢٨٢)، النويري، **نهاية الإرب**، السفر الأول، ص(٢٩٢).

(٤) القرطبي، **الإعلام**، ص(٢٦٨).

(٥) عريب-ربيع، **المصدر السابق**، ص(١٣٩).

(٦) عريب -ربيع، المصدر السابق، ص(١١٧).

(٧) صالح محمد فياض أبو دياك، **الزراعة في الأندلس وأثرها على التصنيع الزراعي**، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد (٤٤)، السنة السادسة عشرة، ١٤١٢-١٩٩١، ص(٢٠٤). وسيشار إليه أبو دياك، الزراعة في الأندلس.

(٨) العبادي، **الإسلام في ارض الأندلس**، ص(٣٩١).

التي نطقت بها التوراة[1]، ومن هذه الأعياد عيد رأس السنة العبرية(روش هشاناه)[2] وموعده في أول شهر تشري[3]- أحد الشهور العبرية[4] - وهو يقوم في ذكرى افتداء الله لإسماعيل-عليه السلام- بعد أن كاد والده إبراهيم أن يذبحه، ويعتبر هذا العيد عتق وحرية عند اليهود، ومن مظاهره الاحتفالية نفخ الأبواق أثناء الصلاة، والترتيل والتهليل[5]، كما ويعتبر عيد الغفران أو الكفارة من الأعياد الشرعية الهامة عندهم، ويسمونه بالعبرية صوماريا أو الكبور، وهو صومهم الأكبر، ومن لا يصومه فعقوبته القتل، وهناك خلاف في مدته، فبينما جعل الربانيون[6] مدته خمسا وعشرين ساعة تبدأ من غروب شمس يوم. فإن القرائين[7] جعلوا الصيام أربعا وعشرين ساعة فقط[8]، وقد تشدد السامرة في صيام ذلك اليوم حتى أنهم لم يستثنوا منه الأطفال الرضع[9]، ويزعم اليهود أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم سوى الزنا بالمحصنة، وظلم الأخ لأخيه، وإنكار الربوبية.

ومن أعيادهم كذلك عيد الفطر[10]، ويسمونه عيد الفصح، ويأتي في الخامس عشر من شهر نيسان، ومدته من ستة إلى ثمانية أيام على خلاف بين الفرق اليهودية، وفيه يحرم على

---

[1] المقريزي، **الخطط**، جـ(٤)، ص(٣٧٦).

[2] النويري، **نهاية الإرب**، جـ(١)، ص(١٩٥). ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، ص(١٦٨).

[3] أي في أوائل تشرين أول-أكتوبر.

[4] شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص(٢٧٦).

[5] غازي السعدي، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، عمان، دار الجليل، ١٩٨٧م، ص(١١). وسيشار اليه السعدي، الأعياد والمناسبات.

[6] الربانيون : نسبة الى (رب) التي تعني في اللغة العبرية(الكبير) أو (الرئيس)، وهم اليهود الذين أبقوا باب المقدسات مفتوحا على مصراعيه بعد وفاة موسى-عليه السلام- بحيث دخلت منه المرويات الشفوية والاجتهادات وآراء الفقهاء، وهم يشكلون الغالبية العظمى من اليهود. أنظر ظاظا، **المصدر السابق**، ص(٢٤٣).

[7] القراؤون : نسبة الى (المقرا) في اللغة العبرية، وهي بمعنى مقروءا أو قرآن، وهم أولئك اليهود الذين جعلوا المرجع الأول والأخير هو النص المكتوب والمسمى (المقرا)، ورفضوا كل ما جاء بعده من مرويات شفوية وآراء واجتهادات. أنظر ظاظا، **المصدر السابق**، ص(٢٩٥).

[8] **المقريزي، المصدر نفسه**.

[9] مراد فرج، **القراؤون والربانيون**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، ص(١٧). وسيشار اليه فرج، القراؤون والربانيون.

[10] السعدي، **المصدر السابق**، ص(١٤-١٥).

اليهودي أكل خبز الخميرة، ولا يأكلون سوى الفطير احتفالا بذكرى نجاتهم من فرعون وخروجهم إلى الصحراء، ويعتبر هذا العيد من مواسم الحج لدى اليهود[1].

٢. المزارات

يعد الحج إلى قبور القديسين وزيارة المزارات الدينية من الطقوس الهامة عند الذميين في الأندلس، حيث ضم ثرى البلاد عددا من أجداث القديسين والرهبان الذين قدموا خدمات كثيرة للتبشير بالديانة النصرانية، وأشهر هذه المزارات إطلاقا هو مزار يعقوب الحواري-شانت ياقب (Santiago)- في جليقية شمال الأندلس، وتقول الأسطورة أنه لما قتل يعقوب الحواري[2]- وهو أحد تلاميذ السيد المسيح- عليه السلام- بأمر من هيرود الثاني[3](Herod Antipas) ملك اليهود في فلسطين حمل تلاميذه جثته وعبروا البحر، فتقاذفتهم الرياح حتى خرجوا بها إلى المحيط ثم انحرفت بهم شمالا حتى انتهوا إلى موضع في قاصية جليقية ودفنوا جثمان الحواري في سفح التلال هناك، ومضت العصور وغاض القبر، ولم يعلم مكانه حتى عام ٨٣٥م (٢١٨هـ) حيث زعم القس ثيودمير (Theodmir) أسقف إيريا (Iria) أنه اكتشف القبر بأن ظهر له نجم في السماء، وأن هاتفا هتف به في نومه أن قبر يعقوب هو بالقرب من موقع هذا النجم على الأرض، وحفر هناك فعثر على رفات هذا الحواري، وحمل النبأ في الحال إلى الملك أذفونش (Alfonso II) الثاني، ملك ليون (Leon) والملقب بالعفيف – أنظر الملحق رقم (٧)- ، الذي بدوره أمر ببناء كنيسة فوق الموقع وأطلق على الموقع- مرج النجم-(de Composteta)[4]. وعرف الباب ليو الثاني (Leo II) بالأمر وقام بإعلانه في رسالة إلى العالم أجمع[5]، واعتبر القبر منذ ذلك اليوم قدس من الأقداس المعروفة في عالم النصرانية،واخذ الناس يحجون إليه من شتى أرجاء أوروبا والعالم.

---

[1] فرج، القراؤون والربانيون، ص(١٥).

[2] سبق التعرف به، ص(٣٨).

[3] وهو المعروف هيرود انتيباس، يعود نسبه الى اليهود الآدوميين، تولى الحكم في منطقة الجليل في شمال فلسطين كحاكم إداري في ظل النفوذ الروماني للمنطقة (٣٧ق.م- ٧٠م)، تزوج من هيروديا التي كان لها دور في التحريض على قتل يعقوب الحواري، توفي هيرود عام(٣٩م).

[4] academic American Ency, Vol (10), P(144).
الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص(١١٥). مونس، رحلة الى الأندلس، ص(٣٠٣).

[5] Hajji, Chr. Stat, P(49).
Jhon Crow, Spain – The root and flowers, New Yourk, 1963, P(83).
وسيشار اليه Crow, Spain

وحول أهمية شانت ياقب يعلق المستشرق أميركو كاسترو قائلاً : " أن جليقية أرض لم تحظ بالأهمية في عهد الرومان والقوط، وعندما يظهر بها شانت ياقب كان من المتوقع أن يظل الحدث محليا، ولكن الأمر لم يجر هكذا" ويضيف قائلاً :" إن العقيدة الشعّبية بوجود قبر الأخ المسيح في جليقية ربما كانت لا تزدهر دون محاولة إعاقة غمر إسبانيا بالإسلام، إنّ الغزو الإسلامي جاء وإسبانيا المسيحية معزولة تماماً عن باقي الأرض المسيحية، وكانت الحيرة تحيط بالناس، وهم يتساءلون : كيف يمكن إعادة مملكة المسيحية في طليطلة... ويمتد هذا الاعتقاد الشعبي في أوروبا ومن قبلها إسبانيا لتصبح سلطة- شانت ياقب- الدينية هي السلطة الأولى في أوروبا القرون الوسطى بلا منازع..." عموماً نشهد شيئاً مثيراً حول مدينة شانت ياقب وشخص صاحب اسم هذه المدينة عند المؤرخين المسلمين- يقصد ابن حيان وابن عذارى- بما يفيد تحول مدينة شانت ياقب إلى كعبة تشبه قداستها كعبة المسلمين، واليها يهرع المسيحيون من أقاصي الأرض حتى من نوبة مصر"[1].

إن المتأمل في عبارات –كاسترو- السابقة ليجد أنها تدور حول محاور ثلاث هي[2] :

١. محاكاة – شانت ياقب- كأثر مادي لكعبة المسلين من خلال الحج وشدّ الرحال إليها من شتى أنحاء العالم المسيحي.
٢. إن شانت ياقب أصبح عامل وحدة وتقارب بين الأسبان من جهة والعالم المسيحي من جهة ثانية[3].
٣. إن شانت ياقب أتاح للإسبان النصارى الاتصال بأوروبا والعالم المسيحي الخارجي من خلال وفود الحجاج إليه، واعتباره أنه هو حامي الجنود، وأنه يقاتل معهم، فكانوا في حروبهم مع المسلمين يهللون بأعلى أصواتهم (Eantiago Cierra Espana) أي " أن القديس يعقوب هو حامي إسبانيا"[4].

---

(١) كاسترو، حضارة الإسلام في الأندلس، ص(٦١-٦٢).
(٢) O'calloghan , **A History Of Medieval**, P(105).
(٣) Crow , Spain, P(84).
(٤) Ibid

ومن مزارات النصارى الأخرى في إسبانيا، قبر امرأة شهيدة في قرطاجنة[1] (Cartagena)، كان لها مزار هام، وفي أحداث (٤١٤هـ/١٠١٥م) يحكى أن جماعة من رهبان النصارى من بلاد الفرنجة قصدوا الدير بجانب هذا المزار وأنهم أخرجوا رفات المرأة الشهيدة ووضعوه في تابوت، وحملوه معهم في مركب بحري، وعندما وصلوا بذلك التابوت إلى جزيرة صقلية[2] ، قام عليهم نصارى الجزيرة وبذلوا لهم مالا كثيرا ليأخذوا رفات الشهيدة منهم وتدفن في كنائسهم هناك، فرفضوا ذلك وحملوها إلى بلادهم[3]، ومن غريب ما يذكره نصارى قرطاجنة من الأساطير والخرافات، حكاية تقول إنه كان لقبر هذه الشهيدة قبة في أعلاه كوة، وكان لذلك القبر يوم (عيد) فيه مشهد عظيم يجتمع في النصارى، قالوا:" وكان في ذلك اليوم لا يطير على القبة طير أصلا، فإن ذهب بإزاء الكوة اجتذبته الكوة إلى نفسها مكرها"، فلما أخرجت منه المرأة أنقطع وذلك بزعمهم[4].

ولقد حج نصارى الأندلس إلى بيت المقدس منتهزين فرصة دخولهم في طاعة الدولة الإسلامية، ويذكر لنا المستشرق خافيير فرانسيسكوا سايمونيت قصة قس يدعى فيليبالدو (Willibaldo) ذهب للحج إلى الأرضي المقدسة ووصل إلى الرها[5] ليزور كنيسة القديس توماس(Saint Thomas) فيها، فاشتبه به عامل البلدة المسلم وسجنه، ثم أطلق سراحه حينما استبان أنه من الذميين المعاهدين في الأندلس[6].

---

[1] قرطاجنة : مدينة قيمة، أزلية، لها مرسى ترسى به المراكب الكبار والصغار، أرضها خصبة، ولها إقليم يسمى الفندوق، ويمكن أن الزرع يثمر بسقي مطرة واحدة. أنظر الشريف الإدريسي، **صفة المغرب والأندلس**، ص(١٩٤). المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(١٦٨-١٧٠).

[2] صقلية : جزيرة في البحر الشامي (المتوسط)، بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلا، افتتحها المسلمون على يد القاضي أسد بن الفرات عام (٢١٢هـ/٨٢٨م)/ وهي في شرق الأندلس تحاذيها من بلاد المغرب بلاد أفريقية وباجه وطبرقه. أنظر ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص(١١٣).

[3] ويبدو أن نصارى صقلية رغبوا في اتخاذ رمز لهم من خلال دفن رفات الشهيدة في أرضهم، وبالتالى رفع المعنويات والهمم بين جنودهم في قتالهم ضد المسلمين.

[4] الحميري، **الروض المعطار**، ص(٤٦٢).

[5] الرها : مدينة من أرض الجزيرة فوق حران، قيل بالرمية (أذاسا)، ومنها الى حران أربعة فراسخ. أنظر عبد الحق، **مراصد الإطلاع**، جـ(٢)، (٦٤). ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص(٢١٥).

[6] **Simonet, Historia de Los Mozarates, Tome(1) , P(175).**

التأثيرات الدينية بين المسلمين وأهل الذمة

تأثر المسلمون في الأندلس ببعض المظاهر الدينية الذمية هناك، وتورد لنا كتب النوازل الفقهية بعض هذه التأثيرات، والتي منها مشاركة المسلمين في احتفالات وأعياد أهل الذمة[1]، ومن خلال تركهم الأعمال وابتياع الفواكه والأطعمه المختلفة وصنع الفطائر، ونظم القصائد للتهنئة، ومن ذلك قول الشاعر أبو العباس الأعمى التطيلي- في موشحة أعجمية-لطينية- عن عيد العنصرة قائلا :

لب ديه أشت ديه   دي ذا العنصر حقا

بشترى مو المدبج   ونشق الرمح شقا

وترجمتها العربية : هذا اليوم فخر وهو يوم العنصرة، سألبس فيه المدمج ... الخ[2] وقال ابن المعين[3] في أبيات تهنئة بنيروز[4] : (الوافر)

هو النيروز أملك للتهاني   وللبشرى بمقتبل الزمان

فهناك المهيمن ماحباه   ويحبوه على نساء ودان

ولقد ذكر العزفي – نقلاً عن ابن بشكوال- قوله في باب كراهية النيروز والمهرجان والميلاد وذم الاحتفال لها:" كان السلف رضي الله عنهم- وأهل الخير والفضل والدين والورع يكرهون هذه الفصول المذمومة ويعيبوها على فاعلها والمستعمل لها والمحافظ عليها، لأنها أعياد النصارى، فإني رأيت الجمهور اللفيف والعالم الكثيف من أهل عصرنا قد تواطؤوا على إعظام شأن هذه البدع الثلاث : الميلاد ويناير والمهرجان- وهو العنصرة- تواطؤوا فاحشاً والتزموا الإحتفال لها والإستعداد لدخولها إلتزاماً قبيحاً، فهم يرتقبون مواقيتها، ويفرحون بمجيئها، لعمري لقد نشبوا في فتنة هوى أوقعتهم في بدعة عمي، وشاقّوا الله ورسوله من حيث لا يعلمون، واستهلوا هذه

---

[1] بالنشيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص(٢١).

Granja, Fiestas Cristianas , P(3)

[2] اللغة الأعجمية (اللطينية) هي لغة خليط في العربية واللاتينية – وسيرد تفصيل عنها لاحقاً- أنظر لطفي عبد البديع، **الإسلام في إسبانيا**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، (٧٩). وسيشار اليه عبد البديع،الإسلام في إسبانيا.

[3] هو الأديب الشاعر أبو بكر عبد المعطي بن محمد بن المعين، الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص(٣٨٠).

[4] الفتح بن خاقان، **المصدر السابق**، ص(٣٨٤).

البدع حين ألفوها وعظموها حتى صارت عندهم كالسنّة المتبعة[1] "، ثم يضيف قـائلاً :" ولا تقبل للذي يستعد لها شهادة، ولا يصلي خلفه إلاّ من تاب إلى الله – عز وجل- من ذلـك توبـة صادقة، ولا تقبل هدية لأحد في يوم النيروز ولا في ليلة المهرجان ولا في ليلة يسمونها ليلة العجـوز، ومن قبل الهدية في هذه البدع الثلاث من أحد، فقد شرك المبتدعين لها في إثمها وعارها"[2]. وكذلـك أفتى فقيه الأندلس يحي بن يحي بعدم جواز الهدايا في عيد الميلاد، كما أنها عن إجابة الدعوة فيه، كما أنه أفتى بعدم جواز الإحتفال بالعنصرة وما يصاحبه من أعمال يقوم بها النصارى، وشددّ علـى أن يكون هذا اليوم كسائر الأيام الأخرى[3] . وحذر الفقيه ابن لبابة أهل القرى من المسـلمين عـن الاحتفال بعيد العنصرة، وبيّن لهم أن من يفعل في ذلك من أهل المدن إنما هو من المجانين[4]، وحـثّ الفقيه ابن وضاح[5] المسلمين على عدم الاحتفال بأي من أعياد النصارى، وعندما سأله محمد بـن خميس المعلم[6] عن ليلة العجوز، والذي يفعله أهل الأندلس فيها " فكره ذلك وعابه عيباً شـديداً، ونزع بآي من القرآن منها قوله تعالى ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدي﴾ [7]وقوله ﴿ ولا تتبعـان سـبيل الذين لا يعلمون﴾[8].

وسئل أحد فقهاء الأندلس[9] عن اليهود يصنعون رغائف في عيد لهم ويهدونه لبعض

---

[1] العزفي: أبو القاسم، د.ت، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، مخطوطة في مكتبة الإسكوريال تحـت رقـم (١٧٤١)، ورقة (٤) وجه. وسيشار اليه العزفي، الدُرّ المُنظم.

[2] العزفي. المصدر السابق، ورقة (٥) ظهر.

[3] الونشريسي، المعيار المغرب، جـ(١)، ص(١٥١).

[4] الونشريسي، المصدر السابق، جـ(١١)، ص(٩٢).

[5] هو أبو عبد الله بن وضاح محمد بن وضاح بن بزيع، مولى عبد الرحمن بن معاوية، من الـرواة المكـثرين، والأئمـة المشهورين، سمع بأفريقية من سحنون بن سعيد التنوخي، ومن الأندلس من يحي بن يحي الليثي، توفى سنة ٢٨٦هـ (٩٠٠م). أنظر الحميدي جذوة المقتبس، جـ(٢)، ص(٤٤٧-٤٤٩). ابن فَرحون، الديبـاج، ص(٣٣٨-٣٣٩)، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ(٣)، ص(٢٨٥).

[6] هو محمد بن خميس الأحدب، من أهل قرطبة، روى عن ابن وضاح، وكان من كبار أصحابه، سمع من إبراهيـم بـن محمد، كان نبيلاً، وقال بعضهم : كان معلم كُتاب. أنظر ابن الفرضـي، تـاريخ علمـاء الأندلـس، جـ(٢)، ص(٦٩٦).

[7] الأعراف، آية (١٤٢).

[8] يونس، آية(٨٩).

[9] هو الفقيه أبو عبد الله بن الأزرق الأشبيلي.

جيرانـــهم من المسلمين[1]، ونجد الفقيه ابن حبيب[2] يحذر نساء المسلمين من ممارسة الطقـــوس النصرانية في يوم العنصرة، ويقول :" لا ترششن بيوتكن بالماء يوم العنصرة، ولا تلقـــين في ثيـــابكن ورق الأكرنب[3] ، ولا تغتسلن في ذلك اليوم إلا من جنابة، فمن فعل ذلك منكن فقد شـــرك في دم يحي بن زيكريا – عليهما السلام"[4].

في المقابل، تأثر أهل الذمة بالدين الإسلامي الحنيف، واعتنق العديد منهم الإسلام حتى ظـــهرت طبقة جديدة في المجتمع طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي أطلق عليها(المسالمة) أو (الأسالمة)[5]، ولقد أخذت هذه الطبقة بالتزايد شيئا فشيئا[6] على حساب أهل الذمة و ماأن تسلم بنو أمية الحكـــــم في الأندلس عام ١٣٨هـــ/٧٥٦م حتى أصبح الذميون أقلية بين السكان، وفي إقلال مستمر.

والسؤال الآن ، ما هي الأسباب الحقيقة وراء اسلام سكان الأندلس؟ هل هي أسباب مادي ـــــة بحتة، ام أنها احتماعية صرفه؟ وأين الدافع الديني من ذلك؟

إن المتأمل في الكتابات المغاصرة، التي حاولت البت في هذه المسألة، ليجد فيها اختلافـــا بينـــا، وتعارضا واضحا، فكل كاتب ينتمي الى مدرسة فلسفية تاريخية، يحاول أن يقحم نظريته حول دوافع إسلام أهل الأندلس، فأصحاب التفسير المادي- وعلى رأسهم المستشـــــرق فرانسيســــكو خافيـــر سايمونيت- يرون أن السبب المادي هو وراء إسلام سكان البلاد " وأن النبلاء أسلموا مـــن أجـــل الحفاظ على أملاكهم أو هربا من دفع الجزية"، أما العامة فقد أسلمت من أجل تحسين أوضاعـــــهم المتردية والفقيرة.

---

[1] الونشريسي، المعيار المغرب، حــ(١١)، ص(١١١).

[2] هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي من أشراف أهل الأندلس، ومفخرة من مفاخرها، سمع بالأندلس، وتفقـــه بها، وجمع الى الفقيه، علوم الحديث واللغة والفنون والآداب، توفي في رمضان سنة ٢٣٨هـــ(٨٥٢م). أنظر الفتح بـــن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص(٢٣٥-٢٣٧). ابن سعيد المغربي، **المغرب**، حــ(٢)، ص(٩٦).

[3] نبات قال فيه الشيخ الرئيس –ابن سينا- " الأصل أرطب من الورق، والبري أيبس، وجملته حار، منه بستاني(بحـــري) ومنه بري، ومنه كرنب الماء، والبري أمر وأحد وابعد من أن يكون غذاء"، وله استعمالات طبية. أنظر النويري، نهايـــة الارب، السفر الحادي عشر، ص(٤٨).

[4] العزفي، **الدر المنظم**، ورقة (٥) ظهر.

[5] **Simonet, Historia de Los Mozarbes, Tome (1), P(77).**

[6] يقوا ابن القوطية:" كان عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- قد عهد الى السمح، بإجلاء الأندلس من الإسلام إشفاقا مـــن دخولي عليهم إذ خشي تغلب العدو عليهم، فكتب اليه السمح بن مالك بعرفه بقوة الإسلام، وكثرة مداينهم، وشـــرف معاقلهم". أنظر ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص(٨٠). أبو دياك، **الوجيز**، (١٧٦).

من ناحية أخرى يدّعي اصحاب التفسير الاجتماعي للتاريخ أن إسلام نصارى ويهود الأندلس هو صورة من محاكاة المغلوب الضعيف للغالب القوي، وأن انتصار المسلمين معناه صحة عقيدتهم ومبادئهم، فالتشبه بسادة وحكام الأندلس- بزعمهم- هو السبب الحقيقي والمباشر وراء اسلام سكان البلاد.

حقيقة ، إن ما ذهب اليه سايمونيت وأصحابه في اعتبار السبب الاقتصادي المادي وراء اسلام سكان الأندلس هو تفسير مغلوط، ولا يمكن الأخذ به كسبب مباشر وأساسي، فليس ثمة ضرورة ملحة أن يفارق المرء دين آبائه وأجداده ذلك أن سياسة المسلمين قد قامت على مبادئ التسامح الديني وحرية العقائد والممارسات الدينية، وكذلك فقد أبقى المسلمون أهل البلاد على أحوالهم السابقة، وسمحوا لهم بأن ينظموا أنفسهم وفق شرائعهم وقوانينهم الخاصة، كما أجازوا لهم التملّك والتنقل وشغل مناصب إدارية في الدولة كل ذلك دون أي إجبار أو تضييق لتغيير ديانتهم.

أمّا عن مقدار الجزية التي فرضت على الذميين، والنظر اليها كسبب داعٍ لتغيير المعتقد والديانة فهو أمر لا يأخذ به العقل أو المنطق، فمن المعروف تاريخياً وفقهياً محدودية وزهد قيمة هذه الجزية التي يدفعها الذمي في آخر كل حولٍ، وذلك مقابل حماية الدولة له، وإعفائه من الخدمة العسكرية.

وليس من المعقول أن يكون هذا المقدار مغرماً يثقلَ كاهل الذميّ، فيدفعه الى ترك دين آبائه وأجداده، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ما زعمه بعض المؤرخين المحدثيين عن محاكاة المغلوب للغالب وترك الذميين ديانتهم تشبهاً بالمسليمين، فهو أمر غامض وتعتريه الضبابيّة وعدم والضوح كما أنه ما من دليل يوجد على صحته، بل على العكس، فقد ذكر ابن عذاري أن الثائر عمر بن جفصون وعندما أراد التأثير على أتباعه قام وأعلن تنصره وارتداده عن الإسلام، غير أن ذلك لم ينفعه فنجد اتباعه ينفضون من حوله علماً أن غالبيتهم كانوا من النصارى[1].

مما سبق نجد أن العامل الرئيسي، والدافع الأساسي لإسلام سكان الأندلس هو العامل الديني بما يحمله من عدالة وأفكار نيرة تتلاءم مع فطرة البشر، يضاف اليه بعض العوامل المساعدة كسياسة الحكام المسلمين القائمة على العدل والتسامح.

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ(٢)، ص(١٤٣).أبو دياك، الوجيز، ص(٣٤٨).

ومن صور تأثر النصارى الإسبان بعادات وتقاليد المسلمين، ترديدهم (إن شاء الله) عند الوعود والمشاريع المستقبلية[1]، و" حتى ترديد كلمة(الله) في إسبانيا يبدو مسرفاً جداً إذا ما قارنّا المعاجم الإسبانية بالمعاجم الأخرى"[2]، ويبدو أن كلمة (Ole`) التي تقال عند الغناء ما هي إلاّ تحريف اسباني لكلمة (الله) العربية، وهناك عبارات التحية وصيغ التعبير التي تنم عن الاحترام مثل (الله يحفظك) و(الله يحميك)وغيرها[3].

فتنة المستعربين (Martyrdam)

ومع نهاية الفصل، لابد من الإشارة إلى حركة اجتماعية ثقافية دينية اجتاحت العاصمة الأندلسية (قرطبة) في الفترة ما بين(٢٣٦هـ-٢٣٨هـ/ ٨٥٠م-٨٥٢م)[4]، ألا وهي فتنة المستعربين[5].

تمثلت هذه الحركة بحزب من النصارى المتطرفين، وتزعم هذا الحزب الراهب إيولوخيسو[6] (Eulogio) وصديقه بول الفارو القرطبي[7] (Poul Alvero) أما أهداف هذه الحركة فقد كانت إقناع الشباب المسيحي بالعزوف عن الثقافة العربية، والإقلاع عن فنونها وآدابها المختلفة، وحملهم على قراءة الأدب اللاتيني كبديل أساسي، ومن ثم القيام بمناهضة الوجود الإسلامي في الأندلس، ورفض التعايش معه في بلد واحد.

---

(١) كاسترو، حضارة الإسلام في الأندلس، ص(٤٨).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق، (٤٩-٥٠).

(٤) Epalza, **Mozarats**, P(152). S.M. Imamuddin, **Apolitical History** P(104).

(٥) يطلق المستشرقون على هذه الحركة عادة حركة الاستشهاد (Marlyrdom)، وذلك لزعمهم أن من قتل خلالها من النصارى على يد السلطات الإسلامية ما هم إلا شهداء وقديسون يُحتفل بذكرى استشهادهم، وأنهم رموز دفعوا أرواحهم رخيصة دفاعاً عن أرضهم ومعتقدهم وتراثهم، وهذا رأي غلط وافتراء وتزوير للحقائق، فما هذه الحركة إلا فتنة أُريد بها خلخلة الصف الأندلسي الداخلي، وزعزعة الأمور بين الأفراد.

(٦) هو كاهن ينحدر من عائلة قرطبية تميزت بتعصبها للنصرانية، وحقدها الدفين للإسلام، شغل أخوه الأصغر يوسف إحدى وظائف الدولة خلال حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط، والأخوان الآخران انصرفا الى التجارة، وترهبت أخت له اسمها انلونه (Anelona)، وله مولفات منها تذكار القديسين (Memoriale Sanctorum). أنظر الحايك، عبد الرحمن الأوسط، ص(١٦٩).

Collin, **Early Medieval Spain**, P(213).

(٧) شاب ثري، يقال أنه من اصل يهودي، له عدة مولفات منها (حياة ايولوخيو). أنظر

Simonet, **Historia de los Mozarabes**, Tome (1), P(113).

حاول الراهب إيولوخيو في بادئ الأمر استخدام طرقاً سلمية، وذلك من خلال كتاباته ومؤلفاته، ولقد وضع للنصارى شعراً لاتينياً جديداً، يقوم في بنائه ونظمه على الوزن والقافية مثل الشعر العربي، وحثّ النصارى على قراءة هذا الشعر، والاستغناء به عن قراءة الشعر العربي الدخيل[1]، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع، بعد ذلك التجأ إلى طريق آخر هو مهاجمة الإسلام وأفكاره، واعتبار المسلمين دخلاء غاصبين للأرض، ودعى أبناء النصارى إلى الانتصار لمسيحيتهم، ومقاومة الإسلام، فتحول بذلك من مهاجمة الثقافة واللغة العربية إلى مهاجمة الإسلام ومبادئه.

كانت المعلومات لدى هؤلاء المتطرفين عن الإسلام وأفكاره ومبادئه لا تزال معلومات ضئيلة وسطحية، تنقصها الدقة، لهذا نجدهم لا يستوعبونه الاستيعاب الصحيح، حيث أخذوا يتقولون على الإسلام ونبيه الكريم الأقاويل المختلفة، المبنية على الخرافات والأكاذيب، ومما ذُكر أن ألفارو عمد إلى مخطوط لاتيني قديم وقع بين يديه، كان قد عثر عليه في أحد أديرة بنبلونة وقرأ في هذه المخطوطة أن " نبي الإسلام لّما أدرك أنّ ساعته قد دنت تنبأ في اليوم الثالث لوفاته أن الملائكة تأتي وتبعثه، وسهرت تلامذته حول جثته منتظرين الأعجوبة[2] و لم تحدث الأعجوبة".

وكانت طريقة أولئك المتعصبين في الانتحار وطلب الموت غاية في الغرابة و الدهشة، إذ لم يكن على أحدهم إلاّ أن يذهب إلى مكان عام كالمسجد والميادين العامة، ويسب الإسلام والرسول علانية، ليساق بعد ذلك إلى القاضي الذي يستتيبه بدوره، لكنه يرفض ويكرر السب والتجريح، فيأمر القاضي بإعدامه جزاءاً لفعلته وفق الشرع الإسلامي الحنيف[3].

أمّا البداية فقد كانت في أحد أسواق قرطبة،وذلك عندما دخل قس قرطبي اسمه برفكتو(**Perfecto**) في نقاشه مع جماعة من المسلمين حول نظرة النصارى إلى النبي محمد ﷺ لكن النقاش تطور الى جدال عنيف فقد القس على أثره صوابه، فسبّ الإسلام كما سبّ الرسول علانية، واعتبره نبياً مزيفاً وقال :" أنه كاذب". فما كان من الحضور إلا أن قبضوا

---

[1] ستانلي لين-بول، **قصة العرب في إسبانيا**، ص(٧٩).

[2] العبادي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص(١٥٦).

[3] ابن تيمة، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، مجلد(١)، ص(٢٤٤).

عليه، وسيق الى قاضي قرطبة الذي حكم بإعدامه، ونفذ الإعدام في أول يوم من عيد الفطر سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م، إرضاءاً لنفوس العامة[1].

استغل إيولوخيو وأتباعه هذا الحدث، وقاموا بتقديس برفكتو، واعتبروه قديساً شهيداً، حيث احتفلوا بيوم إعدامه ، كما أخذوا بالدعاية ضد المسلمين، وأشعلوا نار الحقد عليهم.

ومن ثم توالت حوادث الإنتحار، وتكررت مشاهد الفتنة عندما توجه راهب اسمه اسحق (Issac)الى قرطبة، ومثُل أمام القاضي، وتهجّم على الإسلام، داعياً القاضي الى نبذ هذا الدين واعتناق النصرانية، غير أن القاضي تهاون معه، وأمر بسجنه بحجة الجنون، ولكن نجد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م) يصر على إعدامه تطبيقاً للشريعة الإسلامية، وأن تحرق جثته ويذرّ رمادها، ونفذ الإعدام في ٣ حزيران ٢٣٦هـ/٨٥١م. وبعد يومين قُطِعَ رأسُ أحد حراس الأمير واسمه شانجه الإفرنجي[2] ، ويروى الخشني أن رجلاً نصرانياً جيئ به الى القاضي أسلم بن عبد العزيز[3] مستقتلاً لنفسه، وذلك بأن يعدم مقابل اقراره بمهاجمة الإسلام وسبّ الرسول ﷺ وأصر على ذلك[4]. وأُحضِرت امرأةٌ الى مجلس القاضي ابن زياد وقد زعمت أن عيسى عليه السلم هو الله وأن محمداً كذب في دعواه النبوة[5]، وأفتى الفقهاء بقتلها.

وتشير الروايات أنه في عام ٢٣٦هـ/٨٥١م أعدم ثلاثة عشر شخصاً، وفي الفترة ما بين يونيو ٨٥٣م (تموز ٢٣٩هـ) ويوليو ٨٥٦م (حزيران ٢٤٢هـ) قتل سبعة عشر آخرون[6]، وقد رأى الأمير عبد الرحمن أن يعالج الأمر بحكمة، فدعا الى عقد كمجمع ديني للأساقفة في

---

(1) مما يذكر عن اسحق أنه من أسرة قرطبية نبيلة، وأنه عمل موظفاً في خدمة بني أمية مدة من الزمن، ومن ثم تركهم وذهب إلى دير نابانوس (Napones) ليترهب، ومن ثم اصابته حمى الإنتحار. أنظر
Reinhart Dozy, **Spanish Islam**, London, Frank Cass, 1913, P(283-285).
وسيشار إليه Dozy, Spanish Islam

(2) الحايك، **عبد الرحمن الأوسط**، ص(١٦٨).

(3) أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله من القضاة بقرطبة، وصدور رجالها، وكثيراً ما كان الناصر لدين الله يستخلفه إذا خرج في سبيل الغزو، ثقة منه بعلمه ودينه، توفي في يوم الأربعاء لسبعة بقيت من رجب سنة ٣١٩هـ. النباهي، المراقبة العليا، ص(٦٣)، ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ(١)، ص(١٦٧-١٦٨). ابن فرحون، **الديباج**، ص(١٦٢).

(4) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص(١٠٨).

(5) ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمّة، ص(٧٠). الونشريسي، المعيار المغرب، جـ(٢)، ص(٣١٤).

(6) Collin, **Early Medieval Spain**, P(115)

مدينة أشبيلية عام ٢٣٧هـ/٨٥٢م. وترأس المجمع ريكافرد (Recafred) مطران اشبيلية، ومثل الأمير الأموي في هذا المجمع قومس بن انتنيان متولي المعاهدين في الأندلس، وباستثناء شاؤول (Shao'ol) أسقف قرطبة، اتخذ المجمع قراراً باستنكار هذه الفوضى الدينية، ودعا إلى الحد منها باتخاذ الإجراءات الصارمة[1].

كان هذا القرار مسماراً دقّ في نعش هذه الحركة الجنوبية، وتبع هذه الخطوة خطوات عدة، منها أن الأمير عبد الرحمن أمر بطرد جميع المستخدمين النصارى من قصر الخلافة، وأمر كذلك بمطاردة وملاحقة زعماء هذه الفتنة والتنكيل بهم، فألقي القبض على إيولوخيو وأودع سجن المدينة وهناك التقى بالفتاة فلورا (Flora) التي كانت من طبقة المولدين -من أب مسلم وأم مسيحية- وهناك تعاهدا على الثبات والتجرد لمقاومة الإسلام والمسلمين مهما كانت النتائج، فأعدمت أسوة بالآخرين[2].

وعندما توفى الأمير عبد الرحمن الأوسط وخلفه ابنه الأمير محمد الذي بدأ حكمه باللين والرفق، فأطلق سراح ايولوخيو وعيّنه أسقفاً لطليطلة فهدأت الفتنة قليلاً، لم يلبث أن عاد إلى قرطبة، وواصل فتنته، عندئذ لم يطق الأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م) صبراً فقبض عليه وأعدمه عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م)، وبذلك أخمدت الفتنة[3].

إن المتأمل في أحداث هذه الفتنة، ومّا أدت إليه من نتائج خطيرة، ليجد أنها هددت أمن واستقرار المجتمع الأندلسي، ولولا حِلمُ الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م)، وحنكة ابنه الأمير محمد في التعامل مع هذه المشكلة لكادت تودي بالمجتمع الأندلسي في أتون حرب أهلية مدمرة.

حقيقة أن الإنسان ليشعر بالشفقة للحالة التي أصابت أولئك النصارى المنتحرين، يقول المستشرق ستانلي لين – بول :" إن الرحمة التي تثير نفوسنا لشهداء قرطبة، هي بعينها الرحمة التي تخالجنا لمن أصيبوا بالهستريا، لان كل من قُتل منهم كان في الحقيقة شهيداً لمرض نفسي"[4]، ويضيف الدكتور عبد الرحمن علي حاجي منتقداً الطريقة التي اتبعها أولئك النصارى في الانتحار

---

(1) O'calloghan, Ahistory Of Medieval Spain, P(111). Dozy, Spanish Islam, P(288-289).

(2) Simonet, **Historia dé los Mozarabes**, Tomo (2), P(413).

(3) Collin, **Early Medieval History**, P(213).

(4) Stanley Lane-Poole, **The Moors In Spain**, Lahore, The Publishers United Limited, 1959, P(88).

وسيشار إليه Lane-Poole, **The Moors In Spain**

وطلب الموت، ويقول :" لقد تجنب هؤلاء عمداً طريق الإنجيل، وَنبذوا تعاليم السيد المسيح-عليه السلام- وأرادوا هم أن يثيروا المسلمين لتعذيبهم، وقد سعوا إلى إثارة المسلمين لشن حملة اضطهاد ضد المسيحيين"[١].

لقد خمدت هذه الفتنة على أرض الواقع، إلا أنها لم تنته كلية في صدور النصارى، وبقيت كامنة هناك، لتنبعث بعد مدة بصورة أخرى وشكل جديد، وهي حركة الاسترداد لإسبانيا (Reconquesta)[٢]، وبضورة فعاله في الثورات ضد الحكم الإسلامي في البلاد.

---

[١] حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٢٩)، أبو دياك، الوجيز، ص(٣٠٦).

[٢] W .Montgomery Watt, A **History Of Islamic Spain**, Edinburgh, Edinbrugh Univ P ress, 1992, P(150).

وسيشار إليه Watt, Ahistory Of Islamic Spain

الفصل الرابع

النشاط الاقتصادي لأهل الذمة في الأندلس

- عوامل ازدهار النشاط الاقتصادي في الأندلس.
- النشاط الاقتصادي عند أهل الذمة :

أ. النشاط الزراعي.

ب. النشاط الصناعي.

جـ. النشاط التجاري :

١. على الصعيد الداخلي.

٢. على الصعيد الخارجي.

- المعاملات المالية والتزاماتها عند أهل الذمة.

عوامل ازدهار النشاط الاقتصادي في الأندلس

تطورت القطاعات الاقتصادية في الأندلس خلال حكم بني أمية (١٣٨هـ-٤٢١هـ/٧٥٥م-١٠٣١م) تطوراً كبيراً، وشهدت مختلف هذه القطاعات تقدماً هاماً لما حظيته من اهتمام ورعاية، حيث أشارت العديد من كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين إلى عوامل ازدهار هذه القطاعات، وأبدعت كتاباتهم في وصف ما امتازت به أرض الأندلس من خصب وعطاء، وطيب مناخ، ووفرة مياه.

ورغم ذلك فقد مرت البلاد بفترات من الركود الاقتصادي، وذلك بسبب الفتن والثورات التي كانت تنشب في البلاد من حين لآخر، إلا أن هذه الظروف لم تعق حركة التطور والازدهار الاقتصادي في الأندلس بسبب ما تمتعت به البلاد من عوامل إيجابية ومواد متاحة لهذا التطور ، وفيما يلي عرض لأهم هذه العوامل :

أ. في مجال الزراعة

تعد خصوبة الأراضي الأندلسية من أهم العوامل الإيجابية في تقدم الزراعة في البلاد، ووصف ابن الشباط أرض الأندلس قائلاً :" إنها بقعة كريمة طيبة التربة"[1]، في حين اعتبر إقليم شذونه[2] (Sidonia) من البقاع الكريمة، الجيدة في الأندلس[3]، والحال ذاته ينطبق على أقاليم قرطاجنة[4] (Cartagena) وطليطلة (Toledo)[5] ولورقه (Lorca)[6].

---

[1] ابن الشباط : محمد بن علي المصري، ت(٦٨١هـ)، قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، نشره أحمد مختار العبادي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلة (١٣)، سنة ١٩٦٧-١٩٦٨م، ص(١٠١). وسيشار إليه ابن الشباط، قطعه.

[2] شذونة : إقليم يتبع إقليم البحيرة، وفيه من المدن أشبيلية، وقرموتة، وغلسانة، أنظر الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ(٢)، ص(٥٣٧). ابن حوقل، صورة الأرض، ص(١٠٥).

[3] الحميري، الروض المعطار، ص(٣٣٩). أبو دياك، الوجيز، ص(٢٠٠).

[4] الشريف الإدريسي، صفة المغرب، ص(١٩٤).

[5] القزويني، آثار البلاد، ص(٥٤٥-٥٤٦).

[6] العذرى، أحمد بن عمر، ت(٤٧٨هـ)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار وبستان =

كان لوفرة المياه في الأندلس أثر إيجابي في التقدم الزراعي، فلقد خصها الله من الري والسقيا بما لا يوجد في كثير من الأقطار[1]، ومن مصادر المياه الرئيسة في الأندلس مياه الأمطار، حتى قيل في الأمثال الأندلسية "مطر فبريل خير من فيض النيل"[2]، كما وتعتبر الأنهار مصدراً متجدداً للمياه في الأندلس، حيث يصفهما المقري أنه يشقها أربعون نهراً[3]، أشهرها نهر وادي آنه[4] (The Guadaiana) والذي يعرف كذلك بنهر ماردة، وهناك نهر الوادي الكبير (Quadaquivir) والذي يطلق عليه أحياناً نهر قرطبة[5]، أضف إليهما نهرا تاجه[6] ووادي لكه[7] (Guadelete) الشهيرين هذا الكم الكبير من الأنهار الرافدة للمياه أفاد الأندلسيون في أعمال الري والسقي، فنراهم يجلبون المياه إلى المناطق البعيدة بوساطة مصاريف جوفية تسمى (فجارة)، وكانت آنذاك تسمى قناة أو مجرى، وتعتبر مدينة مدريد الإسبانية أول تطبيق عملي

= في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد، ١٩٦٥م، ص(٢). وسيشار إليه العذري، نصوص عن الأندلس.

(١) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص(٤).

(٢) الزجالي : أبو يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي، ت(٦٩٤هـ)، **أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الأوام ومرعى السوام**، تحقيق محمد بنشريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، فاس، ١٩٧١م، القسم الثاني، ص(٣٤٩)، رقم المثال (١٥٣٢). وسيشار إليه الزجالي، أمثال العوام.

(٣) المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٢٢٦).

(٤) خالد يونس عبد العزيز الخالدي، **الاستقرار العربي الإسلامي في الأندلس في عصر الولاة**، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية،١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص(٢٩). وسيشار إليه الخالدي ، الإستقرار العربي.

(٥) ابن الوردي : زين الدين بن حفص بن عمر بن مظفر، ت(٧٤٩هـ)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، ط(٢)، مطبعة مصطفى بابي الحلبي بمصر، ١٩٣٩م، ص(٢٠). وسيشار إليه ابن الوردي، خريدة العجائب.

(٦) ويعرف كذلك بنهر باجه، أنظر ابن حبيب : عبد الملك بن حبيب السلمي، ت(٢٣٨هـ)، كتاب بدء الخلق، ميكروفيلم في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية، رقم الشريط(٥٦٤)، ص(٣٧٧) ولجه. وسيشار إليه ابن حبيب، بدء الخلق.

(٧) ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص(٣٦).

هذا النظام المائي[1]، كما أقام الأندلسيون الأرحاء[2] والسواني[3]، وحفروا الآبار العميقة حتى قيل في الأمثال "الرزق في البير"[4].

واستخدم الأندلسيون قديماً العديد من الأدوات المعروفة في الزراعة وفلاحة الأرض كالسكة المستخدمة في الحراثة، والمنجل الذي استخدم للحصاد[5] وغيرها من الأدوات.

ومن العوامل الإيجابية في ازدهار الزراعة في الأندلس تشجيع الخلفاء والحكام الأمويين للمزارعين واهتمامهم بتنشيط الزراعة في البلاد، وذلك من خلال إلغائهم لنظام الإقطاع القوطي والذي ساد في إسبانيا وأنحاء من أوروبا خلال العصور الوسطى، لما فيه من تفرقة بين طبقات المجتمع، وعدم الاعتراف بأحقية عامة الناس وفقرائهم بتملك الأراضي، وبذلك ساوى الأمويون بين جميع فئات المجتمع الأندلسي في استملاك الأراضي وزراعتها وفلاحتها كما شاءوا[6].

وشجع أمراء البيت الأموي على إنشاء الحدائق والبساتين الخاصة منها والعامة، ومن أهم البساتين التي اعتنى بها الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨هـ-١٧٢هـ/٧٥٥م-٧٨٨م) منية

---

[1] يرى المستشرق خوان فيرنيت أن الأصل في تسمية مدريد هو -مجريط- من مجرى المياه. أنظر فيرنيت، **فضل الأندلس**، ص(١٠٠).

[2] الأرحاء : هي النواعير، ومفردها ناعورة، وهي آلة تستخدم لرفع المياه. أنظر الزبيدي، **تاج العروس**، جـ(٣)، ص(٥٧٦).

[3] السانية : هي البعير أو الثور أو الحمار يربط به الرشاء (آلة) فيخرج الماء، السقي عليه يسمى سناوة، وهو أشبه ما يكون بالنواعير وتستخدم على ضفاف الأنهار. أنظر ابن سيدة : أبو الحسن علي بن إسماعيل ت(١٠٦٦م)، **المخصص**، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، جـ(٩)، ص(١٦٣). وسيشار إليه ابن سيدة، المخصص.

[4] الزجالي، أمثال العوام، القسم الثاني، ص(١١٨)، رقم المثال (٥٢٦).

[5] ابن بصّال : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي، د.ت، **الفلاحة**، نشره خوسى ماريه بياس ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م، ص(٩٧)، وسيشار إليه ابن بصّال، الفلاحة. ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق لمتشور انطونية، ص(٥٧).

[6] عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول ، ص(٦٢).

الرصافة[1]، فلقد نقل إليها أنواعاً من الغراس والأشجار المثمرة، وهناك حديقة رَبنالش[2]، والتي اتخذ فيها عبد الرحمن الداخل أول أصل للنخل في الأندلس، وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م) معجباً بمرج أخضر يقال له دُرُبُد[3]، وأنشأ الأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م) حديقة له أسماها منية كَنتُش في جنوب غربي العاصمة قرطبة[4].

ب. في مجال الصناعة

كان لوفرة الأيدي العاملة أثر هام في النمو الصناعي في الأندلس، فلقد انصرف قسم كبير من الناس إلى مجال التصنيع والأشغال اليدوية والحرف، ويذكر لنا ابن حيان أن الأمير عبد الرحمن الأوسط عندما شرع في توسعة المسجد الجامع بقرطبة لم يواجه مشقة في استدعاء العديد من الصنّاع والحذاق والفعلة[5]، بالاضافة الى وفرة العمّال الاهتمام بجلب الخبراء والمتمرسين في الصناعات، لما لهم من دور مؤثر وفعّال في إتقان الصنعة، فقد ذكر المستشرق ليفي بروفنسال أن الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م) أرسل سفاره إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس وذلك من أجل إحضار صانع مختص في الفسيفساء إلى الأندلس، يشرف على زخرفة الأجزاء الجديدة من المسجد الجامع بقرطبة في ذلك الحين[6].

وكان لوفرة المواد الأولية والخامات اللازمة للصناعة أهمية كبيرة في الارتقاء بالصناعة في الأندلس، وبرع الأندلسيون باستنباط طرق عدة في تعدين واستخراج هذه المواد من باطن

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٤٦٧). ابن حيان، **المقتبس** ، تحقيق مكي، ص(٢٣٤).

[2] ابن الآبّار، **الحلة السيراء**، جـ(١)، ص(٣٩).

[3] ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي، ت(٧٤٩هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، نشره فـؤاد زكي، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٩م، السفر الرابع والعشرون، ص(٣١٩). وسيشار إليه ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار.

[4] ابن حيان، **المصدر السابق**، ص(٥٢٧).

[5] ابن حيان، **المصدر السابق** ، تحقيق حاجي، ص(٢٤٣-٢٤٤).

[6] ليفي-بروفنسال، **الإسلام في المغرب والأندلس**، تعريب محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص(٩٢) وسيشار إليه بروفنسال، الإسلام في المغرب.

الأرض[1]، ومن أهم المعادن الموجودة في الأندلس الذهب، الذي يوجد بكثرة في كورة تدمير[2] (Todmir) وكورة ألبيرة[3] (Elvira) ومدينة لاردة[4] (Le`rida) ويوجد الفضة في إقليم كرتش من أعمال قرطبة[5] ،كما أنها وجدت بكثرة في كل من كورتدمير[6] وألبيره[7] وجيان[8] (jaen)، وهناك النحاس الذي يصفه البكري أنه (أكثر من أن يحصى)[9] ،كما وجد الحديد بكميات كبيرة في مختلف المناطق الأندلسية[10]، خاصة في مدينة شنطيش[11] (saltes) والرصاص المتوفر في البيرة و دلاية (Dalaea)[12].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، **الفنون والصناعات بالأندلس**، بحث منشور في مجلة دائرة معارف الشعب، مطابع الشعب، ١٩٥٩م، ص(١٧٨)، القاهرة. وسيشار إليه سالم، الفنون.

[2] ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، ت(٣٤٠ هـ)، **مختصر كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ، ص(٨٧)، ليدن. وسيشار إليه ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان.

[3] ابن غالب الغرناطي : محمد بن أيوب، ت(٥٧١هـ)، نص أندلسي جديد، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**، تحقيق لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، ١٩٥٦م، ص(١٤)، مصر. وسيشار إليه ابن غالب الغرناطي، نص أندلسي جديد.

[4] البكري، **جغرافية الأندلس**، ص(٢).

[5] مؤلف مجهول، **وصف جديد لقرطبة الإسلامية- قطعة من كتاب في جغرافية الأندلس-** نشره حسن مؤنس في مجلة الدراسات الإسلامية ، مجلد (١٣)، ١٩٦٥م-١٩٦٦م، ص(١٦٤-١٦٥) ، مدريد. وسيشار إليه، مؤلف مجهول، وصف جديد.

[6] ابن الفقيه، **المصدر نفسه** ، ص(٨٧).

[7] ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ(١)، ص(١٠٤). الاصطخري، **المسالك والممالك**، ص(٣٦).

[8] ابن الفقيه، **المصدر نفسه**.

[9] البكري، **المصدر السابق**، ص(١٢٩-١٣٠).

[10] ابن غالب الغرناطي،المصدر نفسه.

[11] المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٧٢).

[12] عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، ص(٤٤٨-٤٤٩).

ومن المعادن الأخرى الموجودة في الأندلس حجر المرقشتيا[١]، والبجادي اللـــذان يمتـــازان بالإضاءة في الليل كالقناديل[٢]، وهناك الياقوت المستخدم في زينة النساء خاصة الأحمر منـــه[٣]، كما يتوفر في الأندلس الحجر اليهوذي (Jewish Stone) ذو الخـــواص العلاجيـــة، حيـــث يستخدم في تفتيت الحصى في المثانة أو الكلية[٤].

ومن الخامات الرئيسية في الأندلس الأخشاب التي تتوفر بكثرة في الجهات الشرقية من البلاد كجبال طرطوشه[٥] (Tartosa) حيث تنتشر الأشجار الحرجية، ومن أهم أنواع الأخشـاب في البلاد البلوط ، الذي تنتجه الأشجار الحرجية والتي تغطي مساحات شاسعة من شمال قرطبـــة، حتى أنها عرفت بفحص البلوط[٦]، وهناك أشجار الصنوبر وموطنها في شرقي البـــلاد، ولقـــد استخدمت أخشابها في بناء صواري السفن[٧].

جـــ. في مجال التجارة :

لعبت العديد من العوامل الإيجابية دوراً هاماً في تنشيط التجارة بالأندلس، من هذه العوامـل ما جرت عليه عادة حكام البيت الأموي من إعفاء التجار من الضرائب المفروضة على تجـارتهم، وكان ذلك مع بداية عهد كل أمير منهم وذلك تودداً إليهم وكسباً لتأييدهم، فلقد رُوي عـــن الأمير هشام الرضى (١٧٢هـــ-١٨٠هـــ/٧٨٨م-٧٩٦م) أنه قطع العشور[٨] عـــن رعيتـــه،

---

[١] البكري، جغرافية الأندلس ، ص(١٢٨-١٢٩).

[٢] ابن غالب الغرناطي، نص أندلسي جديد، ص(٣٩-٤٠).

[٣] البكري، المصدر السابق، ص(١٣٠).

[٤] الحميري، الروض المعطار، ص(٣٣).

[٥] الحميري، المصدر السابق، ص (٤٥).

[٦] الشريف الإدريسي، صفة المغرب، ص(١٠٩).

[٧] المصدر نفسه.

[٨] العشور :هي ضريبة مالية أوجبها النهج الاقتصادي للدولة الإسلامية وذلك على التجار القادمين مـــن خـــارج البلاد، وكانت هذه الضريبة على ضروب عدة باختلاف الطوائف التجارية، فـ(المعاهد) يدفع نصـــف العشـــر والتاجر الحربي- الذي بين بلاده وبين المسلمين حرباً قائمة- فعليه دفع العُشر كاملة، وأمـــا التـــاجر المسـلم = فإنه يدفع ربع العشر،أنظر حمدان عبد الحميد الكبيسي، ضريبة العشور، بحث منشور في مجلة المؤرخ العـــربي، إتحاد المؤرخين العرب،العدد(٤٣)، السنة السادسة عشرة، ١٤١٠هـــ، ١٩٩٠، ص(١٤٨) ، بغداد.

وأخذ منهم الزكوات[1]، ومن بعده سار ابنه الحكم الربضي (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م) على سياسة والده في التخفيف من الأعباء المالية الملقاة على كاهل الرعية، وبيان ذلك ما ذكره ابن عذارى من انتقاد حول خروج أهل الربض بقرطبة ضد الحكم في أحداث سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م بقوله :" ... لم يكن على الناس وظائف ولا مغارم ولا سخر ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان"[2]، ومن مآثر الأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م) إسقاطه لضريبة الحشود[3] على أهل قرطبة[4]، كما أنه أسقط قسماً من العشور عن الناس بعد أن مُنيت رعيته بتوالي سنوات القحط عليهم، فكان أن امتدحه أحد الشعراء قائلاً[5] : (بحر الطويل)

تَلا في رعاياه بإسقاطِ ثلث ما   عليهم بما استوفى قبلهُ العُشُر

ومن العوامل الإيجابية المؤثرة في ازدهار التجارة استتباب الأمن في المدن داخلياً وخارجياً، وذلك في أوقات الاستقرار السياسي، فلقد أوجد الأمراء الأمويون عدداً من المناصب الإدارية التي تهتم بأمر الأسواق وحفظ الأمن فيها، فهناك صاحب الشرطة[6]، وهو المسؤول المباشر عن ملاحقة اللصوص وقطاع الطرق، وهناك الدرابون[7]، وهم الذين يتولون خطة الطواف بالليل، وليس ذاك فحسب بل إنهم أولوها إلى من يركنون إلى حزمه وصلابته وشدة عزمه، كما هو

وسيشار إليه الكبيسي، ضريبة العشور.

[1] ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٦٥).

[2] ابن عذارى، **البيان المغرب**، جـ(٢)، ص(٧٥-٧٦).

[3] الحشود : ضريبة تفرض على العامة لتمويل الحملات العسكرية إلى مناطق الثغور، وكانت هذه الضريبة تُسقط بانتهاء الحاجة منها. أنظر ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص(٢٧٣).

[4] ابن سعيد المغربي، **المغرب**، جـ(١)، ص(٥١).

[5] المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٢١٨).

[6] عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٦٨٥).

[7] وسبب تسميتهم بالدرابون أنهم كانوا يطوفون في دروب المدينة ليلاً بعد إغلاق بواباتها. أنظر المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٢١٩).

الحال مع إبراهيم بن حسين بن عاصم[1] الذي ولاه الأمير محمد خطة الشرطة فأحسن القيام بواجباتها[2] وكذلك وُجد صاحب المدينة[3]، وهو الذي يتولى الإشراف على الأسواق ومراقبتها.

وقد اهتم المسلمون بالطرق الخارجية مع الدول والممالك المجاورة وأنشأوا الخانات على طول هذه الطرق، الأمر الذي سهل على القوافل التجارية كثيراً من مصاعب الطريق وعقباته[4].

وتعد سياسة الباب المفتوح التي اتبعها حكام البيت الأموي مع المشرق الإسلامي ذات أثر هام وفعّال في تطور التجارة بين الطرفين فقد استقبل الأندلسيون السلع المشرقية، خاصة زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) بكميات كبيرة، كما كان لعلاقات حسن الجوار بين المسلمين من جهة والفرنجة من جهة ثانية دوراً كبيراً في دفع حركة التجارة بينهما إلى الأمام، هذا إذا استثنينا فترات التوتر والاضطراب والحروب التي كانت تنشب بينهما من حين لآخر، وفي أوقات محدودة[5].

هذه العوامل الإيجابية مجتمعة كان لها أكبر الأثر في ازدهار وتقدم الحياة الاقتصادية في الأندلس بصورة عامة، وقد أدى انصهار كلّ من اليهود والنصارى في بوتقة المجتمع الأندلسي إلى مشاركتهم الفعلية في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، فكانت لهم إسهاماتهم الخاصة والمتميزة في مختلف الميادين والقطاعات الاقتصادية وفيما يلي، عرض لنشاط أهل الذمة الاقتصادي في الأندلس.

١. النشاط الزراعي :

---

(١) هو إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة بن حناب ابن مسلم الثقفي، من أهل قرطبة، يكنى أبا اسحق، سمع من أبيه وغيره، وله رحلة تلقى فيها علوم مختلفة. توفي يوم الثلاثاء في رجب سنة ٢٥٦هـ. أنظر ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ(١)، ص(٣٤)، الحميدي، **جذوة المقتبس**، جـ(١)، ص(٢٣٨).

(٢) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، جـ(٣)، ص(١٤٦).

(٣) Simonet, **Historia de Los Mozarabes**, Tome (1),P(108).

(٤) S.M. Imamuddin, **Apolitical History**, P(75).

(٥) Jackson, **The Making Of Medieval Spain**, P(14)

شكل أهل الذمة نسبة لا بأس بها من سكان القرى والكور في الأندلس فقد ذكر ابن حوقل أن " بالأندلس غير ضيعة فيها ألوف من الناس لم تمدّن، وهم على دين نصرانية الروم"[١]، وكان هؤلاء النصارى هم غالبية الزراع هناك[٢]، خاصة خلال الحقبة الأولى من حكم المسلمين للبلاد، وذلك لاشتغال المسلمين من عرب وبربر في استكمال أعمال الفتح للأندلس،فكان الاعتماد في زراعة واستصلاح الأراضي قائماً على أهل الذمة عامة والنصارى منهم بشكل خاص، ومما يؤكد لنا هذا الدور لنصارى الأندلس الإشارات التي وردت في تراجم لشخصيات نصرانية عملت في الفلاحة والزراعة، من ذلك ما ذكره ابن أبي أصيبعة في ترجمة جواد الطبيب النصراني قوله :" كان لا يركب الدواب إلا من نتاجه، ولا يأكل إلا من زرعه"[٣].

كما كان من نتاج السياسة الرشيدة التي انتهجها المسلمون في الأندلس نحو السكان الأصليين للبلاد، والتي قامت على التسامح والمساواة والمعاملة الطيبة أثر كبير في تشجيع الذميين على العمل بملكياتهم الزراعية وأراضيهم الخاصة بهم، مقابل دفع ما يترتب عليها من ضريبة الخراج، ويذكر لنا ابن القوطية خبراً عن ضياع أرطباس بن غيطشة التي بلغت قرابة الألف ضيعة متفرقة في مختلف أرجاء الأندلس، كما سمح للعديد من أهل الذمة بالتملك لأراضي الجديدة هناك، حيث ذكر ابن حوقل :" إن التملك فاش في الخاصة والعامة في الأندلس"[٤] ومن بينهم أهل الذمة.

ولقد ترك للذميين حق التصرف بأراضيهم في البيع والشراء، حيث أورد لنا القاضي عيسى بن سهل عدة قضايا عن مبايعات للأراضي التي تمت ما بين أهل ذمة ومسلمين، وفصل فيها

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص(١١١).

(٢) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص(٩٢) ، Burry, Camb.Med. his, Vol(3), P(432)

(٣) ابن أبي أصيبعة : موفق الدين ابن العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، ت(٦٦٨هـ)،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مكتبة الحياة، ص(٤٥)، بيروت. وسيشار إليه ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص(١٠٤).

القضاء الأندلسي[1]، كما كان للذميين الحق في تحبيس أملاكهم ووقفها للإنفاق على أي جهة شاءوا[2] وقد سبق لنا الحديث عن حول هذا الموضوع.

وبرع أهل الذمة في زراعة المحاصيل الزراعية، من حبوب وأشجار مثمرة، شأنهم في ذلك شأن باقي المزارعين في الأندلس، ومن أهم المحاصيل الزراعية التي اهتموا بها الحبوب والتي كانت تزرع في معظم مناطق البلاد، وفي مقدمة الحبوب،القمح الذي زرع في قرطبة[3]، وغرناطة[4] وطليطلة[5]، كما زرع القمح في كورة جيان[6] وسرقطة، ويعد القمح من الأغذية الأساسية لسكان الأندلس، وعند غلاء ثمنه كان من المتعذر على الفقراء الحصول عليه، حتى قيل في الأمثال الأندلسية :" إذا غلا القمح ما لو حصال"[7].

وأما الفول والحمص والذرة فقد زرعت في كل من سرقطة[8] وغرناطة وتعد الفواكه من المحاصيل الزراعية الهامة في الأندلس، كما زرعت الكرمة في النواحي الشمالية من البلاد، ويشير ابن غالب الغرناطي " إن جبل العروس في الشمال كان مغروساً بالكروم وسائر الأشجار"[9].

---

[1] تتلخص إحدى هذه القضايا في مبايعة بين عجم قرية إبطليش وأسماء بنت حبون، وهناك قضية أخرى حول شراء مسلم لجنة –بستان– من يهوديين.
أنظر ابن سهل، في أحكام قضاء أهل الذمة، ص(٦٥-٨٥).

[2] أنظر أحباس أهل الذمة في الأندلس، الفصل الثاني من الرسالة، ص(١٨).

[3] المقري، نفح الطيب، جـ(٣)، ص(٣١٧).

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ(١)، ص(١٠٣).

[5] البكري، جغرافية الأندلس، ص(٨٨).

[6] الإدريسي، صفة المغرب، ص(٢٠٢).

[7] الزجالي، أمثال العوام، جـ(٢)، ص(٩)، رقم المثال(٢٤).

[8] المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(١٩٧).

[9] ابن غالب الغرناطي، نص أندلسي جديد، ص(٢٦).

وزرعت كرمة العنب في مرسية[1] ولبلة[2] وأشبيلية[3]، وتجود زراعة العنب في لورقة (Lorca) إذ كان العنقود يزن فيها الخمسون رطلاً[4]، كما ويعد التين من المحاصيل الهامة في الأندلس، وزرع في معظم أرجاء البلاد خاصة في مالقة التي اشتهر تينها باسم التين الربي، وكان موصوفاً بالجودة[5]، ووجد في طليطلة صنف من التين نصفه أخضر والآخر أبيض في نهاية الحلاوة[6]، كما زرعت أشجار الزيتون في المدن الأندلسية، ومنها أشبيلية[7] ولبلة[8] وقبرة[9] ودانية[10]، ويعد قصب السكر من المحاصيل التي نجحت زراعته في الأندلس، وتركزت في المناطق الساحلية مثل البيرة[11]، وجبل موسى[12]، كما زرع قصب السكر في أشبيلية إذ تعتبر "من السواحل التي يحسن فيها نبات قصب السكر" [13].

ومن أصناف الفواكه الأخرى التفاح الذي وصف بالجودة واللذة ومنها تفاح جليانة[14]، وهناك أيضاً الرمان السفري[15] الذي انتشرت زراعته في مختلف أنحاء الأندلس، وخاصة في مالقة

---

[1] الإدريسي، صفة المغرب، ص(١٩٤-١٩٥).

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب، جـ(١)، ص(٣٣٩).

[3] أبو دياك، الزراعة في الأندلس، ص(٢٠٣).

[4] ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ(٤)، ص(٣٦٩-٣٧٠).

[5] ابن دياك، المصدر السابق، ص(٢٠٢).

[6] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، جـ(٢)، ص(٢٨).

[7] المقري، المصدر السابق ، جـ(١)، ص(١٥٨).

[8] ابن الشبّاط، المصدر السابق، ص(١١٧).

[9] ابن غالب الغرناطي، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ص(١٣).

[10] المصدر السابق، ص(١٦).

[11] أبو دياك، المصدر السابق، ص(٢٠١).

[12] الإدريسي،المصدر السابق، ص(١٦٧).

[13] العذرى، نصوص عن الأندلس، ص(٩٦).

[14] المقري، نفح الطيب ، جـ(١)، ص(١٥٢).

[15] نسبة إلى سفر بن عبيد الكلاعي، أول من زرع الرمان في الأندلس بعد أن جلبه القاضي معوية بن صالح معه من رصافة هشام بن عبد الملك بأمر من الأمير عبد الرحمن الداخل. أنظر المقري، المصدر السابق، جـ(١)، ص(٤٦٧-٤٦٨).

وغرناطة[1] وحضن بيشتر[2]، ويوجد في الأندلس محاصيل ذات أهمية اقتصادية في تصنيع الملابس المختلفة ومن أهمها القطن، وموطنه الرئيسي مدينة أشبيلية، وكذلك هناك الكتان الذي تجود بزراعته كورة ألبيرة[3]، إذ ذكر لنا أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن جواد الطبيب النصراني أنه " كان لا يلبس إلا من كتان ضيعته"[4]، وزرع الزعفران في طليطلة[7]، وتجود زراعة العصفر في المناطق المعتدلة ذات الهواء الرطب مثل أشبيلية[5] ونيلة[6]، أما القرمز فأكثر ما يكون في أشبيلية[7]، كما واعتنى الأندلسيون بتربية دودة الحرير، وكذا زراعة التوت في مدينة بسطة[8] (Basa) ووادي آش[9].

٢.النشاط الصناعي

شارك الذميون بنصيب وافر في النشاط الصناعي لأهل الأندلس، وكانوا هم إلى جانب المولدين يشكلون نسبة جيدة من الصناع والحرفيين والحذقة، دلّ على ذلك ما ذكره ابن حيان عن انضمام العديد من الحرفيين والمهنيين الذميين إلى جانب ابن حفصون في ثورته ضد بني أمية[10]، وذكرت لنا بعض المصادر عدداً من التراجم الذميين ممن كان

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة**، جـ(١)، ص(١٤٣).

[2] ابن غالب الغرناطي، **نص أندلسي جديد** ، ص(٢٦).

[3] البكري، **جغرافية الأندلس**، ص(٨٤-٨٥). الحميري، **الروض المعطار**، ص(٤٥-٤٦).

[4] ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص(٤٨٥).

[7] البكري، **المصدر السابق**، ص(٨٨).

[5] العذرى، **نصوص عن الأندلس**، ص(٩٦).

[6] ابن الشبّاط، **قطعة في وصف الأندلس**، ص(١١٧).

[7] العذري، **المصدر نفسه**.

[8] أبو دياك، **الزراعة في الأندلس**، ص(٢٠١).

[9] الحميري، **المصدر السابق**، ص(٦٠٤).

[10] ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق ملتشور أنطونيه، ص(٧٤).

صانعاً بيده كإسحاق الطبيب النصراني[1] وابن ملوكه[2] وخالد بن يزيد بن رومان النصراني[3]، وكان العديد من الذميين يمتلكون دكاكين وحانات يعملون بها، فقد كان لابن حزم صديقاً يهودياً في مدينة ألمرية (Almera) وأنه كان يأوي إلى دكانه كلما همّ بزيارة المدينة[4].

ومن الحرف التي امتهنها النصارى في الأندلس، حرفة الخياطة والتطريز حتى أنه قد ازدحم بهم حي الطرازين بقرطبة[5]، كما أتقن العديد منهم صناعة الخمور حيث لقيت هذه الصناعة رواجاً كبيراً في الأندلس[6]، وهناك أيضا صناعة الأجبان التي اشتهرت بها كلا من أشبيلية وشريش، ويعود الفضل في إدخال هذه الصناعة إلى الأندلس إلى بقايا النورمانديين الذين غزوا سواحل الأندلس الغربية سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م ثم سكنوا واستقروا بتلك المناطق[7].

أما اليهود فقد برعوا كثيراً في أعمال صياغة الذهب والحلي، ونظم الأحجار الكريمة، حتى أنهم احتكروا سوق الصاغة في المدن الأندلسية[8].

و من الجدير ذكره هنا أنه كان للصناع من أهل الذمة العاملين في حرفة واحدة تنظيماً حرفياً خاصاً بهم أشبه ما يكون بالتجمعات المهنية والنقابات العماليّة في وقتنا الحاضر، وكانت هذه التنظيمات تعنى بشؤون أفراد الحرفة الواحدة من تدريبهم والإشراف عليهم والمطالبة بمصالحهم وحقوقهم المكتسبة، وكان يرأس كل تنظيم حرفي رئيساً من أهله يسمى

---

(1) ابن حلجل: أبو داود سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥، ص(٩٧). وسيشار إليه ابن حلجل، طبقات الأطباء.

(2) المصدر نفسه.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص(٤٨٥-٤٨٦).

(4) ابن حزم، طوق الحمامة، ص(٦٧).

(5) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص(٩٣).

(6) ابن سعيد المغربي، المغرب، جـ(١)، ص(٤٦).

(7) المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(١٨٤). سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص(٢٣٧). حاجي، التاريخ الأندلسي، ص(٢٣٢).

(8) إبراهيم ،حركات الاقتصاد في العصر المريني، بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس، ١٩٧٨م، العدد(١٣)، ص(١٣٩-١٤٠)، الرباط. وسيشار إليه إبراهيم ، حركات الاقتصاد.

الأمين(elelamin)[1]، كما ظهر بينهم أساتذة وأرباب مهنة عرف الواحد منهم باسم العريف (e lalarif)[2].

٣.النشاط التجاري

شغل أهل الذمة حيزاً كبيراً في النشاط التجاري داخل وخارج الأندلس، وكان للعديد منهم دوراً مهماً في عمليات التبادل التجارية من بيع وشراء وسمرة شأنهم في ذلك شأن فئات المجتمع الأخرى[3]، وبدا هذا الدور جلياً من خلال :

أ. الصعيد الداخلي

حوت أسواق المدن الأندلسية الكبرى ومراكز المدن الرئيسة العديد من المتاجر والخانات لتجار أهل الذمة، حيث تورد المصادر الأجنبية عدداً من أسماء هؤلاء التجار ممن عاشوا في الأندلس خلال حكم بني أمية لها، نذكر من بينهم التاجر أبو يعقوب يوسف اليهودي، الذي امتلك عدداً من دكاكين المنسوجات الحريرية والكتانية في مدينة طليطلة[4].

كما احتكر اليهود دكاكين الصاغة وتجارة الحلي والصيارفة[5]، و نشطوا في تجارة الرقيق والجواري حتى ضاقت بهم أسواق النخاسة[6] المنتشرة في طليطلة[7] وماردة[8] وقرطبة وأشبيلية وغيرها. ومن الأعمال التجارية التي شغلها أهل الذمة في أسواق الأندلس مهنة السمسرة، وفقد ذكر عيسى بن سهل قضية لسمسار يهودي رد بها على منزع أنه ابتاع ثوباً من تاجر آخر،

---

[1] مونس، فجر الأندلس، ص(٤٦٤).

[2] المصدر نفسه.

[3] أرشيبالد لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، تعريب أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، ص(١٢١)، القاهرة. وسيشار إليه أرشيبالد لويس، القوى البحرية.

[4] Ashtor, The Jews Of Muslim Spain, P(59).

[5] Burry, Camb. Med. His, Vol(3), P(429).

[6] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص(١٥٣-١٥٤). الإصطخري، المسالك والممالك، ص(٣٧).

[7] ورد في نازلة عرضت على الفقيه ابن لبابة أن تاجراً يهودياً اشترى غلاماً من تاجر يهودي آخر في طليطلة، غير أن هذا الغلام لم يعترف بذلك وزعم أنه حر، أنظر ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص(٥١).

[8] النباهي، المرقبة العليا، ص(٥٦-٥٧).

حيث قال :" بل أمرتني ببيعه"[1] فهو لم يشتر الثوب لحساب نفسه، إنما كلّف ببيعه لصاحبه باعتباره وسيطاً تجاريا، وذلك كله مقابل أجر.

ب. على الصعيد الخارجي

لعب النصارى واليهود دوراً هاماً في التجارة الخارجية الخاصة بين الأندلس والممالك الأخرى، ولقد اعتبرهم الكثير من المؤرخين وسطاء بين تجار الأندلس من المسلمين وتجار هذه الممالك[2]، وذلك لحالة العداء والحرب التي قامت بين كلا الطرفين، الأمر الذي أدى إلى بروز هذا الدور وتدعيمه، وكثيراً ما تعرضت قوافل تجار المسلمين المارة بين هذه الأقطار إلى مخاطر السلب والنهب والمصادرة، يقول المستشرق رينهارت دوزي :" أنه في عام ٨٥٨م (٢٤٤هـ) وبسبب حالة اللاسلم[3] كان من الصعب على المسافرين والقوافل التجارية التنقل بين مدينتي سرقطة (Saragosa) وقرطبة بدون حماية، وذلك لمدة ثمانية أعوام"[4].

من ناحية أخرى كان النصارى في قطالونية(Catalonia) وقشتالة (Castile) يعتمدون في تأمين احتياجاتهم من البضائع والسلع على منتجات وصناعات الأندلس، حيث كانت تمر إليهم عن طريق التجار النصارى واليهود من وقت لآخر[5].

وشارك اليهود في القيام بعبء التجارة البحرية في البحر المتوسط، وذلك إلى جانب الجاليات السورية والأفارقة[6]، ويذكر ابن فقيه الهمداني أن المسلمين كانوا يطلقون على هؤلاء

---

[1] ابن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص(٢٨،٧٣-٧٥).

[2] S.M.Imamuddin, Apolitical History, P(36).

[3] تعبير يدل على عدم استقرار الأوضاع بين هذه المدن، واندلاع الحروب بينهما من وقت لآخر.

[4] Simonet, Historia de Los Mozarabes, Tome(2), P(472).

[5] S.M.Imamuddin, OP,Cit,P(365).

[6] أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص(١٢١).

اليهود اسماً مجرداً هو (تجار البحر)[1]، كما انتشر اليهود في حوض الرون[2] وبلاد وسط غاله (فرنسا) وفي شمالها مثل باريس وأورليان حاملين معهم ما خف وزنه وغلا ثمنه من سلع وتحف مشرقيّة وتوابل وبهارات، ولقد أشار ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك إلى دور التجار اليهود في حمل بضائع المشرق إلى المغرب والعكس[3]، وكان المسلمون واليهود يذهبون إلى مدينة براغ وبلاد الروس لشراء الرقيق والعبيد والقصدير والفراء ثم يعودون عن طريق نهر الرون وقطالونه إلى بجابة، وهناك كان يخصى الرقيق ويباعون بسعر مرتفع في أسواق النخاسة الأندلسية[4].

كانت قوافل التجار اليهود تعبر فرنسا باتجاه ألمانيا محملة بالسلع والبضائع الأندلسية المختلفة، ولقد حظي يهود الأندلس بنصيب وافر من تجارة البضائع مع الجمهوريات الإيطالية عامة، وأسواق البندقية (Vincent) وجنوا (Ganeo) خاصة [5].

أسس تجار الذمة عدداً من المراكز التجارية الهامة لترويج سلعهم وبضائعهم المختلفة، فلقد كثرت أعداد اليهود في المدن الداخلية وكان أكبر مركز رئيسي لهم في مرسيليا[6] (Marse`lle)، التي احتفظت بمكانتها كميناء هام لمقايضة السلع الشرقيّة، الواردة إليها كزيت

---

(1) ابن الفقيه الهمداني، كتاب البلدان، ص(٢٧٠).

(2) عرف المسلمون التجار اليهود باسم الراداليون (Radanetes) نسبة إلى حوض الرون الذي تمركزوا فيه. أنظر سوادي عبد الحميد، صلات تجارية بين البصرة والمغرب الإسلامي في القرن الثاني الهجري حتى أواخر القرن الرابع، بحث منشور في مجلة المورخ العربي، إتحاد المورخين العرب، العدد(٤٣)، السنة السادسة عشرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م. بغداد، وسيشار إليه سوادي عبد الحميد، صلات تجارية.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص(١٥٣).

(4) فيرنيت، هل هناك أصل عربي إسلامي لفن الخرائط، ص(٧٥).
Jhon Fraser Ramsey, Spain : The rise of the first world power international studies and programs, 1973, p(39).

(5) S.M. Imamuddin, Apolitical History, p(362).

(6) Ibid

الزيتون والتوابل وورق البردى...الخ[1]، ويضيف الاصطخري أن جزيرة قبرص (Ciprus) في البحر المتوسط كانت مركزاً تجارياً هاماً للتبادل التجاري بين تجار المسلمين وتجار النصارى في القرن العاشر الميلادي[2].

المعاملات المالية والتزاماتها عند أهل الذمة

أدى تطور النشاط الاقتصادي إلى إيجاد وسائل مختلفة للمعاملات المالية، وذلك حتى تسهل عمليات التبادل التجاري من بيع وشراء... وغيرها، ولقد ذكر المستشرق هنري بيزنيه أن هناك ثلاثة طرق للتبادل هي استبدال البضائع ببضائع أخرى (المقايضة)، واستبدال البضائع بالنقد والعملة، واستعمال الصكوك[3] والسفاتج[4]"[5].

ويعد أسلوب المقايضة هو الأقدم بين هذه الأساليب الثلاثة، حيث شاعت المقايضة بين التجار على نطاق واسع قبل اكتشاف النقد والعملة، غير أن هذا الأسلوب واجه صعوبات عدة منها التفاوت في القيمة الشرائية بين البضائع المستبدلة، وتنوعها، واختلافها، وكذلك عدم الرغبة لدى التجار في المقايضة على سلعة ما لا يحتاجونها. هذه العقبات كانت الدافع الرئيسي وراء

---

(1) أرشيبالد لويس، **القوى البحرية**، ص(١٣٠).

(2) الاصطخري، **المسالك والممالك**، ص(٧١).

(3) الصكوك جمع صك، وهو الكتاب الذي كان الأمراء يكتبونه للناس بأرزاقهم وأعطيا تهم، فيبيعون ما فيه قبل قبضه، وذلك عجلة منهم، فيعطون المشتري صكاً ليمضي ويقبضه، فنهوا عن ذلك، وقيل الصك ما يكتب فيه مال موجل أو نحوه. أنظر أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دار الجليل، بيروت، ١٩٨١م، ص(٢٥٦) وسيشار إليه الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، محمد بشير علية، **القاموس الاقتصادي**، ط(١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥م، ص(٢٥٨-٢٥٩). ، بيروت، وسيشار إليه علية، القاموس الاقتصادي.

(4) جمع سفتجة، وهي تعريب سفته بمعنى المحكم، ويقصد بها إقراض لسقوط خطر الطريق، والسفتجة كتاب يكتبه المستقرض للمقرض بأن يُرفع إليه مالاً كفرض يدفعه هو بكتاب إلى وكيله في البلد المزمع عليهما، فيدفعه الوكيل إلى المقرض، وهي بمعنى البوليصة (للتأمين) وقيل هي الحوالة. أنظر الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، ص(٢٢١-٢٢٢). محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط(١)، دار الشرق، ١٩٩٣، ص(٢٨٦)، ، بيروت. وسيشار إليه عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية.

(5) Henri pirenne, **Histoire Economica Sacial de la Edad Media**, P(113). Quoted by S.M. Imamuddin, Economic History, P(424)

سك العملات كأسلوب جديد للتعامل المالي بين الناس، حيث أصبح لكل أمة عملتها الخاصة بها.

ومع ظهور الحضارات والأمم المتمدنة خلال العصور الوسطى، وفي ظل تطور ورقي المجتمعات البشرية سواءاً كانت في الشرق أو الغرب، أصبحت الحاجة ملحة إلى سد رغبات هذه المجتمعات من السلع والبضائع غير المحلية، وكان لابد من وجود نظام للتبادل التجاري بين هذه المجتمعات، ولكن كيف يمكن لهذا التبادل أن يتم بين هذه الأقطار بعملات ذات قيم وأوزان مختلفة.

هذا السؤال أوجد معضلة في الأسواق العالمية، ولحلها كان لابد من إيجاد نظام اقتصادي تجاري ودولي لما يسمى اليوم بـ(سعر تبادل العملة) بين أقطار العالم، فعلى سبيل المثال تعاملت الدولة الإسلامية في بواكيرها بنوعين من النقد، الدينار الذهبي البيزنطي، الذي استعمل في مصر وبلاد الشام إضافة إلى الشمال الإفريقي والمغرب، والدرهم الفضي الساساني، واستعمل في أرض العراق وفارس وما وراء النهر[1]، وكان يتم التبادل بين هاتين العملتين بوساطة صيارفة من النصارى كانوا قد هاجروا من المدائن إلى الكوفة واستقروا بها مع استقرار حركة الفتوحات الإسلامية حيث مارسوا حرفتهم المصرفية في الدولة الإسلامية عامة والأندلس بصورة خاصة[2].

ساهم اليهود بنصيب كبير في تطور مهنة الصيرفة واستبدال العملة، ليس في الأندلس فحسب بل في جميع أرجاء أوروبا وآسيا والمشرق الإسلامي، وكان لليهود مراكز تجارية في مختلف أنحاء العالم، فلقد ذكر المؤرخ أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في أحداث سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، وخلال حكم الخليفة المقتدر بالله العباسي (٢٩٥هـ-

---

(١) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي، ت(٨٤٥هـ)، **شذور العقود في ذكر النقود**، ط(٥)، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٧م، ص(٦). وسيشار إليه المقريزي، شذور العقود.

(٢) السير لويس ماسنيون، **خطط الكوفة وشرح خريطتها**، ط(١)، تعريب الدين المصعي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العربي الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٧٩م، ص(٩٧). وسيشار إليه ماسينون، خطط الكوفة.

٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣١م) أنه حُظر استخدام اليهود والنصارى إلا من الطب والجهبذة[1] فقط[2]، ويضيف المقدسي أن عدداً من الصيارفة في مصر كانوا من اليهود[3]، وجنى اليهود من هذه المهنة أرباحاً طائلة، وذلك بسبب تعاملهم بالفائدة والعمولة في عمليات استبدال النقد " فعند صرف الدراهم والدنانير كانت العمولة درهماً واحداً لكل دينار"[4]، وكذلك استفاد الصيارفة اليهود من الفرق في سعر صرف العملات المستبدلة.

وأوجد حكام المسلمين وظائف إدارية بهدف تنظيم المعاملات المالية وحفظ المال وتخزينه، فمن هذه الوظائف خطة الجهبذة التي كانت تعنى بحفظ المال وإدخاره لحين طلبه[5]، ومن ثم أضيف إليها مهمة جمع أموال الضرائب من العامة، وكان من مهام الجهبذ كذلك تسليف المال[6]، وممن تولى هذه الخطة زمن الدولة العباسية اليهوديين يوسف بن فنخاس وهارون بن عمران سنة ٢٩٦هـ/٩٨٠م[7]، وأسندت إليهما مهمة حفظ الأموال المصادرة انتقلت خطة الجهبذة في الأندلس خلال حكم الأمويين لها، وأصبح لها رسماً سلطانياً يُعنى بها ويهتم بشؤونها،

---

[1] الجهبذة : هي عملية نقد الذهب والفضة، والجهبذ – بكسر الجيم وسكون الهاء- كانت برسم الاستخراج والقبض، ويقوم بكتابة الوصلات وعمل الختمات، ويطالب بما يقتضيه تخريج ما يرفعه من الحساب اللازم له. أنظر القلقشندي أحمد بن علي، ت (٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ط(١)، شرحه يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، جـ(٦)، ص(٤٥). وسيشار إليه القلقشندي، صبح الأعشى.

[2] ابن تغرى، **النجوم الزاهرة**، جـ(٣)، ص(١٨٣-١٨٤).

[3] المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص(١٨٣).

[4] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، جـ(١)، ص(٢١١).

[5] الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس، ت(٣٣١هـ)، **الوزراء والكتاب**، ط(١)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري، القاهرة، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ١٩٣٨م، ص(٢٨). وسيشار إليه الجهشياري، الوزراء والكتاب.

[6] الدوري، **تاريخ العراق الاقتصادي**، ص(١٦٤).

[7] التنوخي، **نشوار المحاضرة**، جـ(٨)، ص(٢٣-٢٤).

وأصبحت من الوظائف الهامة في البلاط الأموي بقرطبة[1].

تعامل اليهود في الأندلس بنظام الإقراض والتسليف في مقابل فوائد مالية باهظة، فلقد ذكر ابن حيان أنه " لما وقع زعيم المولدين سعدون بن السرنباقي[2] في أسر النورمان[3] خلال غزوهم لسواحل الأندلس الغربيّة سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، افتداه منهم رجل يهودي على أن يقارضه سعدون ويدفع له ضعف الأموال التي دفعها في افتكاكه من الأسر، لكن سعدون هرب وأخسر الرجل ماله"[4].

وتعد الصكوك المالية وسيلة من وسائل المعاملات المالية في المجتمع الإسلامي، وهو عبارة عن أمر خطي بدفع مقدار من المال إلى الشخص المسمى فيه، فهو عبارة عن وسيلة ائتمان مالية بمبلغ معروف ومقدر ويذهب إلى جهة محددة ومسماة.

---

(1) S.M.Immuddin, Apolitical History, P(437)

(2) سعدون بن السرنباقي تزعم المولدين في ثورتهم ضد الأمير محمد، وكان المولدون يغالون فيه فيقولون (إنما هو السرور الباقي). أنظر ابن القوطية، **تاريخ الأندلس**،ص(١٢٤).

(3) النورمان (**Norman**) ويطلق كذلك الفايكنغ (**viking**)، وهم خليط من ثلاثة شعوب جرمانية هم الويديسون والنرويجيون والدنماركيون، وينتمون إلى العنصر التيتوني، كانوا وثنيون ويعملون في القرصنة وحب المغامرة. أنظر السيد الباز العريني، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م، ص(٣٥٠-٣٥١)، بيروت، وسيشار إليه السيد الباز العريني، تاريخ أوروبا. خليل إبراهيم الكبيسي، غزوات النورمانديين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي إتحاد المؤرخين العرب، العدد (٤٠)، السنة الرابعة عشرة، ١٩٨٩م، ص(١٤٥-١٥٧) بغداد، وسيشار إليه الكبيسي، غزوات النورمانديين، وفي عام ٢٢٥هـ ٨٤٠م، نشط النورمانديون في الغارة على شواطئ الأندلس الغربية، وتعرضت مدن لشبونة وأشبيلية لبعثهم، ولقد أطلق مورخو الأندلس (ابن الخطيب وابن دحية الكلبي) اسم المجوس الأردمانيون عليهم، وذلك نتيجة للحرائق التي كانوا يشعلونها في البلاد التي يستولون عليها، أو لما اعتاد النورمان عليه من عادة في إشعالها ليلاً استئناسا بها وللتدفئة، الأمر الذي جعل المسلمون يعتقدون أنهم مجوس وعبدة للنار. أنظر ابن دحية الكلبي : ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي البلنسي، ت(٦٣٣هـ)، **المطرب في أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م، (١٤٠) ، القاهرة. وسيشار إليه ابن دحية الكلبي، المطرب. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص(٤١).

(4) ابن حيان، المقتبس، **تحقيق ملتشور أنطونيه**، ص(٢٣).

استعملت الصكوك المالية منذ بواكير الدولة الإسلامية، فيشير اليعقوبي أن عمر بن الخطاب ﷺ " كان أول من صك وختم أسفل الصكوك"[1]، كما واستخدمت الصكوك لأغراض أخرى، فبالإضافة إلى أنها وثيقة مالية تحفظ حقوق أصحابها، استخدم الصك كسند دين ملزم التحصيل بشهادة الشهود عليه، من ذلك ما ذكره ابن حوقل قائلاً :" ولقد رأيت صكاً كتب بدين بأودغشت –مراكش– وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف ديناراً"[2].

و لم تكن أسواق النخاسة بمنأى عن استعمال الصكوك في عمليات بيع وشراء الجواري الرقيق، فلقد كان لكل غلام أو جارية عهدة وصكاً بحوزة صاحبه لإثبات ملكيته على هذا الرقيق، وأورد القاضي عيسى بن سهل الأسدي قضية وقعت بين غلام ويهودي، وزعم الغلام أنه حر غير مملوك، وأنه يكره على اعتناق اليهودية في حين كان اليهودي يصر على أن الغلام مملوك له، واستشهد في ذلك بعهدة الغلام، وكانت مكتوبة بالعبرانية، ولقد نظر في هذه النازلة القاضي ابن لبابة وعدد من فقهاء العصر"[3] الذين أثبتوا ملكية الغلام بثبوت الصك.

وكانت الحوالات المالية والسفاتج من الوسائل الشائعة الاستعمال في أسواق الأندلس[4]، فلقد كان من تبعات عمليات التبادل التجاري الحاجة إلى التنقل من مكان لآخر بكميات كبيرة من الأموال، الأمر الذي عرضهم إلى مخاطر قطاع الطرق ولصوص القوافل التجارية، فاقتضت الحاجة إلى إيجاد وسيلة ترفع هذه المخاطر[5]، أما هذه الوسلية فكانت الحوالة المالية (السفتجة)، التي كان يُذكر بها المبلغ واسم التاجر ويؤرخ له، وخلال مدة محدودة تصبح قيمة السفتجة

---

[1] اليعقوبي : أحمد ابن يعقوب بن جعفر بن واضح، ت(٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، ط(١)، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلى للطباعة والنشر، ١٩٩٣م، جـ(٢)، ص(٤٧) ، بيروت. وسيشار إليه اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي.

[2] ابن حوقل، صورة الأرض، ص(٩٩).

[3] ابن سهل، وثائق أحكام قضاء أهل الذمة، ص(٤٧).

[4] S.M. Imamuddin, Economic History, P(440).

[5] الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص(٨٩).

واجبة الدفع لصاحبها[1].

وإذا ما أراد التاجر أن يحصل على ماله قبل انقضاء المدة الزمنية، اعتبر ذلك خرقاً للاتفاق، ويترتب على هذا الخرق تبعات أهمها خصم قيمة من المبلغ المذكور غرامةً عليه، ولقد أخبرنا الصابي أن رجلاً دفع دانقاً ونصف الدانق لكل دينار غرامةً[2] أنه طالب قبل موعد الدفع المحدد بسفتجه له، ويمكن لصاحب السفتجه أخذ النقود دفعة واحدة أو بالأقساط، ولا يبدو أن السفاتج قابلة التحويل لغير صاحبها.

كان اليهود في الأندلس ممن نشطوا في استعمال السفاتج المالية مقابل فوائد محددة، فلقد كان لهم دوراً مهماً في إقراض التجار وتحويل أموالهم في بلد لآخر نظراً لتوزع مراكزهم التجارية في شتى أنحاء العالم، ورغم إغفال المصادر التاريخية الإسلامية بيان هذا الدور لليهود وتجاهلهم الحديث عنه[3]، إلا أننا نجد بعض الإشارات والدلائل التي تؤكد هذا الدور وتعززه.

الالتزامات المالية لأهل الذمة

ترتب على طائفة أهل الذمة كفئة مؤثرة في المجتمع الأندلسي التزامات مالية محددة هي الجزية والخراج والعشر وغيرها، وفيما يلي شرح لهذه الالتزامات :

أ. الجزية :

مر بنا سابقاً الحديث عن مشروعية الجزية، ونظرة الشرع الحنيف إليها كضريبة والتزام مالي على أهل الذمة مقابل السماح لهم بممارسة أنشطتهم الدينية والاجتماعية بكل حرية ويسر، بل إن دولة كفلت لهم كذلك المساواة بالحقوق المدنية العامة مع المسلمين.

---

[1] يذكر التنوخي :" واستلم بغدادي سفتجة بأجل أربعين يوماً على تاجر". أنظر التنوخي : أبو علي المحسن بن علي، ت(٣٨٤هـ)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، ١٩٧٨م، جـ(٤)، ص(٢٤٤) ، بيروت. وسيشار إليه التنوخي، الفرج بعد الشدة.

[2] الصابي: أبو الحسن هلال بن المحسن، ت(٤٤٨هـ)، **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٥٨، ص(٨١) ، القاهرة. وسيشار إليه الصحابي، تحفة الأمراء.

[3] ولعل السبب في هذا الإغفال يرجع إلى تحريم الإسلام للتعامل الربوي بكافة صوره، والتحذير من التعامل فيه.

وفي الأندلس، ضربت الجزية على أهل الذمة وفق ما ذهب إليه المذهب المالكي[1]، حيث أنها قدرت على ثلاث ضروب "المعيل ديناراً، وعلى المتوسط دينارين، وعلى الغني أربعة دنانير"[2]، وذلك مراعاة لأوضاعهم المالية والاجتماعية.

وتعد الجزية من واردات خزينة الدولة الإسلامية، وهي تنفق في جميع مجالات الحياة المختلفة. باعتبارها مالاً عاماً، وفي عام ١٢٥هـ/٧٤٢م أصبح ثُلث ما يجبى من بعض أهل الذمة على أموالهم وأراضيهم يذهب للجنود الشاميين من طالعة بلج بن بشر القشيري، وذلك طعمة لهم، وبيان هذا الأمر أن هؤلاء الجند كانوا محاصرين في سبتة من قبل بربر إفريقية[3]، وفي سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م سمح لهم والي الأندلس آنذاك وهو عبد الله بن قطن الفهري بالعبور إلى الأندلس لمدة سنة واحدة ثم الخروج منها، وذلك حتى يساعدوه في إخضاع البربر الثائرين فيها، وبعد انقضاء المدة المحددة آثر الشاميون البقاء في الأندلس طمعاً في خيراتها ورغبة في ثرواتها، وتخوفاً من عودتهم إلى المغرب فيستقبلهم البربر بالسيوف[4]، فلم يرض عرب الأندلس (البلديون) بقاء هؤلاء الجنود الشاميين في الأندلس خشية أن يؤدي بقاؤهم إلى زيادة نفوذهم هناك، ورجوح كفتهم مقابل البلديين إضافة إلى مشاركتهم إياهم في الأرضي المقطعة لهم، لهذا السبب طلب والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري من الشاميين الخروج من الأندلس[5].

بعد ذلك تطورت الأحداث بين الطرفين، فاستولى الشاميون على القصر الحاكم في قرطبة، وقتلوا الوالي عبد الملك بن قطن، ونصّبوا بدلاً عنه سيدهم بلج بن بشر والياً على البلاد،

---

[1] رأى الإمام مالك أن القدر الواجب في ذلك هو ما فرضه عمر ﷺ وذلك على أهل الذهب (مصر وبلاد الشام) أربعة دنانير وعلى أهل الورق (العراق وفارس)، أربعون درهماً. أنظر ابن رشد (الحفيد)، **بداية المجتهد**، ص(٤١٥).

[2] الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص(١٠٧).

[3] للمزيد من التفاصيل. أنظر مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة**، ص(٣٢-٣٥).ابن عذارى، **البيان المغرب**، حـ(٥)، ص(٣٠).

[4] ابن عذارى، **المصدر السابق**، حـ(٢)، ص(٣٣).

[5] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص(٣٩).

ونشبت بعد ذلك عدة معارك بينهم وبين البلديين انتهت بانتصار الشاميين[1]، وسيطرتهم على البلاد، ومن ثم أخذوا بالسيطرة على إقطاعات البلديين، يقول ابن حزم "دخل الشلميون في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيزي، فأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم"[2].

أثناء ذلك وصل والي الأندلس الجديد أبو الخطار بن ضرار الكلبي، الذي رغب في تهدئة الأمور وإصلاح الموقف في الأندلس، فوافق الطرفان، لكن البلديين اشترطوا خروج الشاميين قائلين :" سمعنا وأطعنا ولكن لا محل فينا لهؤلاء الشامين، فيخرجوا عنا". هنا نظر أبو الخطار في الأمر ورأى خطورة التجمعات القبلية في البلاد ما بين عرب شاميين وبلديين، وحدث أن أشار عليه أرطباس بن غيطشة[3] زعيم عجم الذمة في الأندلس بتفريق الجند الشاميين في مختلف أرجاء البلاد، فتضعف شوكتهم، وتقل هيبتهم، عندها استحسن الوالي هذا الرأي فأنزل الشاميين في بعض نواحي أرض المعاهدين، فأنزل جند دمشق ألبيرة، وجند حمص كورة أشبيلية، وجند الأردن أنزلهم كورة رية، وجند فلسطين كورة شذونة، وجند قنسرين أنزلهم كورة جيان، كما أنه أنزل بعضا من جند مصر كورة باجة،وبعضهم الآخر في تدمير، وجعل لهؤلاء الجنود ثلث ما يجبى من أهل الذمة المقيمين في هذه النواحي للإنفاق عليهم، ولقد بقي هذا النظام سائداً حتى عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي أدرج أسماء هؤلاء الجند -و أحفادهم- في ديوان الجند، وأثبت لهم عطاءاً محدداً[4].

ب. الخراج

---

[1] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٨١).

[2] مونس، فجر الأندلس، ص(١٣).

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ(١)، ص(١٠٩).

[4] سادسة حلاوى حمود، مدينة الزهراء وإمارة ابن أبي عامر المعافري في الأندلس، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة البصرة، ١٩٨٦م، ص(٦٩). وسيشار إليه سادسة حلاوى، مدينة الزهراء.

وهي الضريبة المقدرة على الأراضي ، عنوةً كانت أو أرض صلح[1] وتقدر هذه الضريبة بثلث ما يجبى من محصول، وأحياناً تقدر بالربع، حيث يتوقف الأمر على طيب ما تنتجه الأرض[2]، ويقوم أشياخ من أهل الذمة المعاهدين بجباية هذه الضريبة، وتقديمه لخزينة الدولة[3]، أما النواحي التي نزل بها الجند الشامي، فكان رئيس الجند في كل كورة يقوم بجباية خراجها، فيحتفظ لنفسه وجنوده بثلثها، في حين تذهب بقية الثلثين إلى خزينة الدولة[4].

جـ. العشر

وهي ضريبة يدفعها تجار أهل الذمة إذا ما خرجوا بتجارتهم من بلد لآخر، وتجبى مرة واحدة عند دخول التاجر بلاد الإسلام، أما مقدارها فهو نصف عشر قيمة البضاعة المتاجر بها، ويكتب العاشر[5] بذلك وثيقة كي لا تعشر البضاعة مرة أخرى.

د. التزامات مالية أخرى

ومن الضرائب التي فرضت على الذميين في الأندلس الضرائب العامة، وهي تلك التي كانت تستوفى من عموم السكان في المجتمع الأندلسي وذلك كون أهل الذمة فئة من فئات هذا المجتمع، وهذه الضرائب متعددة ومختلفة ويكتنف بعضها الغموض لعدم تعريف المصادر لها تعريفاً محدداً

() ابن رجب الحنبلي : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، ت(٧٩٥هـ)، **الاستخراج لأحكام الخراج**، تحقيق محمود شلاش، مكتبة الرشيد، ١٩٨٩هـ، ص(١٥٥-١٥٩) ، الرياض. وسيشار إليه ابن رجب الحنبلي، الاستخراج.

() الغساني : محمد بن عبد الوهاب، ت(١١١٩هـ)، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تحقيق فريد البستاني، مطبع الفنون المصورة، ص(١١٦) ، المغرب. وسيشار إليه الغساني، رحلة الوزير.

() ابن الخطيب، **المصدر السابق**، جـ(١)، ص(١٠٣).

() مونس، **فجر الأندلس**، ص(٦٣٦).

() للمزيد من التفاصيل أنظر ابن عبد البر، **الكافي**،جـ(١)، ص(٤٨٠). الشيخ الدردير، **أقرب المسالك**، جـ(٢)، ص(٣١٨-٣١٩).

وواضحاً، ومن هذه الضرائب ضريبة المعاون[1]، وهي ضريبة كانت تفرض على السكان لمعاونة الدولة عند الحاجة إلى مساعدة ما، وكانت تفرض وقت السلم أو الحرب، وهناك ضريبة المراصد[2] والناض وهي ضريبة شخصية تدفع على المنقولات، وكانت تدفع نقداً، وهناك ضريبة الطبل العام[3]، وهي ضريبة شخصية تدفع مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية في الجيش الأندلسي، أما ضريبة المغارم[4] فهي ضريبة يفرضها الحاكم على الناس كلما استدعى الأمر كعقاب لهم على أمور ينكرها عليهم، وتسمى - مغارم سلطانية-، وكانت تدفع عيناً[5]، ويشترك سكان الإقليم الواحد بدفعها، فلقد ذكر ابن عذارى أن الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٩م) ألغى ضريبة مغارم فرضت على أهل سبته[6]، وهناك ضريبة تعرف بضريبة القطع، وهي جمع قطيعة، يتعهد بأدائها سادة النواحي الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم فتتركهم مقابل أداء هذه الضريبة[7] ،وتصبح هذه الناحية إقطاعاً لهم[8]، أما ضريبة الحشود[9] فهي تدفع لتجهيز جيوش الطائفة في كل عام، ولقد أسقطها الأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م) عن جميع الرعايا بكور الأندلس حين جهز صائفه قام بها ضد جليقية، أما الحكم المستنصر فقد ألغى سدسها عن جميع الرعايا بكور البلاد بمناسبة شفائه من علة ألمت به سنة ٢٦٤هـ/٨٢٥م، وأنفذ بذلك كتباً إلى الأقطار لإعلام الناس

---

[1] ويذكر أن الأمير محمد الحكم الربضي (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م) قد عهد إلى ربيع القومس بافتراض هذه الضريبة على المسلمين، فكان هذا من أسباب قيام ثورة الربض الشهيرة. أنظر ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص(١٥).

[2] ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص(١٠٨).

[3] أبو رميله، **نظم الحكم**، ص(١٥٤).

[4] ابن عذارى، **البيان المغرب**، حـ(٢)، ص(٧٦-١١٤).

[5] ابن عذارى ، **البيان المغرب** ،حـ(١)، ص(٢٢٧).

[6] **المصدر نفسه**.

[7] ابن الآبار، **الحلة السيراء**، حـ(١)، ص(٢٣٣).

[8] ابن عذارى، **المصدر السابق**، حـ(٢)، ص(١٤١).

[9] وتسمى (مغرم الحشد). أنظر ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق حاجي، ص(٢٠٧).

بالسدس الساقط عنهم قبيل أن يأتيهم القابض[1]، وهناك ضريبة النازلة، وهي نوع من الرسوم على مأوى الجند تدفع نقداً[2]، وضريبة التقوية وهي أن تقوم كل عائلة غنية ميسرة الحال بتجهيز وإعاشة جندي واحد[3]، وفي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م أسقط الخليفة الحكم المستنصر إلزاماً على سكان كورة جيان (Jaen).

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق حاجي ص(٢٠٧).

[2] المصدر السابق، ص(١٠).

[3] المصدر نفسه.

الفصل الخامس

الحياة الثقافية والفكرية عند أهل الذمة في الأندلس

- العوامل التي أدت إلى تطور الحياة الثقافية والفكرية في الأندلس.

-مظاهر الحياة الثقافية والفكرية لأهل الذمة في الأندلس :

أ. الثقافة المستعربية.

ب. إزدواجية اللغة.

جـ. الترجمة.

د. التعلم والتعليم عند أهل الذمة.

- أشهر علماء أهل الذمة في الأندلس وإنجازاتهم العلمية.

-أطباء أهل الذمة في الأندلس.

تتفق معظم المصادر والمراجع التاريخية الأندلسية على أنه لم يوجد لون للحياة الفكرية والثقافية في الأندلس أثناء الفترة الأولى للفتح الإسلامي لإسبانيا[1]، ويقول المستشرق الإسباني أنخل جونثالث بالنثيا :" إن الشعب الإسباني الذي دخل في طاعة المسلمين نتيجة لهذا الفتح لم يخلّف لنا أثراً على حياته الفكرية طول عصر الولاة (٩٣هـ-١٣٨هـ/٧١٠م-٧٥٥م) ثم يضيف معلقاً على هذه الظاهرة :" ذلك أن الظروف التي أحاطت به لم تكن مواتية لشؤون الفكر، فقد شغل الفاتحون جميعاً بما وقع بين بعضهم البعض من نزاع وتخاصم وحروب، كما أنهم كانوا من المحاربين، وهذا وحده يكفي لتعليل انصرافهم عن الآداب وشؤون الفكر"[2].

العوامل التي أدت إلى تطور الحياة الثقافية والفكرية في الأندلس

استمر ذلك الحال حتى قدوم الأمير عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس[3] وبداية عصر الإمارة، حيث ظهرت مجموعة من العوامل التي شجعت على الاهتمام بالنواحي الثقافية والفكرية في المجتمع الأندلسي، من هذه العوامل الاستقرار السياسي للبلاد، وذلك بسبب نجاح الأمير الداخل في القضاء على الثورات التي اندلعت ضد حكمه، ونجاحه بتوحيد الأندلس تحت راية الأمويين هناك، وأخيراً سعيه الحثيث للاستقلال بالبلاد عن المشرق الإسلامي والحد من تأثير العائلات الأرستقراطية العربية والزعامات القبلية باعتماده على العناصر غير العربية من موالي وصقالبة ومولدين وبربر.

ومن العوامل المساعدة على تطور الحياة الثقافية في الأندلس الاتصال المباشر وغير المباشر بالثقافة الإسلامية المشرقية من جهة والممالك النصرانية المجاورة من جهة أخرى، فلقد شجع هذا الاتصال العديد من العلماء المشارقة على الوفود إلى الأندلس جالبين معهم الكتب والمخطوطات

---

[1] أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، ط(١١)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ص(٦٠-٦١). وسيشار إليه هيكل، الأدب الأندلسي.

[2] بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص(١).

[3] ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك التوزري، (د.ت)، **تاريخ الأندلس -قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء-** نشره أحمد مختار العبادي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد (١٣)، ١٩٦٥م-١٩٦٦م، ص(٥٦-٥٧). وسيشار إليه ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس.

القيمة[1] أمثال الغازي بن قيس الذي دخل الأندلس جالباً معه موطأ الإمام مالك بن أنس – إمام دار الهجرة–[2]، كما أن رحلات الأندلسيين إلى الخارج من أجل طلب العلم، والتزود به من أصوله ومنابعه ساعد على تقوية هذه الاتصال، وإثراء المعرفة والثقافة. ونذكر ممن رحل إلى المشرق لتلقي العلوم فقيه الأندلس أبو عيسى يحي ين يحي بن كثير[3] والحافظ أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد[4].

أيضاً كان لتطور العلاقات الدبلوماسية بين الأندلسيين والممالك النصرانية، وما صاحبها من تبادل الهدايا من كتب ومخطوطات نفيسة أن شجعت الترجمة من وإلى اللغة العربية، وعلى التبادل الثقافي بين كلا الجانبين، ففي عام ٣٣٧هـ/٩٤٩م تلقي الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ–٣٥٠هـ/٩١٢م–٩٦١م) هدية من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع[5] (Constantine VII) (/٩٤٤–٩٥٩م)، كان من ضمنها كتاب (الأدوية المفردة) المعروف بـ الحشائش للطبيب اليوناني ديسقوريدس[6]، كما أهدى سفير الملك[7] لويس الرابع (Louis IV) إلى بلاط قرطبة

---

[1] حسين مونس، فتح العرب للمغرب، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٧م، ص(٢٩٢). وسيشار إليه مونس، فتح العرب للمغرب. هيكل، الأدب الأندلسي، ص(٩٠).

[2] دخل الغازي بن قيس الأندلس زمن الأمير علي الرحمن الداخل (١٣٨هـ–١٧٢هـ/٧٥٦م–٧٨٨م)، أنظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٩٢).

[3] ابن بشكوال، الصلة، جـ(٣)، ص(٩٥٧). ابن فرحون، الديباج، ص(٤٣١–٤٣٢).

[4] الحميدي، جذوة المقتبس، جـ(١)، ص(٢٧٤–٢٧٧). ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ(١)، ص(١٦٩–١٧١).

[5] يذكر ابن جلجل أن اسم هذا الإمبراطور هو أرمانوس (Armanus). أنظر ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص(٢٢). غير أن هذه المعلومة مغلوطة ذلك أن الإمبراطور في تلك الفترة لم يكن رومانوس ليكابينوس الأول (٣٠٦هـ–٣٣٢هـ/م٩١٩–٩٤٤م) أو رومانوس الثاني(٣٤٨هـ–٣٥٨هـ/٩٥٩–٩٦٩م)، وإنما هو قسطنطين السابع المعروف بـ(بورفيروجينيتوس). أنظر حسين مونس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص(٣٦). وسيشار إليه مونس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين.

[6] ديسقوريدس، من أهل عين زربة – من نواحي المصمصة من أرض الثغر – شامي، يوناني، كان بعد أبقراط وترجم من كتبه الكثير، وهو أعلم من تكلك في أصل علاج الطب. انظر ابن جلجل، المصدر السابق، ص(٢١). زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط(٨)، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦م، ص(٣٧٦). وسيشار إليه هونكه، شمس العرب.

[7] اسم هذه السفير هو جودمار (Godmar) مطران مدينة جيرون (Geron). أنظر خليل إبراهيم الكبيسي، تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي إتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العددان (٤١–٤٢)، السنة السادسة عشرة، ١٩٩٠، ص(١٥٤). وسيشار إليه الكبيسي، تشجيع الحكم –

سنة (٣٢٧هـ/٩٣٩م) إلى ولي العهد الأمير الحكم المستنصر كتاباً يحوي تاريخ ملوك الفرنجة[1] .
ولم تقتصر عادة إهداء الكتب على المستوى الرسمي فحسب، بل شارك بها أبناء الطوائف المعاهدة، فقد ذكر أن أسقفاً من أساقفة قرطبة[2] أهدى إلى الأمير الحكم المستنصر تقويماً للأعياد المسيحية[3] الإسبانية، ويعتقد أن الرحالة اليهودي إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي والمعروف بالطرطوشي[4] قد أهدى كتاباً بأخبار رحلاته إلى مدن وممالك أوروبا إلى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م).

ومن العوامل الهامة في إثراء الفكر والثقافة في البلاد؛ الاهتمام الخاص الذي أولاه حكام البيت الأموي، وتشجيعهم المستمر على طلب العلم والتعلم بكافة صوره، فقد وجّه الأمير عبد الرحمن الداخل(١٣٨هـ-١٧٢هـ/٧٥٦م-٧٨٨م) عباس بن ناصح الجزيري[5] لشراء الكتب القديمة

= هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ص(٥٠١). في حين يذكر المسعودي أن اسمه (عرمسار) وكان أسقفا لمدينة جريدة. أنظر المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت(٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط(١)، شرحه عبد الأمير علي مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة،بيروت، ١٩٩١م، جـ(٢)، ص(٣٨). وسيشار إليه المسعودي، مروج الذهب.

(١) Abderhaman Ali Hajji, Diplomatic Relation between Andalusia And the Franks, بحث منشور في Islamic Quartery, Islamic Cultural Center, London, Vol (13) No(2), April – June 1969, P.P(121-122).

وسيشار إليه Hajji, Dip. Rel, And, Fran.

(٢) هو الأسقف ربيع بن زيد، وقد وضع هذا التقويم بالتعاون مع الطبيب عريب بن سعد، أنظر فيرينت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص(١١٦).

(٣) وائل أبو صالح، جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، عدد(٦)، ذو القعدة ١٤١١هـ، جوان ١٩٩١م، ص(٣٩). وسيشار إليه أبو صالح، جهود الحكم.

(٤) Abderhaman Ali Hajji, At Turtushi, The Andalusian traveller and his meeting With Pope John XII بحث منشور في Islamic Quarterly, London, Islamic Cultural Center, vol(11), No(3-4), P.P(129-130).

وسيشار إليه Hajji, At Turtushui

(٥) عباس بن ناصح الثقفي الجزيري، من أهل الجزيرة يكنى أبا العلاء، رحل به أبوه صغيراً فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالباً للغة العرب، ثم رحل إلى العراق ولقي الأصمعي، ثم انصرف إلى الأندلس فمازال يتردد على الأمير الحكم بن هشام بالمديح ويتعرض للخدمة فاستقضاه على شذونة والجزيرة، وكان أديباً جزل الشعر. أنظر ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، جـ(١)، ص(٣٤٠-٣٤١). ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ(١)، ص(٤٨).

من المشرق، فجاءه عباس بكتاب السندهند، وكتب أخرى حيث اعتبر أول من أدخلهما إلى الأندلس، وعرّف الناس بها[1].

جميع هذه العوامل السابقة ساعدت على تطور الحياة الثقافية والفكرية في المجتمع الأندلسي، وعملت على إبراز الوجه الحضاري للبلاد، باعتبار أن النصارى واليهود طوائف اجتماعية، تؤثر وتتأثر مع المجتمع بصورة عامة؛ فلقد ساهموا بتطور الفكر والثقافة في الأندلس من خلال العديد من المظاهر والإنجازات التي قدموها.

مظاهر الحياة الثقافية والفكرية لأهل الذمة في الأندلس

أ. الثقافة المستعربيّة

ظهر تيار الاستعراب في الثقافة الأندلسية نتيجة تأثر المعاهدين بالفكر والثقافة العربية، حيث كان لاحتكاك أبناء أهل الذمة مع العرب المسلمين أن تأثروا في مظاهر حياتهم الفكرية والثقافية.

أخذ المستعربون عن العرب لغتهم العربية وآدابهما المختلفة، وتولعوا بالشعر العربي نظماً وإلقاءاً، يقول المستشرق انجل جونثالث بالنيثا : " وليس أدل على ذلك من تلك الحقيقة التي يعرفها كل الناس، وهي أنهم-المستعربون- كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب، واتخاذ أسمائهم، وأزيائهم، ويجتهدون في أن يأخذوا الطابع الإسلامي في كل نواحي حياتهم" [2] .

و لم تلبث أن حلت اللغة العربية محل اللغة اللاتينية في معظم نواحي الحياة، حتى أن لغة الدين المسيحي تطرق إليها الإهمال والنسيان شيئاً فشيئاً، يقول أرنولد توماس :" إن اللغة اللاتينية بلغت في بعض أجزاء أسبانيا درجة كبيرة من الانحطاط، حتى لقد أصبح من الضروري أن تترجم قوانين الكنيسة الإسبانية القديمة، والإنجيل إلى اللغة العربية، ليسهل استعمالها على المسيحيين" [3] .

وبلغ من انتشار اللغة العربية أنها كانت تستخدم داخل الكنيسة، فنجد في الكتب الدينية المكتوبة باللاتينية شروحاً بين السطور باللغة العربية، وهناك أمثلة عديدة على هذه الشروح، وقد عُثر على شواهد قبور لنصارى كتب عليها بالعربية، أو بالعربية واللاتينية معاً[4]، كما أنه يوجد

---

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة)، ط(١)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م، ص(٤٢). وسيشار إليه عباس، تاريخ الأدب الأندلسي.

[2] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٨٥).

[3] أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ط(٣)، تعريب حسن إبراهيم وآخرون، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص(١٦٠). وسيشار إليه توماس، الدعوة إلى الإسلام.

[4] كحيلة،تاريخ النصارى في الأندلس، ص(١١٦-١١٧).

في ختام مخطوط محفوظ في المكتبة الأهلية بمدريد، يضم مجموعة من القوانين الكنسية وقراراتهما مرتبة أبواباً على حسب الموضوع، ومترجمة من اللاتينية إلى اللغة العربية بقلم قس يسمى بنجنيس (Vicente)، والكتاب كله مُهدى إلى الأسقف عبد الملك، وقد نظمت عبارات الإهداء أبياتاً عربيةً لا تفترق بشيء عما ينظمه المسلمون[1] ، تقول (الطويل):

كتابٌ لعبد الملك الأسقف الندب   جوادٌ نبيلٌ الرَّفد في الزمن الجَدبٌ

هُمامٌ ذكي الحَدسِ واحد عصره   عليمٌ كريم ذي حُلومٍ وذي لُبِّ

يُجدد فضل الله فينا بفضلهِ   وعمَّ به كل الأنامِ هدى الربٌ

ويتضح لنا مدى تأثر سكان البلاد بالثقافة العربية وفنونها من خلال ما وصف به بول ألفارو القرطبي[2] (Poul Alvaro) حالة الشباب المسيحي، ونفسه تُقطر حزناً وألماً، فيقول :" إنّ اخوتي في الدين يجدون لذة كبيرة في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربياً جميلاً صحيحاً، وأين نجد الآن واحداً – من غير رجال الدين- يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة؟ ومن سوى رجال الدين- يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء، والرسل؟ يا للحسرة! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها،ويصرحون في كل مكان أن هذه الآداب حقيقة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم، يا للألم! لقد نسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ. فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجدٌ فيهم عدداً عظماً يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً[3]".

تجلت الثقافة المستعربية بالدور الهام الذي قام به المستعربون في نقل التأثيرات العربية الإسلامية إلى أوروبا، إذ قام المستعربون بترجمة قانون الكنيسة، ونقلوا الأناجيل الأربعة وكذلك مزامير داود إلى اللغة العربية، وكان لهم دور فعال في نقل الحضارة العربية إلى إسبانيا المسيحية، وهم منذ الفتح لم يكفوا عن الهجرة إلى الأراضي والممالك النصرانية في الشمال، الأمر الذي ساعد على التعريف

---

(1) **Simonet, Historia de Los Mozarabes, Tome (3), P(723).**

(2) سبق التعرف به، ص(٨٣).

(3) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٨٥-٤٨٦).

بحضارة الإسلام ونشرها في إسبانيا والعالم الأوربي، يقول أحمد مختار العبادي في معرض تعليقة على التقارب ما بين ملوك الفرنجة وأوروبا وبين الحكام المسلمين في الأندلس:" إن هذه السفارات-الدبلوماسية- المتبادلة... كانت تواكبها أيضاً اتصالات حضارية بين الجانبين، فالعلماء والرسل الذين سافروا إلى تلك البلاد كانوا في معظمهم من علماء اليهود أو النصارى المستعربين الذين يتقنون عدة لغات كاللاتينية والعبرية والعربية، وهذا مكّنهم من نقل الفكر الإسلامي إلى العقل الأوروبي، كما مكنهم في الوقت نفسه من نقل تراثهم اللاتيني أو العبري إلى اللغة العربية كالنحو العبري، وقوانين المجامع الكنيسيّة الكاثوليكية"[1]، ويقول المستشرق رينو :" لم يذكر التاريخ رجلاً مسيحياً لأوائل الفتح الإسلامي أتقن العربية غير هارتموت- رئيس دير سانغال- الذي كان يعرف العربية واليونانية والعبرية، وكان من رجال أواخر القرن التاسع الميلادي(الثالث الهجري)، ولم يبدأ آباؤنا -والقول لرينو- بتعلم العربية إلاّ أيام الحروب الصليبية إذ لم يجدوا غنى عن الإطلاع على لغة قوم استولوا على جانب من بلادهم، فكانوا يذهبون إلى إسبانيا حيث تُعلم اللغة العربية إلى جانب اللاتينية ويقرؤونها عن أهلها، وفي سنة (٥٣٦هـ/١١٤٢م) ، اكمل بطرس رئيس دير كلوني أول ترجمة لاتبنية للقرآن، على أننا لا نشك في انه في أول دخول العرب إلى فرنسا، كانت اللغة العربية معروفة فيها"[2].

وكان لليهود دور مهم في نقل الثقافات والتأثيرات الفكرية بين الأندلس من جهة والعالم الخارجي من جهة أخرى، ذلك إضافة إلى دورهم كوسيط تجاري بين كلا الجانبين، حيث أن الاتصالات الفكرية كانت تتم جنباً إلى جنب مع الاتصالات التجارية[3]، كما وتؤكد المستشرقة زيغريد هونكة على هذا الدور لليهود، وتقول :" ومن رسل نقل الحضارة الأندلسية إلى أوروبا أيضاً اليهود كتجار وأطباء وعلماء في اللغة العربية، فقد نقلوها بمختلف أنواعها وفروعها إلى أوروبا، كما أسهموا في أعمال الترجمة بطليطلة" [4] .

---

[1] العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، ص(٣٩٠).

[2] حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ص(٩٨).

[3] Burry, Camb.Med.his, vol(3), p(433)

[4] زيغرد هونكة، فضل العرب على أوروبا، تعريب فواد حسنين علي، دار النهضة العربية، د.م ،ص(٤٥٢). وسيشار إليه هونكة، فضل العرب.

ويقول ليفي بروفنسال :" ومن الضروري- بلا شك- ألا نصمت عن ذكر التأثيرات التي لم تكن مشرقية في نوعيتها مثل تأثيرات العلماء اليهود الأندلسيين الذين طرحوا قبل مواطنيهم المسلمين مشكلة التوافق بين الدين والعقل للوصول إلى حلول مختلفة لها" [١].

وتظهر آثار الثقافة العربية في الفن القصصي في أوروبا، حيث أننا نجد في الأدب الأسباني اللاتيني أثراً واضحاً لهذه الأقاصيص المصبوغة بصبغة دينية بحيث كانت تروى لالتماس العظة والعبرة، وهو أسلوب شرقي إسلامي، ومن أسبانيا انتقل هذا الأسلوب إلى باقي اتحاد أوروبا[٢].

وهناك أيضاً الشعر الملحمي الغنائي، الذي أشار إليه المستشرق الإسباني خوليان ريبيرا في تعليقه عن أثر القصص الشعري في الأندلس في الشعر القصصي الإسباني والفرنسي، حيث يقول :" كثيراً ما ينتسب الشعر القصصي الفرنسي إلى شخصية فرنسية أعمالاً قامت بها شخصية أخرى، من ذلك أن يُنسب إلى شارلمان[٣]- وهو شخصية رئيسة في الشعر الملحمي الفرنسي- القيام بمغامرات ليس من الممكن أن يكون قد قام بها ولابد أنها كانت تروى منسوبة إلى غيره"[٤]، ويضيف قائلاً:"وتعيننا هنا رواية تحكي أن شارلمان خرج من بلاده منفياً، وقصد بلاط ملك مسلم في إسبانيا، وعاش في هذا البلاط فارساً مجهولاً، وبلغ من التقدم والبروز ما جعله آخر الأمر يتزوج الأميرة ابنة هذا الملك" [٥].

من هذا النص نستنتج مدى إلمام المؤلف بما كان يجري في إسبانيا من أمور إذ الواقع أنه كثيراً ما كان يحدث في الأندلس ارتقاء المحاربين المقبلين من أوروبا إلى مراكز اجتماعية ممتازة.

---

[١] ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في أسبانيا، تعريب محمود علي مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص(٨٧-٨٨). وسيشار إليه بروفنسال، الحضارة العربية.

[٢] عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ص(١٢٤-١٢٥).

[٣] شارلمان أورشال العظيم(Charlemagne) : وهو الابن الأكبر لبيبن القصير (Pepin the Short) تولى حكم الفرنجة في الفترة (١٥١هـ-١٩٩هـ/٧٦٨م-٨١٤م)، يعتبر شارلمان هو الباعث الحقيقي للإمبراطورية الغربية من جديد، ويتميز عصره بالمزج التدريجي البطيء بين التراث الروماني القديم وبين حضارة الجرمان المتبربرين، كذلك تميز عصره بانتشار الروح المسيحية في الغرب الأوروبي، وقد رسمه الباب ليوالثالث (L eoIII) إمبراطورا على الجزء الغربي تقديراً لجهوده في حماية المسيحية، أنظر جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، موسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص(١٥٣-١٥٤) وسيشار إليه نسيم، تاريخ العصور الوسطى.
R.H.C.Davis, Ahistory s Medieval Europe, London, Longemans, 1964,P.P(136-137)
وسيشار إليه Davis, Ahistory of medieval

[٤] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٦٠٩).

[٥] المصدر نفسه.

ويقول المستشرق خوان فيرنيت:" وقد وجد في الأندلس منذ وقت مبكر شعرا ونثرا تتفاوت شحنتهما الملحمية، لذلك ينبغي أن نفترض أن المستعربين كانوا على دراية بهما، مثلما كان البيزنطيون والغرب والأتراك في الشرق تطلع كل أمة منهم إلى ما ينتجه خيال الأمتين الأخيرتين من هذا الأدب" ، ويضيف :" والدليل على ذلك المعرفة بالإسلام، التي تشف عنها أغاني الفروسية الغربية... وأسماء يمكن أن تتطابق هويتها مع شخصيات تاريخية -إسلامية- كما هو الحال في شخصية آيكين (Aiquin) والخليفة الحكم الثاني-المستنصر- ومثل آلماسور(Almacur) والحاجب المنصور بن أبي عامر"[1].

ويقول المستشرق إميليو غريسة غومس عن أثر الثقافة العربية : " إن مظاهر التقدم الكبرى فيما بين القرن الثامن والثاني عشر الميلاديين -الثاني والسادس الهجريين- في المحيط العقلي يرجع الفضل فيه إلى المسلمين ومن ثم كانت العربية لغة التقدم، في حين أن اللاتينية كانت لغة ثقافة الغرب الأوروبي، ولم تعد لها قيمة بالقياس إلى العربية"[2].

وهناك مظهر آخر صاحب تطور الثقافة المستعربية وانتشارها في مختلف أقطار أوروبا ألا وهو الفن المستعربي، الذي اعتبر من فنون عصر النهضة الأوروبية. ظهر الفن المستعربي جليا في مجال العمارة والبناء، حيث كان التأثير واضحا في بناء الأقواس، ويشير جوميث مورينو إلى كنيسة سان ميجيل دي إسكالادا (Saint mikel de Escalada) في مدينة (Leon)، التي بناها في سنة (٣١٠هـ/٩١٣م) مستعرب أتى من قرطبة :" ونجد فيها أصولا أندلسية تتمثل في تيجانها التي تحمل أوراقا ملساء، وفروعا مخططة، وسعفا على شكل حذوة فرس ومسبحة، كما وتتمثل فيها أشكال أسود صاعدة، وطائر يحمل في منقاره سمكة، ورؤوسا خرافية وطيورا"[3].

ولقد ظهرت العديد من العناصر التي استعملها المعماريون القرطبيون في الصروح الفرنسية الأولية، والمبنية على الطراز الروماني، يقول خوان فيرنيت :" من ذلك -مثلا- الأفاريز المكونة من بلاطات بارزة فوق مقرنصات حجرية والمقرنصات ذات الفصوص، والعقد (القوس) متعدد

---

[1] فيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص(٣٩٤).

[2] إميليو غاريسة غومس، **الثقافة العربية وكيف أثرت في أسبانيا**، تعريب أحمد هيكل، بحث منشور في مجلة مدريد، العدد (١٨)، ص(٣). وسيشار إليه غومس، الثقافة العربية. أنظر هارديل، **أوروبا في صدر العصور**، ص(١٧٦-١٧٨)

[3] انظر كحيلة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، ص(١٣٧).

الفصوص الذي يظهر على نحو متماثل في بوابة الصاغة في كوميستيلا (de Compostela) والزخرفة ذات التلوين المتناوب، والقباب المحلاة بالعروق والتقاطعات"[1].

ويبدو أن أولئك المعماريين كانوا يتنقلون من دولة إلى أخرى لدى ممارسة صنعتهم بصورة ورشات عمل مترحلة، كورشة (معلم الغزالات)التي اشتغلت في منطقة اللورا الأوسط ما بين عامي (٤٢١هـ-٤٤٢هـ/١٠٣٠م-١٠٥٠م)[2].

ووصلت النقوش الشرقية التي كانت تقلد إمّا المنمنمات وإما الأشكال المرسومة على صناديق العاج القرطبية[3] إلى الغرب مع البسط والسجاجيد الفاخرة المنسوجة بالدقة والإبداع في العالم الإسلامي، أو مع نتحات ذات صبغة فنيّة مثل قطع الشطرنج والمرايا والخزف...الخ.

ب. ازدواجية اللغة

أثبت المستشرق الإسباني خوليان ريبيرا نظريةً في اللغة تقول أن أهل الأندلس كانوا يستعملون عدة لغات في حياتهم العلمية والعملية وهذه اللغات هي كالتالي :

١. اللغة العربية الفصيحة التي استعملت كلغة رسمية للدولة يتخاطب بها الناس في المدارس، ويكتبون بها وثائق الدولة الرسمية والمراسلات.

٢. اللغة اللاتينية الفصيحة التي استعملت في نطاق محدود من قبل رجال الدين الأسبان بسبب حاجتهم لقراءة تراتيل الإنجيل والعهد القديم...الخ.

٣. لغة من اللاتينية الدارجة أو الرومانثية (Romance)[4]، حيث استعملت في الحياة اليومية والشؤون العامة، وهي لغة خليط بين العربية واللاتينية، أطلق عليها مؤرخو الأندلس الأعجمية أو اللطينية[5]، ولقد انتشرت هذه اللغة بين العامة بصورة كبيرة، حتى أن ابن حزم الأندلسي قد عاب على قوم من قبيلة (بلي) العربية أنهم :" لا يحسنون

---

[1] فيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص(٣٩١).

[2] **المصدر السابق**، ص(٣٩٢).

[3] السيد عبد العزيز سالم، **صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج**، بحث منشور في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد (١٩)، ١٩٧٦م-١٩٧٨م، ص(٦٢). وسيشار إليه سالم، صور من المجتمع الأندلسي.

[4] بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص(١٤٢). أبو دياك، العلاقات الثقافية، ص(١٠٩).

[5] حكمة على الألوسي، **فصول من الأدب الأندلسي**، ط(٢)، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٤م، ص(٣٠). وسيشار إليه الألوسي، فصول من الأدب الأندلسي.

الكلام باللطينية لكن بالعربية فقط"[1]. فنستنتج هنا أن الحديث بهذه اللغة كان شائعاً بين العرب في المجتمع الأندلسي.

كان من أمر هذا الاختلاط بين اللغات المستعملة في الأندلس، أن دخلت العديد من الكلمات الأعجمية واللطينية إلى اللغة العربية، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك، منها ما روي :" أنه نبت سن لبعض ولد الأمير عبد الرحمن الثاني-الأوسط- فوصفوا له طعاماً يتناوله الأطفال عند نبات أسنانهم، فقال الأمير للوزراء : هذا الذي يسميه الناس بالأعجمية الذنتينية هل روي عن العرب فيها شيء ؟"[2].

وروي أن الوزير أبا القاسم لُبّ هجا الوزير عبد الملك بن جهور في حضرة الخليفة عبد الرحمن الناصر بأبيات من الشعر قال فيها (السريع):

قال أمين الله في عصرنا	لي لحيةٌ أزرى بها الطول
لولا حيائي من إمامِ الهدى	نخست بالمنخس الشَو...

ثم سكت!! و لم يكمل البيت الأخير، فقال الناصر مستدركاً : قولٌ، فقال الشاعر أنت هجوته يا مولاي، فضحك الناصر لدين الله وأمر له بصلة[3].

ومعنى الشوقول (Suculo) بعجمية أهل الأندلس هو (الإلية) أو (الردف).

"وقد أشار الشاعر أحمد بن درّاج القسطلي[4] في مدحه للمنصور بن أبي عامر بعد إخضاعه حصن لونه (Luna) قائلاً (الطويل) :

ولا مثل يوم نحرِ لونةٍ سرته	وقد قنّعت شَمس النهارِ غياهبُهُ

إلى أن يقول :

---

[1] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص(٤٩٨-٥٠٢).

[2] ابن هشام: محمد بن أحمد اللخمي، ت(٥٧٧هـ)، ألفاظ مغربية من كتاب لحن العامة، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد(٣)، جـ١)، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص(٢٨٦-٢٨٨). وسيشار إليه ابن هشام، ألفاظ مغربية.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ(٢)، ص(٢٢٧).

[4] هو أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي، من فحول الشعر في الأندلس، ولد في محرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة للهجرة، زمن حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي، قال عنه المؤرخ ابن حزم :" لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار-بن برد- والمتنبي"، مات قريباً من العشرين وأربعمائة للهجرة. أنظر ابن حزم، فضائل الأندلس وأهلها، ص(٢٠)، ابن دحية الكلبي، المطرب، ص(١٥٦-١٥٧).

فيا ليت قوطاً حين شاد بناءه رآه وقد خرت إليك جوانبـهُ

ويا ليت اذ سماه بدراً معظماً رآه وفي كسف العجاج مغاربه

و(لونة) تعني باللطينية بدراً أو قمراً.[1]

على أن المؤثرات الرومانثية تتضح بصورة كبيرة في الموشحات الأندلسية التي يرى خوليان ربيرا أن أصلها أسباني النشأة، وأن مخترعها[2] اعتمد على بعض الأغاني اللاتينية القديمة في نظم الموشحات، حيث كانت البيوت في الأندلس تضم العديد من النساء والجواري الجليقيات كن يعرفن هذه الأغاني ويترنمن بها[3]، ولقد مرّ بنا سابقاً أبيات أبي العباس الأعجمي في موشحه تحدث بها عن الاحتفال بعيد العنصرة قائلاً :

ألب ديه اشت ديه دي ذا العنصر حقاً

بشترى مو المُدَبَّج ونشق الرمح شقاً

وتعني : هذا اليوم فجر، وهو يوم العنصرة، سألبس فيه المدبج...الخ[4].

جـ .الترجمة

تعد حركة الترجمة من أهم مظاهر الحياة الثقافية والفكرية في الأندلس ذلك أنه كان نتيجة طبيعية للتبادل الثقافي بين الأندلس والحضارات الأخرى، كما وأن انتقال العديد من الكتب والمخطوطات القيمة من وإلى الأندلس استلزم ضرورة ترجمتها وتعريبها وبيان رموزها حتى يسهل قراءتها والانتفاع بها.

ولقد لعب المستعربون واليهود دوراً هاماً وذا قيمة في مجال الترجمة، وذلك سبب إتقانهم اللغة العربية إلى جانب اللغات الأخرى كاللاتينية والعبرية ....الخ، ففي عام (٣٤٠هـ/٩٥٢م) وصل إلى قرطبة الراهب نيقولا قادماً من القسطنطينية بناءً على طلب من الخليفة عبد الرحمن

---

[1] هيكل، **الأدب الأندلسي**، ص(٣٢٤).

[2] هو مقدم بن معافي، شاعر ضرير من أهل مدينة (قبرة)، أصله من المولدين –أي أنه إسباني الأصل– عاش في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ويذهب البعض أن مخترع الموشحات هو أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد. أنظر السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، ت(٩١١هـ)،**بغية الوعاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، جـ(١)، ص(٣٧١). وسيشار إليه السيوطي، بغية الوعاة. ابن بسام، **الذخيرة**، القسم الأول، المجلد الأول، ص(٤٦٩).

[3] هيكل، **الأدب الأندلسي**، ص(١٤٨).

[4] عبد البديع، **الإسلام في إسبانيا**، ص(٧٩).

الناصر (٣٠٠هـ ـــ ٣٥٠هـ /٩١٢م- ٩٦١م) وذلك ليساعد في ترجمة كتاب ديسقوريدس (الأدوية المفردة)،واشترك معه في هذا العمل الطبيب اليهودي أبو يوسف حسداي بن شبروط[١].

ومن أشهر الكتب التي تم ترجمتها عن اللغة اللاتينية كتاب (التواريخ السبعة في السرد على الوثنيين)[٢] (Histoire de libri Septemadversos Paganos) الذي وضعه الراهب الروماني باولوس هيروسيس[٣] (Paulua horosius) والمعروف لدى المسلمين بـ(هيروشيش)، ولقد قام بنقله إلى العربية زمن الخليفة الناصر لدين الله قاضي النصارى في الأندلس الوليد بن الخيزران المعروف بابن المغيث[٤] وساعده بالترجمة قاسم بن أصبغ[٥]، ومن الجدير ذكره أن مؤرخي الأندلس قد استفادوا من هذه الترجمة فائدة جمة أمثال بأحمد بن محمد الرازي المتوفى سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، ومن المرجح أن المؤرخ ابن حيان والمتوفى سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م قد نقل مادته الخاصة بتاريخ إسبانيا النصرانية عن الحوليات التي أنشأها معاصروه من المستعربين، أو أنه كان ينقل عن هؤلاء رواية[٦].

د. التعلم والتعليم عند أهل الذمة

كان للاهتمام البالغ الذي أولاه حكام البيت الأموي للتعلم والتعليم أثراً بالغاً في شيوعه بين السكان على اختلافهم وتنوعهم، حتى أنه أصبح عاماً، شاملاً الذكور والإناث[٧]، كما شمل كافة الطوائف الدينية في البلاد، ولقد انتشرت المدارس والمعاهد التعليمية العامة فيها والخاصة، وتذكر لنا المصادر التاريخية صوراً من هذا الاهتمام في الحياة العلمية، منها ما ذكره صاحب أخبار

---

[١] فيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص(٦٢).

[٢] مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص(١٩).

[٣] سنرد لاحقاً ترجمة لهذا العالم النصراني.

[٤] فيرنيت، **المصدر نفسه**، ص(١١٦).

[٥] هو قاسم بن أصبغ البياني، من أعلام الأندلس، ولد في ٢٠ ذي الحجة سنة ٢٤٤هـ (٢ تشرين ثان ٨٥٩م) في بلدة بيانه من أعمال قرطبة، رحل في شبابه رحلة طويلة إلى المشرق وسمع من أعلام العصر في مصر والحجاز والشام، انصب اهتمامه على التاريخ، توفي في ١٥ جمادى أولى سنة ٣٤٠هـ (٢٠ تشرين أول ٩٥١م). أنظر حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي، ت(١٠١٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م، جـ(٥)، ص(٨٢٦). وسيشار إليه حاجي خليفة، كشف الظنون. ابن عماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي، ت(١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط(٢)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، جـ(٢)، ص(٣٥٧)، وسيشار إليه ابن عمار الحنبلي، شذرات الذهب.

[٦] العبادي، **الإسلام في أرض الأندلس**، ص(٣٦٠).

[٧] فيرنيت، **المصدر نفسه**، ص(٦٢)

مجموعة أن الأمير هشام الرضى (١٧٢هـ-١٨٠هـ/٧٨٨م-٧٩٦م) كان قد اتخذ قراراً بتعميم اللغة العربية في معاهد غير المسلمين، وجعلها لغة التدريس في معاهدهم[1].

كما كان للاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس خلال الحكم الأموي أهمية في إنشاء هذه المدارس والمعاهد في مختلف أرجاء البلاد ففي عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م أنشأ الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ ـ٣٦٦هـ/ ٩٦١م ـ٩٧٦م)في العاصمة قرطبة وأرباضها اكثر من ست وعشرين مدرسة خاصة لتعليم الفقراء، وجعل التعليم فيها مجانياً وعلى نفقته الخاصة[2] ، الأمر الذي جذب العديد من النصارى واليهود والمسلمين ليس من أسبانيا وحدها بل ومن أنحاء أوروبا وأسيا [3].ومن الجدير ذكره أن الراهب جيربرت(Gerbert) والذي أصبح فيما بعد بابا -أنظر ملحق رقم (٣)- باسم سلفستر الثاني (Pope Sylvester II) في الفترة ما بين (٣٩٠هـ-٣٩٤هـ/٩٩٩م-١٠٠٣م) كان أحد الوافدين إلى مسجد قرطبة لتلقي المزيد من العلوم هناك[4].

وأدى التسامح الكبير الذي أبداه الخليفة الحكم المستنصر تجاه اليهودي حسداي بن شبروط، ورعايته الخاصة به أن بدأت الدراسات التلمودية في أسبانيا على يد ذلك الأخير، يقول ابن أبي أصيبعة :" وهو -أي حسداي- أول من فتح لأهل الأندلس منهم -اليهود- باب علمهم في الفقه والتاريخ وغير ذلك، وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم، وسني تاريخهم، ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين، يتعرفون به مداخل تاريخهم، ومبادئ سننهم، فلما اتصل حسداي بالحكم -المستنصر- ونال عنده الحظوة، توصل به إلى استجلاب ما شاء من تآليف اليهود بالمشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا يجهلونه، واستغنوا عما كانوا يتحشمونه والكلفة فيه"[5]. كما يذكر المستشرق خوان فيرنيت :" ومن الطريف أن هذه النزعة الاستقلالية الروحية-إعلان الخلافة في الأندلس على يد عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٣هـ/٩٦م- لم تلبث أن سرت أيضاً بين أهل الذمة، إذ تروي المصادر العبريّة أن الجاليات اليهودية الأندلسية أسرعت بعد إعلان خلافة عبد الرحمن الناصر إلى إلغاء تبعيتها

---

[1] مولف مجهول، أخبار مجموعة، ص(١٢٠-١٢١).

[2] دوزي، المسلمون في الأندلس، جـ(٢)، ص(٦٧). هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص(٥٠٠).

[3] **S.M.Imamuddin, A political History, P.P(176-177).**

[4] حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(١٥٧).

[5] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص(٤٩٨).

الزوجية للأكاديميات اليهودية ببغداد"[1]، الأمر الذي اقتضى إنشاء أكاديميات ومعاهد علمية خاصة بهم في الأندلس.

ولقد قدم حسداي العون والمساعدة إلى اليهودي ابن حانوك[2] ومدرسته " فلم تلبث أن أنجبت أعلام الأدب العبري رجالاً مثل مناحيم بن سروق الطرطوشي، ودُناش بن لَبراط البغدادي ممن افتتحوا عصر الازدهار للشعر العبري الحديث"[3].

ويتحدث المستشرق الإسباني انخل جونثالث بالنثيا عن دور حسداي في تطور الحياة العلمية عند اليهود قائلاً :" ولم تلبث أن أصبحت –الأندلس- مركزاً للدراسات العبرية، وكان من نتائج عناية حسداي بهذه الدراسات العبرية أن تحسن حال إخوانه في الدين، مما أتاح لليهود-فيما بعد- أن يقوموا بنصيب وافر من الثقافة الأندلسية"[4].

ولقد فتحت مدارس يهودية في مدن كثيرة، حيث زار العالم بنيامين التطيلي[5] (Benjamin of Tudela) جنوب فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) ليدرس حال أبناء طائفته، فذكر أمر مدارس أربونة (Urbona) وبيزيه ومرسليه ومونبليه وكان يدرس في هذه المدارس فضلاً عن علوم الدين اليهودي علوم الطب والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم التي اقتبست عن المسلمين، وكان تأثير الرجال الذين تخرجوا من هذه المدارس، واشتهروا بفضلهم وسيرهم عظيماً في حياة تلك المدن الثقافية[6]، يقول الأستاذ دالماس (Dalmas) أستاذ الأمراض النسائية بكلية الطب في جامعة مونبليه :" أن العرب نزلوا بلدة مأجلون ضاحية مونبليه، وأقاموا بها مدة من الزمن إلى أن أجلاهم عنها شارل مارتل وأحرقها، حتى ارتدوا إليها، وكانوا أثناء وجودهم فيها يبيعون الكتب الطبية، ثم جاء منهم أطباء وصاروا يمارسون حرفة التطبيب"، ثم ذكر من الأطباء أسماء بعض اليهود الذين تلقوا الطب العربي مثل

---

[1] فيرنيت، هل هناك أصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية، ص(١٩٣).

[2] هو الحاخام موسى بن حانوك، عضو الأكاديمية التلمودية الشهيرة بمدينة سور (Sura) أسرة المسلمون في إحدى معاركهم، وبيع في مزاد علني في سوق قرطبة بصفته عبداً، حيث افتكته الطائفة اليهودية وجعلته من وجهائها. أنظر فيرنيت، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ص(٦٣).

[3] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٨٩).

[4] المصدر السابق، ص(٩).

[5] هو بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي، كان وجيها من وجهاء قشتلة وتاجراً تعنيه الرحلات لدراسة الأحوال الاقتصادية، قام برحلته المشهورة برحلة بنيامين في حدود سنتي (٥٦١هـ-٥٦٩هـ/١١٦٥م-١١٧٣م).

[6] بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تعريب عزرا حداد، بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥م، ص(٥١-٥٧).

صموئيل بن طيبون وناثان بن زكريا، وأسماؤهما منقوشة على لوحة الأستاذية بمدخل كلية الطب، ويضيف دالماس "أنه يوجد في متحف في الجامعة بعض الآثار عليها بعض الآيات القرآنية والأشعار العربية"[1].

أشهر علماء أهل الذمة في الأندلس وإنجازاتهم العلمية

١.هيروشيش (Paulus Horosius)

عاش الراهب بأولوس هيروسيس في أواخر القرن الرابع الميلادي وأوائل القرن الخامس، وهو من أصل روماني، ولد ونشأ في إسبانيا، وهنالك تلقى علومه اللاهوتية، ويضيف حسين مؤنس في ترجمته :" وكان راهباً شاهد دخول قبائل السويف (الوندال) إلى إسبانيا واستقرارهم بها ناحية الغرب، ثم فرّ خوفاً منهم إلى أفريقية سنة (٤١٥م)، وهناك لقي القديس أوغسطين فنصحه الأخير بالذهاب إلى بيت المقدس حيث اشترك في النزاع المذهبي الذي كان يفرق أهل الكنيسة شيعاً، وقد أخذ جانب القديس جيروم في أدائه، وهناك أخذ يكتب بادئاً رسالته المسماة كتاب المديح (Apologeticus Cantra Pelagium) في نقض مذهب بلاجيوس؛ فحنق عليه القساوسة، مما اضطره إلى الانزواء خوفاً منهم، ثم عاد إلى إسبانيا، ويبدو أنه مر بأفريقية ولقي أوغسطين مرة أخرى، وكان الأخير قد فرغ من كتابه (مدينة الله)، فقرأه هيروشيش وأعجب بما فيه، وأن ما أصاب الإمبراطورية الرومانية من تفكك واضطرابات إنما هو عقاب من الله سبق أن أنزل مثله على أمم انحرفت عن الطريق السوي فقرر هيروشيش كتابة رسالة يتوسع فيها في هذا الرأي ويفصله تفصيلاً فكتب كتابه المعروف بـ"كتب التواريخ السبعة في الرد على الوثنيين" [2] وجعله ذيلا لكتاب أستاذه آنف الذكر، وهذا الكتاب تاريخ للعالم القديم منذ بدء الخليقة حتى أيامه (٤١٦م).

ولقد مر بنا سالفاً كيف اهتم المسلمون بترجمة هذا الكتاب والإستفادة مما فيه من مادة تاريخية تتعلق بالعالم القديم والدولة الرومانية وأسبانيا القديمة، كما أنهم أخذوا منه آراء الأقدمين في صفة شبه جزيرة ايبيريا[3].

---

[1] حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ص(٩٨).

[2] مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص(١٨-١٩).

[3] العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، ص(٣٦٠).

٢.حفص بن ألبر القرطبي (**Hafs b. Alber**)

وهو من نسل وقلة بن غيطشه كما يؤكد المؤرخ ابن القوطية في كتابه تاريخ افتتاح الأندلس[١]، يقول عنه القرطبي :" اعلم يا هذا، أن هذا القس-حفص- هو من أكيسهم وأفصحهم"، ثم يضيف أنه :" قد نشأ في ذمة المسلمين، وتعلم من علومهم ما فاق به النصارى،ومع ذلك فإذا تكلم في علوم النصارى وأحكامهم تلجلج لسانه، وقصر بيانه، لأنه يترل على آرائهم الفاسدة"[٢].

ولحفص مجموعة من التواليف، منها كتاب (المسائل) وهو في الفقه والفتاوى والنوازل النصرانية، وكتاب (الحروف)، كما أن له نظماً شعرياً لمزامير داود-عليه السلام[٣]- على بحر الرجز المشطور[٤]، وهذا النظم محفوظ في مخطوطة بمكتبة أمبروسية في مدينة ميلانو الإيطالية[٥].

٣.ربيع بن زيد (**Recemundo**)

يعد ربيع بن زيد الأسقف - والذي تعرفه المصادر الأجنبية باسم ريكموندو[٦]- من أهم الشخصيات العلمية في الأندلس، وهو من كبار رجال الدين النصراني في بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر[٧] عينه الأخير أسقفاً لمدينة ألبيرة مقابل جهوده الجليلة في خدمة الدولة الأموية، ولقد أتقن ربيع اللغة العربية بصورة جعلت الأسقف يوحنا[٨] يستغرب من ذلك الأمر، ولقد شغل مناصب دبلوماسية للبلاط الأموي حيث كان سفير الناصر إلى هوتو الأول الإمبراطور الألماني.

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٧٥).

(٢) القرطبي، الإعلام، ص(٨٥).

(٣) يوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم Bit 1994 .

(٤) بحر عروضي وزنه (مستفعلن مستفعلن مستفعلن)،أنظر جلال الحنفي، العروض، تهذيبه وإعادة تدوينه، ط(٣)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص(٦٥٧). وسيشار إليه جلال الحنفي، العروض.

(٥) رقم هذه المخطوطة هو IX Teologia Gristiana n'86.

(٦) Levi-Provencal, **Histoire**, Tome(3), P.P(222-223).

(٧) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٨٧).

(٨) هو الأسقف يوحنا أسقف مدينة جورتسه (Gorze) بألمانيا، يقول انخل جونثالث بالنثيا :" ولدينا تاريخ حياة الأسقف يوحنا المسمى (Vita Joannis [Corgiensis] aultore Ut Videtur Attate s.Arnulpho Metis) أنظر بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٨٧).

برع ربيع بن زيد في علم الفلك، واختص بالخليفة الحكم المستنصر حيث وضع كتاب (تفاصيل الأزمان، ومصالح الأبدان)[1]، وفيه ذكر ربيع منازل القمر، وما يتعلق بذلك، كما أن له كتابٌ بعنوان (تقويم قرطبة) وهو "ثمرة تعاون بين الطبيب عريب بن سعد وبين ربيع بن زيد"[2] ويضيف المستشرق خوان فيرنيت " هذا الكتاب ترجمة إلى اللاتينية بعد قرنين من الزمان جيراردو الكريموني تحت عنوان كتاب الأنواء"[3].

٤.أبو زكريا حيوج

هو يهوذا بن داؤد الفارسي، وهو أحد تلاميذ الحاخام مناحيم بن سروق، الطرطوشي-أحد أعلام الأدب العبري في الأندلس خلال حكم الحكم المستنصر- وإلى أبي زكريا ينسب أول نحو علمي للغة العبرية ولقد وضعه باللغة العربية، لذلك لم يكن له صدى إلا بين يهود الأندلس[4].

٥.ابن جبيرول

عاش سلومون بن يهوذا بن جبيرول في الفترة (٤١١هـ-٤٦٢هـ/١٠٢١م-١٠٧٠م)، ويعتبره العديد من المؤرخين المعاصرين أول فيلسوف يهودي ظهر في الأندلس، أما المسلمون فيسمونه أبا أيوب سليمان بن يحيى، والنصارى يدعونه بأفيسبرون (Avicebron).

أخذ ابن جبيرول عن العرب الكثير من الآراء والأفكار الفلسفية، وألف كتاب(ينبوع الحياة) باللغة العربية، حيث تأثر بأسلوب الفيلسوف العربي ابن مسره[5]، ولم ينتشر هذا الكتاب بين اليهود بسبب لغته، وبسبب ما قاله فيه عن وحدة الوجود متأثراً بأفكار المسلمين كما يظهر الأثر العربي في العديد من مؤلفاته الصغرى مثل رسالته المسماة (كتاب إصلاح الأخلاق) وهي رسالة

---

[1] ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك، ت(٦٨٥هـ)، **ذيل على رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وأهلها**، ط(١) تقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٦٨م، ص(٢٧). وسيشار إليه ابن سعيد المغربي، ذيل على رسالة ابن حزم.

[2] فيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص(١١٦-١١٧).

[3] المصدر نفسه.

[4] بالنثيا، المصدر السابق، ص(٤٨٩).

[5] ابن مسرة : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله، متصوف وفلسفي أندلسي، من دعاة الاسماعلية- أحد فرق الشيعة- وهو من أهالي قرية، أنظر الزركلي، **الأعلام**، جـ(٦)، ص(٢٢٣).

في الأخلاق العلمية،وكتابه (مختار اللآلئ) وهي مجموعة من حكم فلاسفة اليونان والمسلمين، وكلا الرسالتين كتبتا باللغة العربية[1].

٦. يحيا بن يوسف بن قاقوذا.

وهو فيلسوف يهودي، عاصر ابن جبيرول وسماه الناس توماس دي كمبس (thomas de Kempis) اليهودي[2] .

اطلع يحيا على آراء فلاسفة المسلمين، وتأثر ببعضها بصورة واضحة، فمن خلال كتابه (الهدايا إلى فرائض القلوب) اقتبس يحيا أفكاراً كثيرة من كتاب (الحكمة في مخلوقات الله) للإمام أبي حامد الغزالي[3] ، ونقل العديد من آرائه ومعتقداته الخاصة في الأخلاق والتصوف[4] .

٧. إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي[5]

رحالة يهودي من أهل طرطوشة (Tarosa)، يسميه البعض إبراهيم بن يوسف[6]، وكتبه الآخرون إبراهيم بن أحمد[7]، قام برحلات إلى ألمانيا وبلاد الصقالبة وشمال أوروبا، وبحكم عمله في تجارة الرقيق الأبيض زار العديد من مدن تلك المناطق وتعرف عليها، ثم كتب عن رحلته رسالة قدّمها إلى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، وذكر بها عن مقابلته مع الإمبراطور أوتو الكبير على الأغلب.

استفاد العديد من جغرافي الأندلس أمثال أبو عبيد البكري والعذري وابن عبد المنعم الحميري على هذه الرسالة عند حديثهم عن بلاد وسط أوروبا وشرقها، يقول حسين مؤنس :" إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي رحّالة ولكن وصف رحلته أقرب إلى كتب البلدانيين والمسالكيين، فهو يذكر

---

(١) بالنثيا، المصدر السابق، ص(٤٩٣).

(٢) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٩٤-٤٩٦).

(٣) أبو حامد الغزالي : هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي، لقب بحجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته كانت في الطابران (قصبة طوس بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صفة الغزال، أو إلى غزاله (من قرى طوس). من كتبه إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، ومحك النظر، وغيرها. أنظر الزركلي، المصدر السابق، جـ(٧)، ص(٢٢-٢٣).

(٤) بالنثيا، ص(٤٩٧).

(٥) سبق التعرض له، أنظر ص(٤٩).

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص(٥١٢).

(٧) Hajji, At Turtushi , P.P(129-136)

البلدان ويصفها ويعدد حاصلاتها وما يتاجر به أهلها، ثم يذكر الطرق ومسافاتها بالأميال وكل ذلك بتفصيل واسع تتخلله معلومات هامة عن الأحوال والأوضاع الاجتماعية والسياسية"[١].

أطباء أهل الذمة في الأندلس

تعد حرفة الطب من أشهر ميادين العلوم برع فيها أهل الذمة في الأندلس، ولقد احترفها العديد منهم، وارتقوا بها حتى بلغوا المراتب العليا والمتقدمة في بلاط قرطبة، حيث اتخذ العديد من حكام البيت الأموي أطباء خصوصيين من الذميين، نذكر منهم طبيب الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر حسداي بن شبروط اليهودي[٢].

واتبع أطباء أهل الذمة الأساليب العلمية في المعالجة والكشف عن المرض، ووصف الدواء المناسب، بل إنهم برعوا في تركيب الأدوية المفردة والمركبة، كذلك اعتمدوا على مؤلفات الأقدمين من يونان ورومان وساروا وفق مناهجهم الوصفية والإرشادية، يقول ابن جلجل :" وكان يعول في الطب بالأندلس على كتاب مترجم من كتب النصارى"[٣]، وهو كتاب منقول عن اللاتينية يسمى الفصول أو المجموع (Aforismos)[٤] ومن أشهر من برع في الطب من أهل الذمة:

١. جواد الطبيب[٥]

وهو نصراني من قرطبة، عاش زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، كان طبيباً ماهراً، ومتمرساً في عمله، يقول عنه ابن جلجل :" وله اللعوق"[٦] وله كذلك " دواء الراهب والبسونات[٧] المنسوبة إليه وإلى الطبيب حميدين بن أبا[٨]"[٩].

---

[١] أنظر مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص(٧٩).

[٢] ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالمبتا، ص(٤٦٥)

Jackson, The Making Of Medieval Spain, P(30).

[٣] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص(٩٣).

[٤] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص(٤٨٥).

[٥] فورنيت، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ص(١١٦).

[٦] دواء خليط من أدوية عدة حسب الحاجة ممزوجة بسكر أو عسل أو غيره، وقد اشتهرت كلمة لعوق عند الأطباء في العصور الوسطى، ابن جلجل، المصدر نفسه.

[٧] الشرابات والسفوفات، المصدر نفسه.

[٨] أي من تربيته.

[٩] حمدين بن إبا : وذكر (ابان)ن كان في أيام الأمير محمد، وكان طبيباً حاذقاً و مجرباً، له بقرطبة أصول ومكاسب. أنظر الصفدي : صلاح الدين بن ايبك، ت(٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ط(٢)، اعتناء محمد الحجيري، دار =

ولقد كان لجواد في الأندلس " أصول ومكاسب، وكان لا يركب الدواب إلا من نتاجه[1]، ولا يأكل إلا من زرعه، ولا يلبس إلا من كتان ضيعته"[2].

٢. ابن ملوكه[3]

طبيب نصراني كان في أيام الأمير عبد الله (٢٧٥هـ-٣٠٠هـ/٨٨٨م-٩١٢م) وأول دولة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) وكان "صانعاً بيده، ويفصد العروق، وكان على باب داره ثلاثون كرسياً لقعود الناس"[4].

٣. يحي بن اسحق

من أصل نصراني، "كان طبيباً نبيلاً، عالماً، وحاذقاً بيده"[5] ، عاش زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي قلده مناصب عدة ومختلفة في الدولة منها خطة الشرطه الصغرى[6]، وخطة الوزارة[7]، كما ولاه على مدينة بطليوس[8].

وليحي كتب عدة ومختلفة أشاد بها المؤرخ ابن حزم الأندلسي قائلاً :" وأما الطب فكتب الوزير يحي بن اسحق، وهي كتب حسان رفيعة"[9].

٤. خالد بن يزيد بن رومان[10]

- فرانزشتايز، شتوتغارت، ١٩٩١م، جـ(١٣)، ص(١٦٦)، وسيشار إليه الصفدي، الوافي أحمد عيسى بك، **معجم الأطباء**، ط(١)، مطبعة فتح الله الياس وأولاده، مصر، ١٩٤٢، ص(١٧٩).

(1) ابن حلجل، **طبقات الأطباء**، ص(٩٣).

(2) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص(٤٨٥).

(3) يقول ابن جلجل :" كانت داره الدار المعروفة بدار خلف صاحب البُرُد والتي بالجُرف". أنظر ابن حلجل، **المصدر السابق**، ص(٩٧).

(4) ابن ابي أصيبعة، **المصدر السابق**، ص(٤٨٦).

(5) ابن حلجل، **المصدر نفسه**، ص(١٠٠).

(6) ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، ص(١٠٣). أحمد عيسى بك، **المصدر السابق**، ص(٥٠٩).

(7) ابن حيان، المصدر السابق، ص(١٨٢).

(8) بطليوس: مدينة بالأندلس من إقليم مارده، بناها عبد الرحمن بن مروان الجليقي باذن من الأمير عبد الله، وهي على ضفة نهرها الكبير. أنظر الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص(٤٦). الشريف الإدريسي، **صفة المغرب**، ص(١٨١).

(9) ابن حزم: أبو محمد بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت(٤٥٦هـ)، **فضائل الأندلس وأهلها**، ط(١)، تقديم صلاح المنجد، دار الكتاب الجديدة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص(١٨). وسيشار إليه ابن حزم. فضائل الأندلس وأهلها.

(10) ابن حلجل، **طبقات الأطباء**، ص(٩٦).

نصراني النحلة، برع في الطب وكسب منه الأموال والعقار، بنى الحمام المعروف باسمه، وكان "صانعاً بيده، عالماً بالأدوية، وظهرت منه في البلد منافع عديدة" ، كتب إليه الطبيب المصري.نسطاس ابن جريج رسالة في البول[1].

٥. يزيد بن خالد بن يزيد بن رومان

قال عنه ابن أبي أصيبعة :" خلف أباه في مهنة الطب واشتغل بها إلا أنه لم يكن ببراعة أبيه"[2].

٦. حسداي بن اسحق بن شبروط

يعد أبو يوسف حسداي بن شبروط من أشهر أعلام الطب عند اليهود في الأندلس، وهو من كبار أحبارهم[3]، خدم كلاً من الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ-٣٥٠هـ/٩١٢م-٩٦١م) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠هـ-٣٦٦هـ/٩٦١م-٩٧٦م) وكان طبيبهم الخاص، تدرج في المناصب الرسمية حتى أصبح أحد المتنفذين في البلاط الحاكم بقرطبة[4]، في عام (٣٤٧هـ/٩٥٨م) أرسله الخليفة الناصر لدين الله في مهمة دبلوماسية علاجية إلى الملكة طوطه (Tota) الوصية على عرش نفارة (Navarra)، وذلك لمعالجة حفيدها شانجه السمين (Sancho The Fat) من سمنته المفرطه، ولقد نجح في مهمته[5].

٧. حسداي بن يوسف[6]

يكنى أبا الفضل، وهو طبيب يهودي عاش في مدينة سرقسطه (Sargossa)، وهو من نسل النبي موسى -عليه السلام- عني بالعلوم المختلفة، فأتقن اللغة العربية، وبرع في الحساب والهندسة والموسيقي وتمرس بطرق البحث والنظر.

٨. مروان بن جناح الطبيب

---

(١) ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص(٤٨٦).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) Siger, The Jewish Ency. , vol (6), P(248).

(٤) S.M.Imamuddin, Apolitical History, p(146).

(٥) سبق الإشارة إلى هذه المهمة، ص(٤٧).

(٦) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص(٤٩٩).

عرفه المسلمون بأبي الوليد، أمّا النصارى فعرفوه باسم يونا (يونس) ومرينوس(Merinos)[1]، كان يهودياً، وله عناية بصناعة الكتابة، برع في المنطق، وأتقن اللغة العربية، وإليه يرجع الفضل في نشوء علم النحو في اللغة العبرية[2].

وضع مروان العديد من الكتب والمؤلفات، منها كتاب (التنقيح) وكتاب (المستحلق)، وهما باللغة العربية، كما له كتاب (التلخيص)[3] في الطب، وكان قد ضمنه أسماء الأدوية المفردة، وتحديد الأوزان والمكاييل المستخدمة في صناعة الطب، توفي سنة (٤٤١هـ/١٠٥٠م).

٩. اسحق بن قسطار[4]

طبيب يهودي، خدم كلا من مجاهداً العامري[5] وابنه إقبال الدوله علياً[6]، تبّصر في مهنة الطب، وأتقن خفاياها، كما برع في الفلسفة والمنطق واللغة، وكذلك أجاد فقه اليهود فأصبح حبراً من أحبارهم توفي بطليطلة سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٧م وله من العمر ٧٥ سنة.

١٠. منجم بن الفوال[7]

وهو يهودي من سكان سرقسطة (Sarragosa) تبحّر في الفلسفة والمنطق، وله من الكتب كتاب (كنز المُقل) على طريقة المسألة والجواب، ضمنه جملاً من قوانين المنطق وأصول الطبيعة.

---

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٤٨٩).

[2] يعرفه علماء اليهود بالأندلس بـ(جمل النحو العبري). أنظر، المصدر نفسه.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص(٤٩٨).

[4] المصدر نفسه.

[5] هو مجاهد بن يوسف (أبو عبد الله) بن علي العامري، يكنى بأبي الجيش، وهو مؤسس الدولة العامرية في دانية (Denia) وميورقة (Majorque) وأطرافهما، وفي الأصل ولد بقرطبة ورباه المنصور بن أبي عامر مع مواليه فنسب إليه، كان حازماً، يقظاً، شجاعاً، عارفاً بالأدب وعلوم القرآن نعته بعض المؤرخين بـ (فتى دهره وأديب ملوك عصره). أنظر ابن خلدون، العبر، مجلد (٤)،ص(٣٢٨-٣٥٣). ابن عذارى، البيان، جـ(٣)،ص(١٥٥-١٥٦).

[6] هو علي بن مجاهد العامري، ولي دانية بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، وتلقب بالموفق، اشتهر بحبه للعلم ولأهله. أنظر ابن عذارى، المصدر نفسه، جـ(٣)، ص(١٥٧)، ابن دحيه، المطرب، ص(١٣).

[7] ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص(٤٩٨).

الفصل السادس

العلاقات الخارجية بين بني أمية والممالك النصرانية المجاورة

أ–مع الفرنجة

ب–مع الممالك النصرانية في الشمال

ج–مع الإمبراطورية البيزنطية

- اثر العلاقات الخارجية على أهل الذمّة في الأندلس

أ–نشأت جيوب المقاومة العسكرية(الممالك النصرانية في شمال)

ب–ثورات المستعربين

ج–مساندة الذمّيين للخارجين على السلطة

اتصفت العلاقات الخارجية بين بني أمية في الأندلس و الممالك المجاورة بصفة الحيطة والحذر الشديدين، وتراوحت من وقت لأخر ما بين سلم وحرب ومعارك طاحنة بين الطرفين[1]. وبطبيعة الحال كان لهذه العلاقات آثارها الإيجابية و السلبية على الطوائف الذمية المعاهدة داخل المجتمع الأندلس.

و فيما يلي سنستعرض نماذج من هذه العلاقات مع الدول و الممالك النصرانية ،وما شابها من حروب أو علاقات سلبية و سفارات دبلوماسية، ومن ثم الحديث عن أثر هذه العلاقات على واقع أهل الذمّة في المجتمع.

أ- مع الفرنجة

نظر الفرنجيون بعين القلق والخوف إلى نشوء قوة إسلامية فتية ما وراء جبال ألبرت أو البرتات (Pyrnees) ، وما شكله هذا الأمر من تحدي وتهديد مستمرين لأمن وسلامة جنوب غاله (فرنسا حالياً)، فأخذوا على عاتقهم المبادرة بالهجوم على تجمعات المسلمين في الشمال الإسباني، وفي عام ١٤١هـ / ٧٥٩م [2]حدث أن وجه بين القيصر[3] (Pepin the short) حملة عسكرية إلى مدينة أربونه [4]؛ وبعد أن كان قد اتفق مع سكانها من النصارى على الثورة داخل أسوارها وفتح الأبواب للجيوش الفرنجية ، وفعلا تم لهم ما أرادوا ، وتمكنوا من السيطرة

[1] Jackson, The Making of Medieval Spain ,P (30)

[2] شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مطبعة عيسى بابي الحلبي، بمصر ص (١١٦) وسيشار إليه ارسلان ، تاريخ غزوات .

[3] بين قيصر : هو بين ابن شارل مارتل ، مؤسس السرة الكارولنجية ، تولى السلطة في غاله سنة ٧٥١م /١٣٣هـ ، وهو والد الإمبراطور شارلمان، إنظر نسيم، تاريخ العصور الوسطى ص(٨٩-٩٠).

Davis, Ahis. Med . Europe, P.P

[4] أربونه : (URBON) بلد من طرف الثغر من ارض الأندلس ، بينها وبين قرطبة على ما ذكر ابن الفقيه ألف ميل ، وهي آخر ما كان بيد المسلمين من مدن الأندلسونغورها مما يلي بلاد الفرنجة . انظر ياقوت لحموي ، معجم البلدان جـ (١) ، ص(١٤٠) ابن خرداذبه، المالك والممالك ، ص (٨٩) .

على المدينة ، حيث قام بالفتك بأهلها وتخريب مساجدها[1] ، بعد ذلك أخذ بيبن بالاتصال مع مسيحيي قطالونيا (Catalonia) وآرجون (Arigon) وتشجيعهم على توحيد صفوفهم ضد المسلمين[2].

وفي عام ١٥٤هـ/٧٧٢م تولى حكم غاله كلها أحد الأباطرة العظام، وهو الإمبراطور شارلمان أو شارل العظيم[3] ، والذي اتجه بأنظاره إلى الجنوب نحو أسبانيا محاولا اختراقها وإضعاف حكم المسلمين فيها ، وقد لاحت له الفرصة عام ١٥٧هـ/٧٧٥م عندما ثار والي سرقسطة الحسين بن يحيى الأنصاري[4] ، وسانده سليمان الكلبي[5] والي برشلونة ، فلقد تم الاتفاق بينهما على طلب العون والمساندة من شارلمان ، وفي ربيع سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م[6] رحل سليمان بن يقظان بصحبة عدد من رجاله للقاء شارلمان الذي استقبلهم في مدينة بادربون (Pader born)[7]، ورحب بهم قابلا عرضهم ، وقام الوفد بتسليمه قائد عبد الرحمن الداخل وهو ثعلبة بن عبيد الجذامي[8] المأسور لديهم، وذلك دليل على صدق نواياهم في الثورة.

قام شارلمان بتجهيز جيش كبير، وعبر به ممر الشيزري المعروف بممر رونسفال (Roncevalles)[9]، وعند وصوله إلى سرقسطة وجد واليها حسين الأنصاري قد ارتد عليهم واغلق أبواب المدينة متحصنا بداخلها ما اضطر شارلمان لمحاصرة المدينة،والتضييق عليها [10].

(1) S.M. Imamuddin , A political History , P.P(62.63)

(2) أرشيبالد لويس، **القوى البحرية**، ص(٢١٩).

(3) Davis, AHis. Med. Europe, P.P (142-143)

(4) هو حسين بن يحي ين سعد بن عبادة الخزرجي الأنصارى، أنظر المقري، **نفح الطيب**، جـ(٣)، ص(٤٨).

(5) هو سليمان بن يقظان الكلبي، أنظر المصدر نفسه.

(6) تختلف المصادر الأندلسية في تحديد سنة هذه الثورة فابن عذارى يذكرها في ١٦٥هـ/٧٨٢م. أنظر ابن عذارى، **البيان المغرب**، جـ(٢)، ص(٥٦). ويذكرها المقري في أحداث سنة ١٥٧هـ/٧٧٥م. أنظر المقري، المصدر نفسه. في حين نفهم من كلام ابن الأثير أنها كانت في ١٦٤هـ/٧٨١م. أنظر ابن الأثير، **الكامل**، جـ(٦)، ص(٦٣). و الحقيقة أن هذا الاختلاف راجع إلى امتداد هذه الثورة.

(7) تقع هذه المدينة في مقاطعة وستفاليا (Westphalia) في إمارة سكونيا. أنظر عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص(١٦٩).

(8) هو ثعلبة بن عبيد بن نظام الجذمي، من أهل الرأي والمشورة، كان من وجوه أهل فلسطين، أنظر المقري، **المصدر السابق**، جـ(٣)، ص(٤٥).

(9) Levi – Provencal, Histoire, Tome (1) P.P (123-124)

(10) مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة** ، ص(١٠٣).

وعندما طال حصار سرقسطة، اضطر شارلمان لفكه والعودة إلى بلاده فصحب معه سليمان الكلبي أسيرا، وفشلت هذه الحملة[1]، وفي طريق العودة ، أثناء عبور قوات الفرنجة باب الشيزري انقضت قبائل البشكنس المتعاونة مع المسلمين على مؤخرة الجيش منزلة به أكبر الخسائر[2] ، وكان ممن قتل في هذه الغارة القائد رولان (Roland) الصديق المقرب لشارلمان وأحد قادته الأكفاء [3] .

كان من نتائج فشل هذه الحملة أن اقتنع شارلمان بعدم جدوى الحملات العسكرية ضد المسلمين في الأندلس ، فطلب السلم والمهادنة[4]،ويذكر المقري أنه قامت معاهدة سلم بين الطرفين قائلا: (وخاطب عبد الرحمن الداخل قارله- شارلمان - وكان من طغاة الإفرنج بعد أن تحرش به مدة، فأصابه صلب المكسر تام الرجولة ، فمال إلى المداراة ، ودعاه إلى المصاهرة والسلم، فأجابه للسلم ولم تتم المصاهرة)[5].

ومع تولي الأمير الحكم الربضي (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦م-٨٢٢م) عاد خطر شارلمان الفرنجي بالظهور من جديد ، وذلك عندما قامت ثورة الاعمام سليمان وعبد الله -المعروف بالبلنسي[6]- وتوجها إلى بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج[7] ، وكان خارجا على الطاعة في الثغر الأعلى ،واتفقا على الاستنجاد بالفرنجيين ضد سلطة ابن أخيهم في قرطبة ، ذهب عبد الله البلنسي بنفسه إلى شارلمان وطلب منه العون والمساندة[8]، فرحب الأخير بهذا العرض وأوعز إلى ابنه لويس (Louis) حاكم مقاطعة أكويتانيا بالسير إليهم على رأس جيش جرار .

عبر لويس جبال البرت سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م، واستولى في طريقه على مدن جيرونده ووشقه، وكان الأمير الحكم الربضي قد سار على رأس جيش كبير إلى الشمال لرد هذا الخطر

---

(١) S.M Imamuddin, a Political History , P(63)

(٢) عنان، **دولة الاسلام في الأندلس** ، العصر الأول ، القسم الأول ص(١٧٨).

(٣) صيغت في هذا القائد ملحمة حماسية تعد من رائع الادب الفرنسي وهي انشودة رولان (Chansond Ronald). انظر **Lane - Poole , The Moorsin Spain , P(34)**

(٤) **Collin Early Medieval , P (186)**

(٥) المقرى، **نفح الطيب**، جـ(١) ، ص(٢٢٧).

(٦) عنان، **المصدر السابق**، ص(٢٢٧).

(٧) ابن الأثير، **الكامل**، جـ(٦)، ص(١٦٥). ابن سعيد المغربي، **المغرب**، جـ(١)، ص(٤٠).

(٨) **S.M. Imamuddin, O P .Cit , P (81)**

وتمكن من هزيمة الفرنجيين حيث انتهت ثورة الأعمام بمقتل سليمان وطلب عبد الله البلنسي الأمان [1].

وفي سنة ١٨٥هـ /٨٠٩م[2] سقطت مدينة برشلونة (Barcelona) ذات الموقع الاستراتيجي بأيدي الفرنجة ، ورغم محاولات الأمير الحكم الربضي استردادها فقد باءت هذه المحاولات بالفشل[3]

وفي عام ١٩٤هـ/٨٠٩م غزا الأمير الحكم الربضي أرض جليقة بنفسه بعد أن ورد إلى أسماعه استغاثة امرأة من ناحية وادي الحجارة وهي تقول (واغوثاه يا حكم ! قد ضيعتنا وأسلمتنا وانشغلت عنا حتى استأسد العدو علينا) فهب الحكم لنجدتها وتمكن من هزيمة الفرنجيين ، وإنقاذ المسلمين في تلك الناحية [4].

وفي عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م أخذ كونت طولوز الإفرنجي غليوم أو غلين ابن برنار [5] الأمان من الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢م) فأمنه وأكرمه، ثم أوعز إلى عامليه في طرطوشه وسرقطه بتقديم العون والمساعدة له في حربه ضد الفرنجيين.وقبيل وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط بسنوات قليلة ، وتحديدا سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م استقبل الأمير محمد سفارة من الإمبراطور شارل الأصلع[6] محملة بالهدايا، وجرت مفاوضات ودية بين الطرفين انتهت بعقد صلح بينهما ، ثم عاد السفراء إلى بلادهم محملين بالهدايا [7]، وكان للمجاهدين الأندلسيين نشاطا كبيرا ضد السواحل الفرنجية، فبعد وفاة الأمير محمد تجددت غارات البحريين الأندلسيين على سواحل بروفانس في جنوب فرنسا وذلك خلال حكم ولديه المنذر(٢٧٣هـ-٢٧٥هـ/٨٨٦م-٨٨٨م) وعبد الله (٢٧٥هـ-٣٠٠هـ/٨٨٨م-٩١٢م)، حيث استطاع هؤلاء المجاهدون سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م أن يؤسسوا قاعدة بحرية في خليج سانتروبيز (Saint Tropez)

---

[1] ابن الأثير، **الكامل**، جـ(٦)، ص(١٧٢).

[2] ابن خلدون، **العبر**، جـ(٤)، ص(١٢٥).

[3] المقري، **نفح الطيب**، جـ(١)، ص(٣٣٩).

[4] ابن عذارى، **البيان المغرب**، جـ(٢)، ص(٧٣).

[5] ذكره ابن حيان في كتابه المقتبس باسم غلي ال م بن برناطر بن غلي ال م. أنظر ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق مكي، ص(٣٠٢).

[6] أطلق ابن عذارى على هذا الإمبراطور اسم (قرولش). أنظر ابن عذارى، المصدر السابق، ص(١٠٨).

[7] **Hajji, And. Dip. Rel., P(120).**

أطلق عليها اسم قاعدة فرانكسيم[1] (Franxinetum) ، وقد امتاز موقعها بالإشراف على سهول بروفانس والحدود الإيطالية ، وفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م ، ونظرا لاستراتيجية قاعدة فرانكستيم حاول هوجو (Hugo) ملك إيطاليا وبروفانس مهاجمة هذا المعقل من ناحية البر والبحر معا، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل[2]، وفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، أرسل الإمبراطور الألماني أوتو الأول (Otto I) سفارة إلى بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر يدعوه فيها إلى التدخل والحد من غارات المجاهدين في فرانكستيم وكانت هذه السفارة برئاسة الأسقف جان دي جورز أو يوحنا الجورزي[3] (John Gorze) ، غير أن الناصر وبصيرة الدبلوماسي المحنك اعتذر عن هذا المطلب ، الذي قصد منه الإمبراطور الحاقد ضرب المسلمين ببعضهم البعض ، وأثارت العامة ضد الخليفة عبد الناصر[4] .

وفي سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م استقبل الناصر في بلاطه سفارتين إفرنجيتين، الأولى كانت من هيو العظيم (Hugh the great) من آل كابيه ، الذي كان متنفذا في الجزء الغربي من الإمبراطورية الكارولنجية، يقول ابن خلدون عن هذه السفارة (ثم جاء رسل ملك ... وآخر من ملك الفرنجة وراء المغرب ، وهو يومئذ أفوّه)[5]، أما السفارة الثانية فكانت من لويس الرابع من الأسرة الكارولنجية ، والذي كان يحكم الجزء الشرقي من أراضي الإمبراطورية، ويذكرها المسعودي بسفارة لذريق بن قارله أي لويس بن شارل البسيط[6].

ونستنج من فحوى هاتين السفارتين أن الغاية منهما كانت إقامة تحالف سياسي وكسب الشرعيّة في الحكم ، فلقد حاول هيو العظيم جلب عطف وتأييد ملوك الغرب الأوروبي إليه ، والاعتراف به ملكاً على الفرنجه ، ويبدو أن الملك لويس شعر بأن سفارة هيو قد حظيت بترحيب خليفة قرطبة فبادر بدوره بإرسال سفارة تشرح وجهة نظره كملك شرعي للفرنجه.

وتعددت السفارات بين لويس الرابع والخلفية الناصر ، حيث استمرت علاقة الود بين الجانبين ، ويبدو أن الناصر لدين الله قد مال لجانبه ، فيذكر لنا المسعودي في كتابه مروج الذهب أخباراً عن سفارتين قام بهما أسقف مدينة جيرونده المدعو عرمار ، كانت الأولى سنة

---

(1) Hajji, And. Dip. Rel., P(141).

(2) أرسلان، **تاريخ غزوات العرب**، ص(١٧٣). Davis, His. Med. Europe, P(168)

(3) ليفي بروفنسال، **حضارة العرب في الأندلس**، ص(٧٦).

(4) Hajji, Op.Cit, P(224)

(5) ابن خلدون، **العبر**، جـ(٤)، ص(١٤٣).

(6) المسعودي، **مروج الذهب**، جـ(٢)،ص(٣٦).

٣٢٨هـ /١٩٣٩م والثانية بعدها بأعوام قليلة[1]، وكانت مهمة هذا السفير التفاوض مع الخليفة عبد الرحمن الناصر لتمديد علاقة الود والصداقة بينهما ، وأن هذا الرجل نجح في مهمته ، وكسب صداقة ولي العهد الحكم المستنصر ، وكتب له كتاباً عن تاريخ ملوك الفرنجه أهداه إياه في سفارته الثانية ، وخلال حكم الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ -٣٦٦/٩٦١م-٩٧٦م) قدمت إلى قرطبه سفارتين من الملك هوتوملك الفرنجة، كانت الأولى في ذي القعدة من سنة ٣٦٠هـ/ أيلول ٩٧١م، يقول ابن حيان :-" ودخل بدخوله أيضاً اشراكه بن عمر (أوعم) داود القومس رسول هوتو ملك الفرنجه "،والثانية كانت في السبت ذي القعدة سنة٣٦٣هـ/٣١ يوليو ٩٧٤م ، " وتوصل أثره إشراكه رسول هوتو ملك الإفرنج ، فأوصل كتابه أيضا مجدداً لعهده ومؤكداً له" [2] ومن الواضح للعيان أن مصدر كلتا السفارتين هو بلاد الفرنجه زمن الملك هوتو[3]،وأن كلتاهما مثلهما السفير نفسه وهو المدعو اشراكه بن عمر ، ويذكر عبد الرحمن علي حاجي أن ابن حيان قد أخطأ باسم الملك المرسل لكلتا السفارتين ، وأن المقصود بهوتو هو الإمبراطور هيو كابيه (Hugh Capet) (٣٤٥هـ/٩٥٦م - ٩٩٦م) ابن الملك هيو العظيم مؤسس حكم أسرة آل كابيه في غاله - فرنسا - وذلك لأسباب عدة أهمها[4]:-

١- إن كلتا السفارتين حدثتا خلال حكم الإمبراطور هيوكابيه.

٢- يتضح من سياق الخبر عند ابن حيان أن وجود علاقة صداقة قديمة بين الأمويين في الأندلس والفرنجيين، وهي العلاقة التي دعا لها الإمبراطور هيو العظيم مع الخليفة الناصر في السفارة التي أشرنا إليها سابقاً، وأن هدف هاتين السفارتين كان تجديد وتقوية هذه العلاقة.

وفي عام ٣٨٥هـ/٩٩٥م سيَّر الحاجب المنصور بن أبي عامر أمير الأندلس لهشام المؤيد (٣٦٦هـ - ٤٠٠هـ /٩٧٦م - ١٠٠٩م) جيشاً إلى بلاد الفرنجة ونال منهم، وأوغل في

---

[1] ابن حيان، المقتبس، تحقيق حاجي، ص(١٦٨-١٦٩).

[2] المصدر السابق، ص(١٨٢).

[3] حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(١٣٠).

[4] Abderhaman Ali Hajji, Two unknown Embassies from Frankish Monarch to the Court of Cordoba during the reign of Al-HakamII.
بحث منشور في Islamic Quarterly, Islamic Cultural Center, London, Vol(10), Nos (1-2), 1966. P.P (24-27)

ويشار إليه Hajji, Two Unknown Embassies

ديارهم حتى أسر الملك غارسيّه بن شانجه حاكم نفارة، وفور عودته من هذه المعركة أهداه الشاعر أبو العلاء الربعي [1]أيلا[2] وكتب له الأبيات التالية (الطويل) :

يا حِرزَ كل مخوفٍ وأمانَ كل مشردٍ ، ومعزّ كل مُذَلّـل

جدواك أن تخصصَ به فلأهله وتعم بالإحسانِ كل مُؤَمل

ويضيف قائلاً :-

مولاي مؤنِس غُربتي، مستخطفي من ظفر أيامي، مُمتع معقلي

عبد رفعت بضبة، وغرسته في نعمته أهدى إليك بأيّلِ

سميته غرسيّه ، وبعثته في حليةٍ ليتاح فيه تفاؤلي

فلئن قبلت فتلك نعمةٌ أسدي بها ونعمة وتطول

فلقد سمى الشاعر هذا الأيل بغرسيّه تفاؤلاً بأسر ذلك الملك [3]

ب- مع الممالك النصرانية في الشمال[4]

كان لظهور الممالك النصرانية في شمال ايبيريا أثر كبير على السياسة الخارجية لبني أمية في الأندلس ، حيث اعتبرت مصدراً جديداً يهدد أمن واستقرار المدن الأندلسية القريبة ، ففي عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م حاول أهالي إليه(Alava) والقلاع (Castella) الخروج على طاعة الأمير هشام ، غير أنه نجح في اشتئصال شأفتهم وإخماد ثورتهم[5]، فقد أرسل قائده يوسف بن

---

[1] هو ابو العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي البغدادي، ورد على الحاجب المنصور سنة ٣٨٠هـ، أصله من الموصل، دخل بغداد وقرأ على شيوخ كبار. أنظر عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص(١٩-٢٠).

[2] من أنواع الغزلان البرية.

[3] ابن الأثير، الكامل، جـ(٩)، ص(١١٤).

[4] يقصد بهذه الممالك كلاً من مملكة ليون (اشتوريس) ونافاره وقشتاله . وسيرد لاحقاً لحول تأسيس هذه الممالك .

[5] منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس ، ص(١٨٩).

بخت [1] في جيش إلى جليقيه فلقى ملكهم برمتـــدو الأول (Bermundoi)،-أنظـــر ملحـــق رقم(٧)- وقاتله قتالاً شديداً وتمكن من هزيمته[2].

وفي عام ٢٢٨هـ/٨٤٢م قام غرسيه بن ونقه (Garcia Iniguez) المتغلـــب علـــى عـــرش البشكنس في نافاره (Navarra) بالتحالف مع الثائر موسى بن موسى ، ثم توجـــه إلى نافاره واحرز على البشكنس نصراً مؤزراً مما اضطرهم لطلب الصلح والأمان .

وفي عام ٢٦٨هـ/٨٨٢م سيّر الأمير محمد جيشاً بقيادة ابنه المنذر إلى مملكة ليـــون حيـــث جرت بينها مفاوضات انتهت بعقد هدنه لم تدم طويلاً ، فلقد أيّد أذفونش الكبير (AlfonsoIII)، بني قسي في ثورتهم ضد قرطبة، فجهز الأمير محمد جيشاً ثانياً لغزوهم غير أن الليونيين طلبـــوا الأمان من جديد وكان هذا الصلح أكثر جدية من ذي قبل[3]، فكان من نتيجة هذه الهدنـــه أن أرسل أذفونش سفارة إلى قرطبة ترأسها الأسقف (Dulicido) لتأكد هذا الصلح ونجح السفير في مهمته ، وعاد إلى أوبيط (Oviedo) عاصمة ليون يومئذ ، واصطحب معـــه في العـــودة رفـــاة ايولوخيو (Eulogio) عراب فتنة المستعربين [4] .

وتطلب الثغر الأعلى والشمال الإسباني جانباً من جهود الخليفة عبد الرحمن الناصر، فلقـــد دارت بينه وبين تلك الممالك النصرانية العديد من المعارك الطاحنة في أعوام (٣٠٢هـــ/٩١٤م)[5]و (٣٠٥هـ/٩١٧م)[6] و(٣٠٨هـــ/٩٢٠م)[7] وأكثرهـــا خطـــورة كـــانت في عـــام ٣٢٧هـ/٩٣٩م عندما خرج محمد التجيبي[8] حاكم سرقطه على طاعة الخليفة الناصر لديـــن الله وانضم إلى ردميرو الثاني (RamiroII) حاكم ليون ، والملكة طوطه الوصيّة على عرش نافـــاره في

---

[1] هو أبو الحجاج يوسف بن بخت ، دخل الأندلس في طلعه بلج بن بشر القشيري كان أحد القـــائمين بـــأمر عبـــد الرحمن بن معاوية فاستحجبه واستخلفه على قرطبه وقتاً من الزمن انظر ابن الأثير ، الحلة السيراء ، جـ (٢)، ص (٣٧٥)

[2] ابن الأثير ، الكامل ، جـ (٦) ، ص (١٢٤)

[3] عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، ص (٣٠٢).

[4] حاجي ، أندلسيات ، جـ (٢) ، ص (٧٤) .

[5] دوزي، المسلمون في الأندلس ، جـ(٢) ، ص (٢٣)

[6] S.M. Imamuddin, **Apolitical History**, P(142 – 143)

[7] Simonent, Historia de Los Mozarabes, Tome (1), P(459)

[8] هو محمد بن هاشم التجيبي ولاه الناصر لدين الله على سرقطه بعد وفاة والده هاشم انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقق شالمتيا ، ص (١٩٠).

حروبهم ضد السلطة في قرطبه ، فزحف الناصر على نافاره ونشر الرعب فيها حتى أن الملكة طوطه أسرعت إلى الخليفة وقدمت الخضوع والطاعة ، أثناء ذلك استطاع ردمير الثاني – أنظر ملحق رقم (٧)– أن يلم شعثه من جديد حيث التجأ إلى مدينه سمورة[١]، وهي مدينة في غاية الحصانة والمنعة ، عندها سيّر إليه الناصر جيشاً كبيراً، وجعل عليه مملوكه نجده الصقلي[٢]، فحاصر الجيش مدينه سمورة، وشددّ الضربات عليها لكنّ تخلي العديد من الجند العرب والبربر و وانسحابهم من جيش المسلمين عن نصرة نجدة الصقلي ، وتراجعهم عن المدينة نكاية بالصقالبة وكراهية فيهم عمّا حازوه من مكانة لدى الخليفة، كل ذلك أدى إلى هزيمة جيش المسلمين، فكثر فيهم القتل والأسر، وتردى العديد منهم من الخنادق التي تحيط بالمدينة حتى سميت هذه الموقعه بموقعه الخندق (Alhándaga)[٣]،ويبدو أن الهزيمة في موقع الخندق لم تكن بالأمر الهين على المسلمين[٤]، لذلك صمم الخليفة عبد الرحمن الناصر على القصاص من أسبابها فما أن كاد يصل الجيش إلى قرطبة حتى أمر بصلب ثلاثمائة فارس، وأعاد تنظيم الجيش من جديد، وبعثه لقتال نصارى الشمال تحت إمرته. في تلك الأثناء توفي الملك ردمير الثاني ،وتنازع أبناؤه آردون الثالث (Ordono III) وشانجه السمين(The Fat Sancho) –انظر الملحق رقم (٧)– على العرش، وتمكن آردون من تولي الحكم ،فعقد صلحا مع الخليفة الناصر لدين،وبعث إليه بسفارة سنة ٣٤٣هـ /٩٥٥م يخطب بها وده،راغبا بعقد معاهدة سلم معه ، فتم له ما أراد،ونظرا لأهمية هذه المعاهدة أرسل الناصر

---

(١) سمورة(Zamora) :– دار مملكة الجلالقه ، على ضفة نهر كبير جداً ، كثير الماء، شديد الجريان ، عميق القعر ،بين بينها وبين البحر ستون ميلا ، وهي مدينة جبلية ، وقاعدة من قوائمهن قواعد الروم . انظر الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ،ص (٩٨–٩٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص(١٠٦).

(٢) هو ابو الوليد نجده بن الحسين الصقلي ، مولى الخليفة الناصر لدين الله ، ولا عدة مناسب في الدولة منها خطة الخيل والشرطة العليا وقيادة الجيوش. انظر ابن حيان المصدر السابق ،ص (٣٣٠).

(٣) المسعودي ، مروج الذهب، جـ (٢) ، ص (٣٨) ابن خلدون ،العبر ، جـ (٤)، ص(١٣٧–١٤٠) .

(٤) يعلق ابن الخطيب على هذه الهزيمة قائلا :"ان طائفة من جندا لناصرالدين الله حسدنته على ما هيأه الله من الصنع له ،و لم تناصحه في الحرب حتى النصح فجالت داخل مصاف القتال وجرت الهزيمة على المسلمين بسببها".انظر ابن الخطيب، **أعمال الاعلام**،ص (٣٧).

في السنة التالية سفارة جوابيه تكونت من محمد بن حسين[1] وحسداي بن شيروط اليهودي، فعادا إلى قرطبة يحملان كتاب آردون إلى الناصر يؤكد فيه أهمية الصلح بين الطرفين ،ونستنتج من النص الذي أورده ابن عذاري انه قد حضر برفقة الوفد الأندلسي العائد من ليون سفارة ليونية ثانية لإتمام المفاوضات النهائية والمصادقة عليها فيقول:-"وفيها — سنة ٣٤٥هـ/٩٦٥م -قدم محمد بن حسين رسولا كان من الناصر إلى الطاغية آردون بن ردمير ملك جليقية،ومعه حسداي بن شيروط اليهودي بكتابة إلى الناصر راغبا في الصلح ، فأسعفه إلى ذلك على اختيار ولده الحكم ،واشترط على الطاغية شروطا ، وانصرفت رسله بذلك"[2].

بعد وفاة آردون الثالث خلفه أخوه شانجه السمين -انظر الملحق رقم(٧) الذي نقض المعاهدة آنفة الذكر ، غير أن أشراف ليون خرجوا على طاعته وطردوه من الديار لأسباب أهمها سمنته المفرطة ،ونصبّوا بدلا عنه ابن عمه آردون الربع (Ordono IV)المعروف بالردئ (el Malo)[3] فالتجأ الملك المخلوع إلى جدته الملكة طوطة وصية عرش نافاره ،واتجهت أنظارهم إلى قرطبة لطلب العون والمساعدة في إعادته لعرش ليون ،فبعث إليهم الخليفة الناصر لدين الله سفيره وطبيبه الخاص حسداي بن شيروط ،الذي تمكن من إتمام مهمته العلاجية والدبلوماسية بنجاح تام، وأقنع الملكة بضرورة زيارة قرطبة والالتقاء مع الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وتم ذلك سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م [4]حيث حضرت الملكة برفقة ولدها غرسية وحفيدها شانجة السمين ،واستقبلها الناصر بمجلس المؤنس في قاعة السفراء ،ووافق الناصر على تقديم العون والمساعدة لهم في المقابل التنازل عن بعض الحصون الاستراتيجية، ولما توفي الخليفة الناصر ظن شانجة أن الظروف قد تغيرت ،وأن ذهاب الناصر يبيح له التحلل من تنفيذ عهوده فأخذ يماطل ويسوّف في تسليم الحصون المتفق عليها ،فقرر الحكم المستنصر أخذ حقه بالقوة ،.فأمر بتجهيز العدة لغزو نافاره، في ذلك الوقت وفد عليه الملك آردون المخلوع، فاستقبله الحكم استقبالا

---

[1] هو ابو عبد الله محمد بن حسين بن أسد بن مالك التميمي الحماني الزباني وقيل أبو مضر من طينة من أرض السواب ،دخل الأندلس سنة ٣٢٥ هـ،وكان شاعرا عالما بأخبار العرب وأنسابهم ،عاش حتى سنة٣٩٤ ه،انظر الحميدي ،**جذوة المقتبس** جـ(٢)، ص(١٣٣).ابن الفرضي ، **تاريخ علماء الأندلس** ،جـ(٢)، (٨٠٩).

[2] ابن عذارى ، **البيان المغرب** ، جـ(٢٢)،ص(٢٢١).

[3] المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(٢٥٢).

[4] دوزي، المسلمون في الأندلس،جـ(٢)،ص(٥٣-٥٤).

حسنا[1] ، ووعده بتقديم العون والمساعدة له في استرداد عرشه مقابل تسليم الحصون والقلاع المتفق عليها سابقا ،إضافة إلى موالاته للمسلمين، ودفع الجزية لهم ، وقام آردون بتقديم ولده غرسية رهينة عند المسلمين ، وانصرف معه وجوه نصارى الذمّة بقرطبة منهم وليد بن مغيث قاضي العجم ، واصبغ بن عبد الله بن نبيل –جاثليق، وعبد الله بن قاسم مطران طليطلة، وذلك حتى يقبضوا الرهن المتفق عليه كان ذلك في سنة ٣٥١ هـ/٩٦٢م[2] ،ولما علم شانجه بالأمر عاد إلى صوابه ،وأسرع بالاتصال بالحكم المستنصر مبديا استعداده لتسليم الحصون ،لكن وفاة آردون الرابع قطعت هذه الاتصالات وعاد شانجه لمحاربة قرطبة متحالفا مع غرسية الأول حاكم نافاره وفرناند جونثالث حاكم قشتاله[3].

عج بلاط الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ هـ-٣٦٦ هـ/٩٦١م-٩٧٦م)بالعديد من السفارات والوفود الدبلوماسية من ملوك وأمراء الممالك النصرانية في الشمال، ففي الرابع من رمضان سنة ٣٦٠ هـ / الأول من تموز ٩١٧م استقبل الخليفة في بهو السفراء المخصص في قاعة الاستقبال الشرقية بالقصر الخليفي بمدينة الزهراء وفداً من بوريل (Boreel) حاكم برشلونة والذي أرسل إليه رسالة يبدي بها رغبته في إقامة صلح وسلام مع قرطبة ، فوافق الخليفة على طلبهم ، وأبرم معه معاهدة سلام[4]، وبعدها بأيام قليلة استقبل الحكم سفارة غندشلب (Menedez Gonzalo) حاكم جليقية يخبره فيها بغزو النورمان لسواحل الأندلس الغربية ويحذره [5]، وفي يوم السبت –١٦ شوال من السنة نفسها / ١١ آب- جلس الخليفة على عرشه في البهو الشرقي كعادته لاستقبال سفراء عدد من الدول النصرانية وكان يحيط به كالعادة الحجاب والوزراء وكبار رجالات الدولة ، إضافة إلى عدد من رجال الدين النصراني والمستعربين الذين قاموا بدور الترجمة لهذه السفارات فاستقبل بداية سفراء شانجة الثاني (Sancho Garces II) ملك نافارة ، وتكون الوفد من رسولين مع كل منهما اثنان من نبلائهم برفقة مجموعة من الأساقفة والقواد واستقبل بعدهم رسول ألبيرة (Elvira) الوصية

---

(١) ابن خلدون، العبر،جـ(٤)،ص(١٤٥).

(٢) حاجي،أندليسات،جـ(٢)،ص(٨٥) .

(٣) O' Caloghan, A History of Medieval Spain, P (125)

(٤) المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(٣٦١).

(٥) ابن خلدون، المصدر نفسه.

الوصية على عرش ليون[1]، ثم إستقبل رسول (Fernana Lainez) حاكم سـلمنقة[2]، ثم غارسية فرناندز (Garcia Fernandez) سفير غارسية بن أتون (Garcia b.Aton) حـاكم قشتالة[3]، وكانت هذه الاستقبالات تتم كل على حده حسب تاريخ وفودها إلى قرطبة وذلك تكريماً وتقديراً لسفارتهم .

ومن أغرب السفارات التي وردت على الخليفة الحكم سفارتين ، الأولى كانت في ١٧ صفـر سنة ٣٦٣ هـ / ١٧ تشرين ثان ٩٧٣ م ، كانت من البيرة وصية عرش ليون ، وكان يصحـب السفراء أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضي النصارى بقرطبة كمترجم لهم ، فبدأ الرسـل حديثـهم بألفاظ جافة وغليظة ، مما حدا بالخليفة الحكم إلى استنكار هذا التصرف الغريب وربما المدبر، ونهـر الخليفة المترجم، وطرده وأنهى المقابلة طالباً من السفراء الانصراف ، بعد ذلك أصدر أمـره بعـزل القاضي أصبغ من منصبه، واعتباره شريكاً في هذا التصرف ، وأصدر أمره إلى الفقيـه أحمـد بـن عمروس وعبيد الله بن قاسم مطران أشبيلية بالتوجه إلى بلاط ألبيرة بصحبة وفدها العائد في مهمـة للاحتجاج على تصرف الوفد الليوني[4].

أما السفارة الثانيه فهي من غارسية فرنانديز حاكم قشتاله وكانت مهمة هذه السفارة علـى وجه الظاهر تاكيد علاقات الصداقه السلام فوصل الوفد إلى قرطبه واستقبلهم الخليفـه الحكـم في حفل مهيب كعادته، وانصرفوا من المجلس بعد أن زودهم بالهدايا ، وفي ٢٠ من ذي الحجـه ٣٦٣ هـ/ أوائل أيلول ٩٧٤ م تركوا قرطبة عائدين إلى وطنهم[5].

وفي السبت ٢١ من ذي الحجه وصل الخبر إلى الخليفه يخبره بقيام حاكم قشتاله بالتعدي علـى أراضـي المسـلمين ، وأنـه تقـدم حـتى مدينـة سـالم[6] (Medinaceli) ، واقتحم حصن دسه (Deza) ، الذي يقع في أراضي الثغر الأعلى فما كان من أمـر السـلطة في قرطبه الاّ ان دهشت لهذا التناقض في المواقف ، وأرسل الخليفة في أثر الرسل لإعادتهم إلى قرطبـة،

---

(١) Dazy, Spanish Islam, P(453-454).

(٢) حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٩٦).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) حاجي ،المصدر السابق،ص(١٠١-١٠٢)

(٥) ابن حيان،المقتبس ،تحقيق حاجي ،ص(١٨٨ـ١٨٩)

(٦) مدينة سالم :ـ مدينة بالأندلس تتصل باعمال بادوشة ، كانت من أعظم المدن وأشرفها وأكثرها شجرا وماءا ،انظـر ياقوت الحموى ،معجم البلدان جـ(٣)،(١٧٢).

لكنهم رفضوا ذلك، وهمّوا بقتل المبعوث ، عندها أرسل الخليفة قائده أفلح رئيس الفرسـان[1] في مجموعة من الجند يزيدون على الثلاثين، ولحقوا بهم حتى تمكنوا منهم وأعادوهم إلى قرطبة حيث سجنوا[2]. تولى الحكم بعد الخليفة الحكم المستنصر ابنه هشام المؤيد، الذي كان صبياً قاصراً لم يقـو على القيام بالحكم وحده، وتولى الحاجب محمد بن أبي عامر تسيّير الأمور، وسيطر الحاجب على مقاليد الحكم، فجمع بيديه سلطتي القلم و السيف، وتلقب بالمنصور، وحتى يدعم نفـوذه بعمـل يكسبه الشرعيّة في الحكم والقبول لدى الناس، دعا المنصور إلى الجهاد في سبيل الله.

فاخذ يغزو بنفسة الممالك النصرانية المجاورة، وكانت له في السنة غزوتان- صائفـة وشـاتية- باشرها كلها بنفسه رغم مرضه بعلة النقرس[3] ،ولقد بلغت هذه الغزوات اكثر من خمس وأربعـين غزوة لم ينهزم في واحدة منها قط طوال فترة حكمة البالغة خمساً وعشرين سنة[4] ، ويـروى ابـن عذاري أن المنصور اهتم بجمع ما علق بوجهة من غبار المعارك ، وجمعه في مناديل حتى اجتمع لـه منها صرة ضخمة، وقد عهد بتصييرها في لحده عند موته ، حيث كان يصحبها مع أكفانه في كـل غزاة قام بها لحلول منيتة فيها[5].

ومن الغزوات التي قام بها الحاجب المنصور ضد ممالك النصارى، الحملة التي شنها سنة ٣٧٤هـ/٩٨٥م على كل من برشلونة وقطالونية في شمال شرق الأندلس، فقد خرجت هذه الحملة من العاصمة قرطبة ، وسارت على طريق البيرة وبسطة ثم مرسية، ومن هناك توجه شمالا إلى الطريق الساحلي الشرقي حتى بلغ برشلونة بعد شهرين تقريبا، فقلب عاليها سافلها ولم يجرؤ حاكمها بريل الثاني على مواجهته[6].

وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م سيّر المنصور حملة عسكرية إلى جليقية في شمال غرب أسـبانيا ، كانت وجهتها السيطرة على مدينة شنت ياقب المقدسة، وكان الهدف من هذه الحملة الوصـول إلى كنيسة سانت ياجو(القديس يعقوب الحوارى) وهدمها، ولقد اشترك في هذه

[1] ابن حيان ،المقتبس،تحقيق حاجي، ص(١٨٩).

[2] حاجي، المصدر السابق،ص(١٠٣ــ١٠٥) .

[3] العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص(٢٤٢-٢٤٤).

[4] دوزي، المسلمون في الأندلس، جــ(٢)، ص(١١١).

[5] ابن عذارى، البيان المغرب، جــ(٢)، ص(٢٨٨).

[6] دوزي، المصدر السابق، ص(١٢٢).

الحملة الأسطول الأندلسي، الذى حمل المشاة والأسلحة والقوات، وأقلع من ميناء أبي دانـــس[1] (Alcacerdesal) على ساحل غرب الأندلس ،بينما سار المنصور برا مخترقا الأراضي الإســـبانية الشمالية حتى بلغ نهر دويره (Dureo) ، وهناك التقى بأسطوله الذي دخل النهر،وجعل من قطعـه جسرا لعبور الجنود،ثم زحف المنصور بفرسانه مخترقا أرض العدو حتى بلغ المدينة المقدسة فوجـد سكانها قد فروا منها خوفا وهلعا من المسلمين ،عندها أمر المنصور بتدمير الكنيسة وتخريبها لكنـه حافظ على قبر الحواري يعقوب ، ومنع أن يمس بضر ،ومن ثم عاد إلى قرطبة محملا بالأســرى والغنائم التي كان من ضمنها أبواب الكنيسة المهدمة ونواقيسها التي استخدمت في توسعه جـزء من جامع قرطبة[2].

ويورد لنا ابن الخطيب خبرا عن صائفة للمنصور وقعت سنة ٣٩٠هـــ/١٠٠٠م وعرفـت بغزوة جربيرة ،كان الهدف منها تأديب ملوك النصارى على خرقهم لهدنة كانوا قد عقدوها معه ،وانهم أخذوا بتجميع قواتهم لحربه،فجهز المنصور حمله عسكرية ضخمة قادها بنفسه وسار إليهم وحاربهم حتى تمكن من هزيمتهم[3] ،ويضيف ابن الخطيب قائلا:"وألح (المنصور)علـى ملـوك قشتاله بالغزو، توالى عليهم الصوائف والشواتي حتى أذعنوا..لقد تقرب إليه بعضهم بإهداء ابنته فتقبلها المنصور حسن القبول وتزوجها وأحسن إسلامها ،وكانت من خـيرات نسـائه دينـا وحسبا ،وأنجبت له ولده عبد الرحمن الملقب بشانجول "ثم يضيف "وورد أبوها –شانجة –الملـك على بابه زائرا ومستصرخا ،فخرج عبد الرحمن ابن المنصور حفيد الملك الوارد –ابن ابنتـه– إلى لقائه بالجيوش والابهة المفخمة، طفلا يرقد في السرج،فترل جده وقبّل رجله ويديه"[4].

وعن جهود المنصور الحربية يقول عبد الواحد المراكشي :"وملأ–المنصور–الأندلس غنـائم وسبايا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم "[5].وذلك إشارة إلى كثرة انتصاراته عليهم.

---

[1] يقع غربي الأندلس، فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم سنة ١٦٤هـ وهو ينسب إلى إقليم القصر. أنظر الحميري، **الروض المعطار**، ص(٤٧٥). الشريف الادريسي، **صفة المغرب**، ص(١٧٥).

[2] دوزي، **المسلمون في الأندلس**، جـ(٢)، ص(١٤١).

[3] **المصدر السابق**، ص(٦٦).

[4] **المصدر نفسه**.

[5] عبد الواحد المراكشي،**المعجب**،ص(٢٦).

جـ) مع الإمبراطورية البيزنطية

اتخذت العلاقة ما بين الحكومة في قرطبة وما بين الدولة البيزنطية بالطابع الدبلوماسي السلمي، وعقد معاهدات الصداقة، وتبادل الوفود،ولقد لعبت عدة عوامل دورا هاما في رسم هذه العلاقة ،منها العامل الجغرافي ،حيث كان لبعد المسافة ما بين الإمبراطورية البيزنطية القابعة إلى الشرق من القارة الأوربية وبين الدولة الإسلامية في الأندلس في أقصى الغرب الأوروبي ووجود دول وحواجز مانعة بينهما أثرا كبيراً في عدم تهديد كل منهما للآخر ،أضف إلى ذلك العامل السياسي ،فقد ظهرت الدولة الإسلامية في أسبانيا إلى حيز الوجود في وقت كان العداء على أوجه بين بيزنطة والخلافة العباسية في المشرق من جهة ،وبينهم وبين المسلمين في جزيرة اقريطش [1] (كريت) والأغالبة[2] في الشمال الإفريقي من جهة أخرى ،عندها أخذ البيزنطيون يسعون إلى التحالف مع حليف قوي، وجدوه في كيان الدولة الأموية في الأندلس .

بدأت هذه العلاقة عندما تبوأ عرش بيزنطة الإمبراطور يثوفيل (٢١٤هـ-٢٢٨هـ/٨٢٩م-٨٤٢م)،أما في بغداد فكان على عرش الخلافة المعتصم بالله ابن هارون الرشيد (٢٠٠-٢٤١هـ/٨١٥م-٨٤٧م)،وحدث أن قام الأخير باجتياح الأراضي البيزنطية سنة ٢٢٣ هـ/٨٣٨م وحاصر مدينة عمورية[3] (Amorium) التي سرعان ما استسلمت له فأحرقها ودكّها عن بكرة أبيها[4]،في الوقت نفسه كانت غارات عرب جزيرة اقريطش (كريت) على السواحل البيزنطية[5] تشكل تهديدا مستمرا لأمن بيزنطه،في وقت أوشكت فيه جزيرة صقليه[1]

---

[1] جزيرة اقريطش (كريت)وهي من جزر بحر الروم -البحر المتوسط-وبها من معادن الذهب الشيء الكثير وهي جزيرة آهلة بالسكان كثيرة الخصب ،انظر الحميري، **الروض المعطار** ،(١٥).ابن الوردي، **خريدة العجائب** ،ص(١٤٧)،الاصطخري،**المسالك والممالك**،ص(٥١).

[2] **الاغالبية**:- نسبة إلى ابراهيم بن الاغلب الذي نجح في أقامة حكم مستقل له ولعائلته بتبعيته ألإسمية للخلافة العباسية في بغداد. للمزيد من التفاصيل انظر ابن خلدون، **العبر**، جـ(٣)، ص(١٠٠-١١٤)

[3] عموريه:- من بلاد الروم، وهي مدينة كبيرة ومشهورة، توالت الفتوح عليها وقت الدولة الأموية، ولهما سور حصين، وكان لها رضيف إلى سائر البلاد والمجاورة لها والمتباعدة عنها ،منها طريق إلى طرسوس ،وبين عمورية والخليج ١٧٥ ميلا ،انظر ياقوت الحموي ،**معجم البلدان** ،جـ(٤)،ص(١٥٨).

[4] ابن الاثير ،**الكامل** ،جـ(٦)،ص(٤٨٣-٤٨٥).

[5] وصف الاصطخري سكان اقريطش قائلا:"جميعا مسلمون أهل غزو ".انظرالاصطخري **المسالك والممالك**،ص(٥١). في حين يصفهم ابن حوقل بالهم في غاية الجهاد "ولم يكن للنصرانية فيها (اقريطش)مدخل ولها مخرج ".انظر ابن حوقل ،**صورة الارض**،ص(١٨٤).

صقليه[1] الاستراتيجية أن تصبح في ايدي الأغلبية،هذه الظروف مجتمعة أجبرت الإمبراطور البيزنطي أن يبحث عن حليف يقوي به مركزه المنهار فأرسل أول سفير إلى بلاط قرطبة، يدعى (قراطيوس)،وكان يجيد العربية ،وقد حمل هذا الرسول رسالة من سيده مبينا فيه رغبته في عقد صلات الود والصداقة مع قرطبة ،فرحب به الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٣٨هـ/٨٢٢م-٨٥٢ م) ،وكان وصول هذه السفارة سنة ٢٢٥ هـ/٨٤٠م[2] ،وفي هذه السفارة حاول الإمبراطور ثيوفيل إيغار صدر أمير الأندلس ضد العباسيين وتحريضه على استعادة أملاك أجداده الأمويين في الشام ، مقللا من شأن كل من المأمون والمعتصم حيث نعتهما بابني ماردة ومراجل،ويطالب لنفسه بجزيرة اقريطش التي الربضيون بقيادة أبي حفص الأندلسي[3] سنة ٢١٣ هـ/٨٢٨ م.

مكث سفير ثيوفيل في بلاط قرطبة عدة أيام ،محاطا بسبل الراحة والترحيب ،بعدها عاد إلى قراطيوس ومنها إلى القسطنطينية مصحوبا بسفيرين من أصدقاء الأمير الأموي هما الشاعر يحي الغزال والأخر اسمه يحيى ايضا[4]، وكلفا بإعطاء الإمبراطور جواب سيدهما،الذي حاول من خلاله استخدام الدبلوماسية والمجاملة الحذقة في التخلص من دعوة يثوفيل له بحرب الأغالبة[5] ،وأبدى له عواطفه تجاه ما قدمه له ،غير انه لم يرتبط باتفاق أو بعهد يلتزم بتنفيذه.

أما بالنسبة إلى عرب اقريطش فقد تخلص الأمير من أعمالهم بلباقة متناهية،ولم يعبأ بثوفيل بمحاربتهم لأنه مسلم مثلهم ، وإن كانوا قد أعلنوا العصيان عليه في يوم من الأيام ،وألقى مسؤولية أعمالهم على أنفسهم ،وعلى أسيادهم الجدد-العباسيين-ولم تثمر هاتين السفارتين إلا عن تبادل العواطف والود بين الطرفين، واستقبل عبد الرحمن الناصر سفارة بيزنطية بترحاب كبير

---

[1] صقلية:-اكبر جزر بحر الروم -البحر المتوسط-وهي معموزة بالسكان، وهي قريبة من الافرنجة حيث يرى منها ارضهم وتثمر الزرع بها .انظر ابن الفقيه، **كتاب البلدان** ،ص(١٩٠).ابن الوردة ،**خريدة العجائب**،ص(٨٩).

[2] ابن خلدون ،**العبر**،جـ(٤)،ص(١٦٦) .

[3] هو عمر بن شعيب وتسميه المصادر البيزنطية(**Apocapso**).انظر أمين توفيق الطي،**إمارة عربية أندلسيه في جزيره اقريطش**،بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ،اتحاد مؤرخي العرب،بغداد(٢٨) ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[4] محمد خالد مصطفي المومني ،**الفقهاء وثورة أهل الريض في الأندلس** ،رسالة ماجستير،الجامعة الاردنية،١٤١٦هـ-١٩٩٥ م،ص(٢٣٢).وسيشارإليه المومني ،الفقهاء.

[5] ليفي بروفتسال،**الاسلام في المغرب والأندلس**،ص(١٠١-١٠٥) .

سنة ٣٣٨ هـ/٩٤٥ م بعثها الإمبراطور قسطنطين السابع ،وفي سنة ٤٣٢ هـ/٩٤٩م بعث الناصر سفارة جوابية إلى القسطنطينية.

كان هدف السفارتين أن الإمبراطور البيزنطي فكر وقتذاك في إعداد حملة كبيرة ضد جزيرة اقريطش (كريت)،فأراد بهذه السفارة أما أن يحصل غلي تأييد الناصر لدين الله أو على الأقل يضمن حياده[1].

أثر العلاقات الخارجية على أهل الذمّة في المجتمع الأندلسي

كان من أمر هذه الحروب والعلاقات الدولية التي نشأت ما بين السلطة المركزية في قرطبة وبين جارتها من الدول والممالك النصرانية أن أثرت على المجتمع الأندلسي بصورة عامة وعلى أهل الذمّة بصورة خاصة ،والسبب في ذلك يعود إلى وجود عوامل مشتركة بينهم وبين الذمّيين ومن هذه العوامل الديانة واللغة والعادات والتقاليد إضافة إلى عدم رغبة الذمّيين ببقائهم تحت الحكم الإسلامي، ومن أهم التأثيرات التي نتجت عن هذه العلاقات مايلي:

أ- نشأت جيوب المقاومة العسكرية(الممالك النصرانية في الشمال).

ب- ثورات المستعربين.

جـ- مساندة الذمّيين للخارجين على السلطة.

وفيما يلي عرض مفصّل لهذه التأثيرات:-

١- نشأت جيوب المقاومة العسكرية(الممالك النصرانية في الشمال)

بدأت جيوب المقاومة النصرانية ضد حكم المسلمين بالظهور مع بدايات استقرار المسلمين في شبة الجزيرة الإيبرية،وبعد أن استيقن سكان البلاد أن الهدف من الفتح الإسلامي هو ضم إيبريا إلى الدولة الإسلامية، وتأسيس حكم للعرب والمسلمين بها.

كانت بداية هذه الجيوب عبارة عن تجمع محدود من الرجال الذين اعتصموا بجبال كنتبرية(Cantabria)[2] في منطقة اشتوريس(Asturias) الشمالية من أسبانيا تحت قيادة رجل اسمه

---

(١) **Burry,Camb.Med.His,VoL(4),P(66).**

(٢) جبال كانتبرية:ـــ هى المرتفعات الشمالية الغربية لشبة جزيرة إيبريا،تتصف بالعلو والوعورة وكثرة الأخاديد.انظر ابن الوردى،خريدة العجائب،ص(٢١٤)

بطرة[1] (Pedro)،وتجمعت أعداد أخرى في المرتفعات الشمالية في كهف عرفه مؤرخو الأندلس بالصخرة أو صخرة بلاى[2](Penade pelayo)، وتذكره المصادر الإسبانية بكهف أونجا (Onga) أو كوفادونجا(Covadouge)[3] بقيادة زعيم يدعى بلاى أو بلاية(Pelayo)، ولقد بدأ بلاى بالتجمع هو وأتباعه حوالي سنة٩٨هـ/٧١٨م تقريبا،وكانوا قرابة الأربعين نفرا،ثلاثون رجلا وعشر سيدات، ولقد كان بعد هذا الملجأ عن طريق الجيوش الإسلامية، إلى جانب مناعته ووعورة مسالكة ودروبه إضافة إلى قلة أعدادهم في بادئ الأمر من أهم أسباب استخفاف المسلمين بشأنهم قائلين :" ثلاثون علجا ما عسى أن يجى منهم !!؟"[4]، غير أن هذا الكم القليل أخذ يتزايد شيئا فشيئا، وينمو مع مرور الوقت بما تصله من إمدادات ومساعدات من خلف جبال البرت ،وأسسوا ثلاثة من كبار الممالك الشمالية ،والتي كان لها شأنا عظيما في بدء حركة الاسترداد لأسبانيا(reconqusta) وهى:-

أ- إمارة اشتوريس(مملكة ليون)

بعد وفاة بلاى سنة ١١٩هـ/٧٣٧م ورثه على الحكم ابنه فافلية(Fafila)[5]، الذي استمر قرابة السنتين،ثم توفي من دون أن يترك وريثاً لحكمه، ولما توفي بطرة في الجزء الشمالي الشرقي من إسبانيا ورثه ابنه أذفونش الأول (Al-fonsol)[6] أنظر ملحق رقم (٧)- والذي تعرفه المصادر الإسبانية بالكاثوليكي، وقد تزوج أذفونش من ارمنسد (Ermesinda)[7] ابنة بلاى ، واخذ يحكم الجزء الشمالي الغربي من أسبانيا ، واعتبر أذفونش مؤسسا لإمارة اشتوريش في الشمال ،حيث اتخذ مع أبيط[8] (Oviedo) عاصمة له، ولقد عين أذفونش الكاثوليكي أخاه فرويله (Fruela) حاكما على منطقة كانتبريه،غير أنه توفي سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م،لقد أحاط أذفونش إمارته بسلسلة

---

(١) hajj, chr.stat,p(146)

(٢) مولف مجهول ، اخبار مجموعة، ص (٢٨, ٣١)

(٣) o' calloghan,ahistory 0f medieval spain' p(99)

(٤) المقري،نفح الطيب،جـ(٣)،ص(١٧).

(٥) Hajji Op.cit ,P(47).watt,Ahistory of Islamic Spain,P(35).

(٦) O,callog han, Op.cit,P(100) .

(٧) مولف مجهول ،أخبار مجموعة ،ص(٩٠). عنان، دولة الاسلام ،العصر الأول ،ص(٢١٣).

(٨) انشأها فرويله لكنه لم يتخذها قاعدة له .انظر عنان ،المصدر السابق ص(٢١٨). ويقول الاصطخري"وعظيم الجلالقة بمدينة يقال لها أبيط "انظر الاصطخري، المسالك والممالك،ص(٣٦).

القلاع والحصون لحمايتها بحيث عرفتها المصادر الإسلامية بمنطقة القلاع(Castles)[1] ،وكان أمراء هذه الناحية يد ينون بالولاء والتبعية لملوك اشتوريش مع حكما ذاتيا لهم ، ولقد استمروا كذلك حتى القرن العاشر الميلادي -الرابع الهجري-عندما اتحدت هذه القلاع تحت زعامة فرناند جونثالث[2] (Fernand -Gonzales) ،واستقلت عن مملكة ليون (اشتوريش) وصارت تعرف بإمارة قشتالة.

وبعد وفاة أذفونش الكاثوليكي خلفه ابنه فرويله الأول (Fruela I)[3] فقام بضم مدن سموره (Zamora) وشان اشتبان (San Esteban) وأوسما (Osma) لمملكته، ولقد اندلعت بينه وبين الأمير عبد الرحمن الداخل عدة حروب كانت سجالاً بين الطرفين، وفي عام ١٧٥هـ/٧٩١م اغتيل فرويله الأول، في ذلك الوقت كان ابنه أذفونش ما زال صبياً، فانقسمت الإمارة إلى قسمين، المنطقة الشرقية وتدعى نباره أو نفاره (Navarra)، والمنطقة الغربية وتدعى غالسية. أما نفاره فقد حكمت من قبل أورويله[4] (Aureliues) ابن فرويله – شقيق أذفونش الكاثوليكي – وحكمت غالسية من قبل سيلو[5](Silo) زوج ابنة أذفونش الكاثوليكي أدوسيندا (Adosinda)، ولقد قامت بين الطرفين علاقات جيدة، وبعد موت أرويله سنة ١٦٥هـ/٧٨١م انتخب النفاريون – البشكنس – سيلو حاكم غالسية ليحكمهم، فتوحدت المنطقتان من جديد، غير أن سيلو توفي سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م، فاختير أذفونش الثاني (Alfonso II)[6] ابن فرويله حاكماً على أشتوريس تحت وصاية عمته أدوسيندا – لصغر سنه- بعد ذلك قامت ضد حكمه ثورة شعبية بقيادة برغواط[7] (Mauregato) الابن غير الشرعي لأذفونش الأول (الكاثوليكي)، الذي تحالف مع المسلمين لدعمه، ونجح في خلع أذفونش عن العرش، ثم مات براغواط في عام ١٧٢هـ/٧٨٧م، فاختار نبلاء اشتوريش برموده الأول (Vermudo I) خلفاً له[8].

---

(١) ولقد ذكر المؤرخون العديد من الحملات التي شنتها الجيوش الاسلامية إلى منطقة القلاع .انظر أرسلان ،غزوات العرب ،ص(١١٧).

(٢) ابن الخطيب ،أعمال الاعلام،ص(٣٢٨) .

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص(٢١٥)

(٤) O' Calloghan, **A History of Medieval Spain**, P(101)

(٥) حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٤٤)

(٦) عنان، المصدر السابق، ص(٢١٨-٢١٩)

(٧) Hajji, **Chr. Stat**, P(48)

(٨) F.J.P de **Urbel, Espana Christiana**, Madrid, 1956, Tome(I), P(46).

وسيشار إليه Urbel, Espana Christiana di

قَبِلَ برموده حكم إمارة أشتوريش وهوكاره، فقد كان يفضل البقاء في الرهبنة الـتي أنتهجـها منهاجاً لحياته واعتزل الحياة السياسية، وفي عهده تصالح مع أذفونش الثاني وعينـه قـائداً لقواتـه العسكرية، وبعد ثلاث سنوات تنازل برموده عن العرش لصالح أذفونش وعاد إلى الرهبنة والتقشف، وتولى أذفونش الثاني حكم إمارة أشتوريش فعرفته المصادر الإسبانية بالعفيف[1] بعد وفاة أذفونـش العفيف سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م خلفه ابنه ردمير الأول[2] (Ramero I) – أنظر ملحق رقـم (٧) – ، وهو الذي تمكن من إخماد العديد من الثورات الداخلية ضد حكمـه، وفي عـهده توقفت هجمات نصارى الشمال على الأراضي الأندلسية لانشغاله بالرد على هجمات النورمان، ثم تـولى الحكم ابنه آردون الأول [3](Ordono I)، والذي تمكن من شن حملات عديدة على الأراضـي الإسلامية خلال حكم الأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ)/ ٨٥٢م-٨٨٦م)، وتولى السلطة بعـده ابنه أذفونش الثالث[4] (Alfonso III) المعروف بالعظيم[5]، ولقد قامت عدة مؤامرات وثـورات داخلية، فخلع بمحاولة عائلية لصالح ابنه غرسيه الأول (Garcia I)، والذي نقل العاصمة من أبيط (Oviedo) إلى ليون (Leon)[6]، فأصبحت الإمارة تعرف بمملكة ليون، وبعد غارسـيه تـولى الحكم أخوه آردون الثاني[7] (OrdonoII) – انظر الملحق رقم (٧) – وبعده تولى الحكـم أخوه فرويله الثاني(Fruela II) لمدة سنة واحدة[8]، وفي عهده حدثت خلافات عائلية انتهت بتولي أذفونش الرابع (Alfonso IV) والمعروف بالراهب [9]، ثم جاء بعده أخـوه ردمـير الثاني[10](Ramero II) الذي وصف بالقوة والشجاعة، وتمكن خلال حكمة مـن إلحـاق الهزيمة الثقيلة بجيش الخليفة

---

[1] حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٤٥).

[2] عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص(٣٥٤)

[3] ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص(١٤٧)

[4] Watt, A History of Islamic Spain, (38)

[5] Hajji, Chr. State, P(50)

[6] Urbel, Espana Christiana, P(109)

[7] ابن عذاري، البيان المغرب، جـ(٢)، ص(١٧٠-١٧١)

[8] حاجي، أندلسيات، جـ(٢)، ص(٤٩).

[9] Hajji, Ibid

[10] عنان، المصدر السابق، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٥٨٩).

الناصر لدين الله في معركة الخندق الشهيرة (٣٢٧هـ/٩٣٩م)[1] ، ولدى وفاته قـامت حروب أهلية بين ولديه آردون الثالث (OrdonoIII)، وشانجه الأول[2](Sancho I) المعروف بالسمين الذي هزم أمام أخيه آردون، فاتجه شانجه إلى إمارة نافاره مستنجداً بأخواله البشكنس وجدته الملكة طوطه(Totah) وصية عرش نفره، كما أنه تحالف مع فرناندز جونثالث(Fernand Gonzales) حاكم قشتاله[3]، وبعد وفاة آردون الثالث سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، حدثت خلافات بين شانجه السمين و ابن عمه آردون الرابع (Ordono IV) الذي تعرفه المصادر بالأحدب أو الرديء[4] ، وتمكن الأخير بمساندة أشراف المملكة من عزل شانجه، وتولى حكم المملكة - أنظر الملحق رقم (٧) ، فاتجه شانجه السمين إلى جدته طوطه من جديد طالباً مساعدتها في العودة إلى عرش المملكة، وتوجهت أنظارهم إلى قرطبة طالبين العون والمساندة من الخليفة الناصر وفعلاً تم لهم ما أرادوا، وعاد شانجه إلى الحكم، وخلفه من بعده ابنه ردمير الثالث (Ramero III)[5] الذي تحرش بأراضي المسلمين متحداً مع قوات الشمال الإسباني لكن المنصور بن أبي عامر واجهه وهزمه في موقعة شنت متكش (Sunacas) سنة ٣٧١هـ/٩٨١م[6] وخلع ردمير الثالث عن الحكم وانفرد به ابن عمه برموده الثاني (Vermudo II)، وخلفه ابنه أذفونش الخامس (Alfonso V) الذي كان طفلاً فوضع تحت وصاية الأمير مندس جونثالث (Menendo Gonzales)[7].

ب- مملكة نافاره

تقع مملكة نافاره أو نباره في بلاد البشكنس، وعاصمتها مدينة بنبلونه (Pamplona)[8]، وفي نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، بدأت محاولات الاستقلال عن إمارة أشتوريس

---

(1) مولف مجهول، أخبار مجموعة، ص(٣٦). المقري، نفح الطيب، جـ(١)، ص(١٦٥)

(2) Dozy, Spanish Islam, P (436)

(3) Dozy , Ibid

(4) H ajji, Chr. State, P(50)

(5) Dozy, Op.cit, P (453)

(6) Op.cit, P(497)

(7) ابن خلدون ، العبر، جـ(٤)، ص(١٨١)

(8) بنبلونه:- مدينة في شمال الأندلس، وهي قصبة إقليم نبره (نباره)، غزاها العرب عام ١٢١هـ/٧٣٨م، ولكن احتلالهم للمدينة لم يدم إذ سرعان ما حررت وأصبحت مركزاً لحكم البشكنس. أنظر ليفي بروفنسال، بنبلونه، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، مجلد (٨)، ص(١٤٤-١٤٥). وسيشار إليه بروفنسال، بنبلونه.

(ليون)، ويذكر المؤرخون النصارى أن مؤسس هذه المملكة يدعى ونقه (Inigo Jimenez)[1] وأن كانت سنوات حكمه لم تعرف على وجه التحديد، وبعده جاء ابنه ونقه (Inigo Iniguez) الذي ساند أخاه لأمه موسى بن موسى بن فرتون في ثورته ضد الأمير عبد الرحمن الثاني سنة ٢٢٦هـ (٨٤١م)، وبعده تولى ابنه غرسيه بن ونقه (Garcia Iniguez)[2] الذي قتل وجاء بعده ابنه فرتون (Fortun) المعروف بالأنقر[3]، لكنه عزل لصالح شانجه غرسيه الأول[4] (Sancho Garces) والذي كان أول من تلقب بالملك من حكام البشكنس (النفاريين)، وخاض عدة معارك ضد المسلمين، ثم خلفه غرسيه شانجه الأول[5] (Garcia Sanchez1)، والذي حكم تحت وصاية أمه الملكة طوطه (Totah)[6] ثم توفي غرسيه سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، فتولى من بعد ابنه شانجه غارسيه الثاني[7] (Sancho Garces II)- أنظر الملحق رقم (٧) - والذي تعرفه المصادر الأجنبية باسم أبركه (Abaraca)[8] ، ثم جاء من بعده شانجه غارسيه الثالث (Sancho Garces III) المعروف بالكبير[9].

تحدثنا سابقاً عن القلاع والحصون التي أنشأها أذفونش الكاثوليكي بالقرب من إمارة أشتوريس (ليون)لحمايتهاوأن هذه القلاع أخذت تتحين الفرص لاستقلالها حتى تمكنت على يد فرنانديزجونثالث [10]من الاتحاد وتشكيل مملكة مستقلة بذاتها هي مملكة قشتاله، وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ولقد اتخذ فرناندز من بُرغش[11] (Burgos) عاصمة له،

---

[1] ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص(٤٦٨).

[2] ابن عذارى، **البيان المغرب**، جـ(٢)، ص(٩٧). العذرى، **نصوص عن الأندلس**، ص(٣٩).

[3] عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الأول، ص(٣٦٢)

[4] **Hajji, Chr. Stat, P(53)**

[5] **Dozy, Spanish Islam, P.P (425-426)**

[6] عنان **المصدر السابق**، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٥٩٩)

[7] **Hajji, Ibid**

[8] بروفنسال، **المصدر السابق**، ص(١٤٤-١٤٥)

[9] حاجي، **أندلسيات**، جـ(٢)، ص(٥٤).

[10] عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**،العصر الأول، القسم الأول، ص(٥٩١)

[11] برغش من بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحد منها إلى‌هود، وهي حصينة ومنيعة ذات أسواق وتجارة. أنظر الحميري **صفة جزيرة الأندلس**، ص(٤٤)

ولقد توفي فرناندز سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م فخلفه ابنه غارسـيه[1] (Garcia Fernandez) وجاء بعده ابنه شانجه غرسيه (Sancho Garces).

٢- ثورات المستعربين

تعد ثورات النصارى والمستعربين من أهم التأثيرات التي ظهرت في المجتمع الأندلسي نتيجة لواقع الحروب والعلاقات الدولية بين الأمويين في قرطبه والممالك النصرانية المجاورة، وإن كان لها أسباباً أخرى مباشرة لاندلاعها، فلقد أصبح وجود النصارى واليهود كفئات مذبذبة الولاء والتبعية بين قرطبة ،والممالك النصرانية عاملا من عوامل عدم الاستقرار في المجتمع الأندلسي ،ومن أهم الثورات التي نشبت خلال حكم بني أمية في قرطبة:-

أ- ثورات طليطلة

كانت طليطلة-العاصمة السابقة لمملكة القوط الغربيين والمركز الأول للديانة المسيحية في أسبانيا-قد أخذت بفقدان بريقها اللامع فور قدوم المسلمين إلى تلك الديار ،ومع تطور السيرة الحضارية للعاصمة الجديدة قرطبة أخذت تلك المدينة تسعى لاستعادة مكانتها السابقة ،وتعمل على إحياء مجدها التليد ،وذلك من خلال استيعابها العناصر الناقمة والرافضة لحكم المسلمين في الأندلس[2] ،لا سيما المستعربين واليهود،وقلما مرت سنة من سنوات حكم الأمويين في الأندلس من غير أن تثور هذه المدينة ،وتخرج على طاعة السلطة المركزية في قرطبة.

كانت انطلاقة ثورات طليطلة سنة١٤٧ هـ/٧٦١م[3]، عندما ثار واليها هشام بن عروة[4] ،وخرج على طاعة الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ هـ-١٧٢ م)،فما كان من الأخير إلا أن حاصر المدينة ،حيث استسلم الثوار للأمير ،لكن الثورة عادت من جديد،فقام الأمير عبد الرحمن الداخل بمحاصرة المدينة مرة أخري،الأمر الذي شق على سكانها ،واضطر الأمير عبد الرحمن الداخل لرفع الحصار والعودة إلى قرطبة ،في عام ١٥٠ هـ/٧٦٤ م خمدت الثورة نهائيا عندما تم القبض على زعمائها ،وسيقوا جميعا إلى قرطبة ، وتم إعدامهم[5].

---

[1] حاجي، أندلسيات، جـ(٢) ، ص(٥٢)

[2] Hajji,Polit,Rel.And.Rebels,P(85).

[3] ابن عذاري ،البيان المغرب،جـ(٢)،ص(٥٣).

[4] هشام بن عروة :هو ابو عبيدة هشام بن عمرو بن محمدبن على بن سلامة العبدري من موالى بنى أمية في دمشق ، دخل الأندلس مع عبد الرحمن الداخل.انظر ابن القوطية، تاريخ الأندلس ،ص(٣٩).

[5] D ozy,Spanish Islam,P(199).

وأثناء حكم الأمير الحكم الربضي (١٨٠هـ-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) ثارت المدينة ثورتها المعروفة بوقعة الحفرة[1] (The Day of Ditch)، التي أرخت بعام ١٨١هـ/٧٩٧م) ولقد ضمت إلى جانب نصارى ويهود المدينة عناصر المولدين من أصول إسبانية وكانت بزعامة الشاعر غربيب بن عبد الله الطليطلي[2]، حيث قاموا بالتحصن داخل المدينة، فاضطر الأمير الحكم إلى استخدام المكر والخديعة معهم، وعين واليا جديدا للمدينة كان من المولودين المخلصين له وهو عمروس بن يوسف[3]، ثم انه كتب إلى أهالي المدينة يخبرهم أنه اختار لهم فلانا ممن تطمئن قلوبهم له، وأخذ عمروس بالتظاهر بكرهه للأمويين وبغضه لهم، حتى استمال قلوبهم إليه، ثم قام ببناء قلعة جديدة خارج أسوار المدينة معلنا أن الغرض منها أن تكون خطا دفاعيا متقدما للجند، وأنه أقام وليمة في هذه القلعة بمناسبة وفود ولي العهد عبد الرحمن بن الحكم، ودعا إليها أعيان البلد ورؤسائها، عندها أخذ بضرب أعناقهم جميعا تحت ستار من أصوات الطبول والموسيقى لإخفاء صراخهم وعويلهم، وقام بإلقاء جثثهم في خندق عظيم أقيم لذلك، فكان حصيلة هذه المجزرة ما بين ال (٧٠٠-٥٠٠٠)فرد، وهكذا جردت المدينة من زعمائها وخيرة قوادها، فضعفت المقاومة فيها وخضعت تماما:

وعندما تولى الأمير عبد الرحمن الأوسط الحكم (٢٠٦هـ - ٢٣٨هـ /٨٢٢م - ٨٢٥م) عادت المدينة إلى الثورة بزعامة هاشم حداد[4] الذي أخذ يسلب وينهب أملاك المسلمين العرب والبربر، وعمل على هدم قلعة عمروس وقتل حراسها وفي عام ٢١٦هـ ٨٣١م أرسل الأمير عبد الرحمن الأوسط جيشا بقيادة محمد بن واسم[5]، الذي تمكن من هزيمة الثوار وقتل زعيمهم

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ص(٦٩-٧٠).

Watt, A History of Islamic Spain P (33)

(2) هو أبو عبد الله غربيب بن عبد الله الطلطلي، أصله من قرطبة وسكن طليطلة، كان شاعرا زاهدا من أهل الدهاء والحكمة انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص(٢١١). ابن سعيد المغربي، المغرب، جـ(٢)، ص(٢٣-٢٤).

(3) عمروس بن يوسف بن المولدين، ولاه الحكم على طليطلة ثم ثار عليه سنة ١٩٤هـ، غير أنه استأمن لنفسه، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، جـ(١)، ص(٤١).

(4) أو قيل محمد بن رستم، انظر محمد ابن عذارى، **البيان المغرب**، جـ(٢)، ص(٧٠).

(5) عرف كذلك بهاشم الضراب، ويقول ابن عذارى (وسمي بالضراب لأنه لما أحرق الحكم طليطلة، وأنزل أهلها منها إلى السهل، فدخل حينئذ هاشم الضراب قرطبة، وصار يضرب بالمعول الحدادين) انظر ابن عذارى، المصدر السابق، ص(٨٣)

هاشم، غير أن الثورة بقيت مشتعلة حتى عام ٢٢٢هـ/٨٣٧م ، عندما توجه إلى طليطلة جيش بقيادة الأمير وليد بن الحكم ، فتمكن من القضاء على الثورة نهائيا.

وفي عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م اندلعت ثورة في مدينة طليطلة من جديد، وقد حاول الأمير محمد أن يخمدها غير أن الثوار استنجدوا بالملك آردون الأول (Ordon I) حاكم ليون وبغرسية بن ونقة (Garsia Iniguez) حاكم نافارة[١] ، وقام حاكم ليون بإرسال حملة عسكرية تحت قيادة الكونت جاتون[٢] (Gaton) وعلى الرغم من ذلك تمكن الأمير محمد من هزيمة القواد المتحالفة ضده في معركة وادي سليط[٣] (Guazalate) وإخضاع المدينة من جديد.

وفي السنة الأخيرة من حكم الأمير عبدالله ٣٠٠هـ /٩١٢م ثارت طليطلة ضد حكمه ، وطلب الثوار العون والمساعدة من أذفونش الثالث (Alfonso III) حاكم ليون مقابل ضريبة مالية يدفعونها له ، غير أن هذه الثورة سرعان ما تم القضاء عليها وإخمادها[٤]،ثم عادت المدينة للثورة من جديد على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي[٥] حاكم بطليوس[٦] الذي خلع الطاعة من رقبته في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، الذي قام بنفسه بمحاصرة المدينة مدة عامين كاملين ، ومنع وصول الطعام والإمدادت إلى داخل المدينة وأخذ بتضييق الحصار أكثر فأكثر، وقام بإنشاء مدينة جديدة إلى خارج مدينة طليطلة ؛ وأسماها مدينة الفتح[٧] ، حتى تكون قاعدة لجنده يتناوبون من خلالها على حصار المدينة ، ولقد حاول الملك ردمير الثاني حاكم وجليقيه إنقاذ المدينة من الحصار إلّا أنه هزم أمام جيش المسلمين عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م ، وبقي حصار طليطلة حتى استسلمت[٨] .

ب- ثورة ماردة .

---

(١) Dozy ,Spanish Islam P(301).

(٢) Hajji, Pol . Rel .And . Rebels , P (85)

(٣) Levi . Provencal , Histoire, Tome (1) P.P (27-228)

(٤) ابن عذارى المصدر السابق ، ص(٩٤-٩٥) .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان بن عبد الرحمن (وقيل ابن يونس) ، ابي مروان الجليقي سار على نهج اجداده في الثورة والخروج على طاعة السلطة في قرطبة ، انظر ابن حيان المقتبس ، تحقيق ملتشور.

(٦) بطليوس : مدينة في الأندلس من اقليم ماردة وبينها وبين مدينة ماردة أربعين ميلا وهي حديثة البناء ، انظر الحميري ، الروض المعطار ، ص(٩٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ(٢) ، ص(٤٤٧).

(٧) Dozy , Spanish Islam, P (397)

(٨) ابن خلدون ، العبر ، جـ(٤) ص(٣٠٥-٣٠٦). Watt, A History of islamic spain, P(40).

في عام ٢١٢هـ/٨٢٨م قام يهود ونصارى مدينة ماردة بالثورة على السلطة في قرطبة تحت زعامة محمود بن عبد الجبار[1] وسليمان بن مارتين ، ولقد حظيت هذه الثورة بمساندة وتأييد الإمبراطور الفرنجي لويس العفيف[2] .

جـ ثورة عمر بن حفصون

تعد ثورة عمر بن حفصون من أشد الثورات خطورة على الحكم الأموي في الأندلس و من أطولها مدة، ويرجع السبب في خطورتها أنها جاءت بعد إخضاع فتنة المستعربين – حركة المنتحرين متخذة الطابع العسكري لمقاومة الجيوش الإسلامية ، وزاد من خطورة هذه الثورة أن أخذت تنحى منحا دينيا واضحا من خلال ارتداد زعيمها ابن حفصون عن الإسلام وتنصره ، في محاولة منه لكسب ود ومؤازرة النصارى في الأندلس ، إضافة إلى رغبته في مساندة ملوك الدول والممالك النصرانية الشمالية.

بدأت هذه الثورة في عام ٢٦٧هـ/٨٨٠م[3] في عهد الأمير محمد (٢٣٨هـ – ٢٧٣هـ/٨٥٢م – ٨٨٦م) ، واتخذت من قلعة ببشتر[4] (Babashtro) من كورة رية (Rajia) قاعدة لانطلاق هجماتها نحو المدن الأندلسية، ولما فشل عمال الدولة في مواجهة عمر بن حفصون توجه الوزير هشام بن عبد العزيز سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م ، ونجح في إنزاله من الحصن حيث قدم به إلى قرطبة، فعفا عنه الأمير محمد وألحقه بحاشيته، كما أرسله مع ابنه الأمير المنذر في صائفة لمحاربة بني قسي الثائرين في الثغر الأعلى، وبعد عودة عمر إلى الحاضرة عومل معاملة سيئة من محمد بن الوليد[1] صاحب المدينة ، فغادر قرطبة سرا إلى ببشتر ، وعاود العصيان والثورة.

---

[1] هو محمود بن عبد الجبار الماردي المصمودي ، من أصل بربري من قبيلة مصمودة ، هلك سنة ٢٢٥هـ ، وذلك عندما جمح به فرسه به فرسه أثناء حربه لأذوفونش (العفيف) ملك لون ، فاصطدم عندها بشجرة بلوط فقتلته انظر ابن الاثير ، **الكامل** ، جـ(٦) ، ص(٤١٠-٤١١) ابن سعيد المغربي ، **المغرب**، جـ(١) ، ص(٤٨) .

[2] Dozy, **Op. Cit**, P(265).

[3] Watt, **a History Of Islamic spain**, P(37).

[4] ببشتر : مدينة عظيمة من مدن اقليم ريه ، فيع ، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا ، وهو حصن تزل عنه الابصار ، فكيف الاقدام ، وهو على صخرة صماء منقطعة لها بابان ، ولهذا الحصن قرى كثيرة وحصون خطيرة ، وما حوله كثير الماء والاشجار والثمار والكروم . انظر الشريف الادريسي ،**صفة المغرب** ، ص(١٧٤) .

[1] محمد بن الوليد : قد يكون أخ القائد عباس بن الوليد الطبلى أو الطبلي ، تولى كتابة الطراز للخليفة الحكم المستنصر ، وكان من متقدمي الكتاب ونحاريرهم ، ومن أهم الكفاية والبصر بالمعمل. انظر ابن حيان، المقتبس ، تحقيق مكي ص(٢٤٧) الهوامس .

أرسل الأمير قوة بقيادة ابنه المنذر ، فحاصره في مدينة الحامة (AL Hama) غير أن المنذر اضطر إلى رفع الحصار عندما علم بوفاة والده سنة ١٧٣هـ/٨٦٦م فخرج عمر من المدينة ، وبسط نفوذه على كورة رية كلها ، ودانت له حصونها ، كما أنه أثار في المولدين والمستعربين روح العصبية ضد العرب[٢].

وفي سنة ٢٤٧هـ/٨٨٧م خرج الأمير المنذر إلى ابن حفصون ، وفتح عددا من حصونه ، ثم أعاد الكرة عليه حتى أجهده ، في هذه الفترة مرض الأمير المنذر ، وما لبث أن توفي مخلفة أخوه عبد الله الذي عاد إلى قرطبة معه رفات أخيه المنذر[٣] .

وفي عهد الأمير عبد الله (٢٧٥هـ - ٣٠٠ هـ /٨٨٨م - ٩١٢م) ازداد خطر فتنة ابن حفصون ، فلقد عمت الثورة أرجاء الأندلس ، حتى أن سلطان الدولة لم يكد يتجاوز قرطبة وأحوازها[٤] ، في هذه الأثناء وجه الأمير عبد الله اهتمامه لإخماد ثورة ابن حفصون التي كانت قد تفاقمت وعظم شأنها ، فلقد أمضى إليه عددا من الثوار المولدين من كور رية وألبيرة وجيان ، وتم الاتصال بينه وبين نصارى قرطبة، فوفد عليه شربند بن حجاج[٥] (أو حسان) ولد قومسها، واستعان به في العيث بأراضي المدينة، وبلغ من خطورة ابن حفصون أنه سعى للاتصال بالخلافة العباسية عن طريق الأغالبة، غير أن اضطراب أمور أفريقيه شغل الأغاربة عن تلبية نداء ابن حفصون [٦] وفي ٢ صفر سنة ٢٧٨هـ/١٦ مايو ٨٩٠م وقعت معركة كبيرة بين ابن حفصون وأحمد بن محمد بن أبي عبده الذي أرسله الأمير عبد الله على رأس قوة قدرت بـ (١٨٠٠٠) جندي بالقرب من حصن بلاي ، ولقد أسفرت المعركة عن هزيمة قوات ابن حفصون وتراجعه إلى حصن بلاي، غير أنه وجد أن أصحابه قد انفضوا من حوله، فتراجع إلى قاعدته ببشتر مخلفاً

---

(٢) عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الأول ، ص(١٩٧).

(٣) Dozy , Spanish Islam P (322)

(٤) Lane-Pool , The moors in spain , P (102)

(٥) ابن حيان، المقتبس ، تحقيق ملتشور انطوانيه ، ص(٩٢-١٠٢).

(٦) ابن الخطيب ،أعمال الاعلام ،ص(٣٢).

وراءه عددا كبيرا من القتلى والجرحي والأسرى[1].

ومن الجدير ذكره بروز الطابع الديني للصراع ما بين ابن حفصون والسلطة في قرطبة ، حيث ضم جيش المسلمين عددا كبيرا من الفقهاء والقرّاء الذين كانوا يرتلون آيات القرآن لتشجيع الجنود وشحذ هممهم ، في حين جلب معه ابن حفصون العديد من القساوسة والرهبان الذين رتلوا بدورهم الإنجيل[2].

وفي عام ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م أرسل الأمير عبد الله صائفة لحرب ابن حفصون تمكنت من هزيمة جيشه ، وهدم كنيسة كان والد عمر قد بناها على مقربة من بيشتر ،كما انهم قتلوا حفص بن المرة[3] النصراني أحد كبار أعوان ابن حفصون[4] ولم يمض عام على الصراع الدائر بين الطرفين حتى طرأ تطور على ثورة ابن حفصون ،ففي عام ٢٨٦ هـ/٨٩٩م جاهر عمر بن حفصون بتنصره ،واتخذ لنفسه اسما نصرانيا هو صموئيل[5] ،يقول ابن حيان "وفيها (سنة ٢٨٦ هـ) أظهر اللعين عمر بن حفصون النصرانية ،وباطن العجم نصارى الذمّة ،واستخلصهم بالكلمة ، وأيدهم وفضلهم وتعصب على المسلمين وأساء الظن بهم"[6]،بعدها قام بالاتصال بأذفونش الكبير(AlfonsoIII)حاكم ليون ،فطلب نصرته وإمداداته،كما إنه قام بالتحالف مع عدد من الثوار الذين ارتدوا عن الإسلام أمثال سعيد ابن مستنه[7] وسعيد بن هذيل[8] ،وعندما صعد نجم الفاطميين في بلاد المغرب وأفريقية،وبدأ الصراع بينهم وبين بني أمية في الأندلس ،حاول عمر بن حفصون الاتصال بهم ، والإستعانة بقواتهم في حربه،حيث صارت سفنهم تبحر من العدوة إليه ، الأمر الذي دفع الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠١ هـ/٩١٤ م إلى الترصد لهذه السفن

---

[1] محمد الشيخ ،دولة الفرنجة ،ص(١٠٥). Hajji,And.Dipl.Rel,P.P (110-111)

[2] Watt ,A History of Islamic Spain,P(37)

[3] حفص بن المرة قائد من قواد الثائر عمر بن حفصون قال عنه ابن حيان :"وأخرج حفص بن المره قائده الشديد التمرّد واللعنة في خيل له غليظة إلى نواحي استجه وأشبونه وما يليها من عمل قرطبة "انظر ابن حيان ،المصدر السابق ،تحقيق ملشور أنطومية،ص(٥١).

[4] المصدر السابق،(١٠٨) .

[5] ابن عذاري ،البيان المغرب ،جـ(٢) ،ص(١٤١) .

[6] ابن حيان،المقتبس ،تحقيق ملتشور أنطونية،ص(١٢٨) .

[7] هو سعيد بن وليد بن مستنه صاحب عمر بن حفصون ،وتاليه في التمرد واللعنة،ثاريكورة باغة ،ووافق ابن حفصون في الرأي والمعصية .انظر ابن حيان ،المصدر السابق،ص(٢٧) .

[8] كانت ثورته بحصن المنتلون من كورة جيان .انظر المصدرالسابق،ص(٢٥-٢٦).

وإحراق عدد منها ،كما إنه شحن سفنه بالأسلحة والرجال ،وجعلها تجوب في دوريات منتظمة قرب الساحل[1] .خاض عبد الرحمن الناصر بعد توليه السلطة سنة ٣٠٠ هـ/٩١٢م عدة معارك طاحنة ضد ابن حفصون ،وفي سنة ٣٠٢ هـ/٩١٥ م ،أظهر الأخير ميله إلى السلم ،فأرسل إلى الناصر يتودده ويذكره بصنيعه مع أبيه الأمير محمد الذي كان قد خرج على جده الأمير عبد الله ،فآواه ابن حفصون وأكرمه ،وتدخل في الوساطة بينهما عدد من أصدقاء ابن حفصون أمثال يحيى بن اسحق الطبيب الوزير والحاجب بدر بن أحمد[2] ،كما تدخل في الوساطة عدد من رجال ابن حفصون منهم جعفر بن مقسم أسقف بيشتر ،وتم عقد الصلح بين الطرفين حيث دخل اكثر من ١٦٠ حصن في أمان ابن حفصون[3].

وفى ابن حفصون لأول مرة بعهوده مع قرطبة ،فعندما نقض ولده سليمان شروط الصلح ،واستولي على مدينة أبذه[4] (ubeda) أنبه والده ورد الحصن إلى الأمير الناصر لدين الله، وعندما عاود سليمان الغدر واسترد الحصن ، حاربه والده من جديد وظل يحاصره حتى أصيب بمرض فغادر إلى بيشتر حيث توفي في شعبان سنة ٣٠٥ هـ/يناير ٩١٨ م،فدفن هناك تبعا لطقوس النصارى[5].

كان عمر بن حفصون قد أنجب أربعة من الصبيان وبنتا واحدة ، الصبيان هم جعفر وسليمان وعبد الرحمن وحفص ،والبنت هي أرخنتيا[6](Argentea)،أقام جعفر في بيشتر وسليمان في أبذه ،وعبد الرحمن في طرش ،وبعد شهور استرد الأمير عبد الرحمن أبذه ،وأسر سليمان بن حفصون الذي جيئ به إلى قرطبة، أما عبد الرحمن فقد استأمن لنفسه ،فأجابه الأمير و ألحقه

---

[1] ابن عذاري ،المصدر السابق ،جـ(٢) ،ص(١٩١-٢٠٤).عبد الكريم عبده الطالب حاملة،مواجهة الناصر للمالك المسيحية في شمال أسبانيا،رسالة الماجستير،جامعة، القديس يوسف، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م،ص(٣٠-٣١).وسيشار إليه عبد الكريم حتاملة،مواجهة الناصر.

[2] هو بدر بن أحمد الخصي الصقلبي ،وصيف الأمير عبدالله وحاجبه.انظر ابن حيان ،المصدر السابق ،ص(٤) .

[3] Dozy,Spanish Islam,P(391).

[4] أبذة(ubeda) مدينة بالأندلس ،بينها وبين بياسة سبعة اميال،وهي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير.الشريف الادريسي ،صفة المغرب ،(٢٠٣).الحميري،الروض المعطار،ص(٦).

[5] ابن حيان ،المقتبس ،تحقيق ملنشور أنطونية، (١٣٠).

[6] ترهيب في حياة ابيها وأقامت في دير أنشأته داخل بيشتر وفي مايو سنة ٩٣١م ثم أعدامها من قبل السلطه في قرطبة بسبب شتمها للرسول -ص-ودفنت في كنيسة القديسين الثلاثة Iglesia de Lostres Santas

بالحاضرةوصار فيما بعد وراقا[1].

لم يكد جعفر يخلف أباه حتى أعلن العصيان على الأمير الأموي ،وعزل جعفر بن مقسم الأسقف ،وأبعده إلى أحد الأديرة ،غير أن قائده المدعو رذمير تآمر عليه وقتله سنة ٣٠٨ هـ/٩٢٠م[2] ،وقام قتلته باستدعاء أخيه سليمان من قرطبة فخرج من المدينة مستخفيا،واتخذ مكان أخيه مظهرا الطاعة في البداية ،و لم يلبث أن نكث بعهده واستولى على طرش.

أخذ الأمير عبد الرحمن الناصر بالتضييق على سليمان بن حفصون شيئا فشيئا وفي عام ٣١٤ هـ/٩٢٦ م أرسل إليه جيشا بقيادة عبد الحميد بن بسيل[3] الذي ظفر بسليمان، خارج بيشتر ،فقتله وصلبه على خشبة عالية بباب السدة[4]، ومما يجدر ذكره أن البلاد وكانت تعاني من القحط في هذا العام،ثم نزل الغيث ، يوم صلب سليمان بن عمر بن حفصون فقال أحد الشعراء:[5] - (الطويل)

سماءٌ يمورُ الغيث منها وديمة   دماء العدي تهمى به وتمورُ
غياثان فينا ،وألفان من الحيا   ولكن ذا رجس وذا طهورُ
وذاك نجيعٌ ليس يقبلهُ الثري   وذا فاجع يسري به ويعورُ

خلف حفص أخاه سليمان في حصن بيشتر،وفي ربيع أول سنة ٣١٥ هـ/مايو٩٢٧ سار الخليفة عبد الرحمن بنفسه ومعه ولده الحكم، وشدد الحصار على المدينة ،كما بنى حصنا تجاهها حتى ضاق الحصار ،فكتب إلى عبد الرحمن يستأمنه على أن يخرج من الجبل ،فوافق الخليفة الناصر،واقتحم المسلمون مدينة بيشترحيث عمل الناصرعلى إزالة آثار هذه الثورة منها،ودخل مسجدها المهجور وصلي به ،ثم أمر بإقامة الصلوات به ،كما أنه هدم الكنائس التي كان ابن

---

[1] Dozy , Op.Cit ,P (393)

[2] عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ،العصر الأول ،القسم الأول ،ص(١٠٢-١٠٧).

[3] عبد الحميد بن بسيل :-وزير الخليفة الناصرلدين الله ويُنسب إلى بيت أكبر بيوتات الموالي الامويين من أهل الشام كان أول من دخل منهم عبد السلام بن بسيل المعروف بالشيخ ،انظر ابن حيان المقتبس ،تحقيق مكي ،ص(٢٤٢-٢٤٣)الهوامش .

[4] هو الباب الرئيسي لقصر الخلافة بقرطبة ،يطل على ضفة الوادي الكبير والقنطرة ،وهواعظم أبواب القصر الخمسى وهي باب الجنات وباب الوادي وباب قورية وباب الجامع ،وقد شاع استخدام اصطلاح باب السده.

[5] ابن حيان، المصدر السابق ،تحقيق شالمينا،ص(٢٠٥-٢٠٦) .

حفصون قد بناها،ثم سار إلى قبر عمر بن حفصون فنبشه وأتى بعظامه لترفع إلى جانب أشـــلاء ابنه سليمان على باب السدة.

٣-مساندة الذمّيين للخارجين على السلطة

ومن الأثار التي نتجت عن العلاقات الدولي بين بني أمية والدول النصرانية المجاورة،قيام الأخيرة بتقديم العون والمساندة للثائرين والخارجين على السلطة في قرطبة،وهو أمر أقتضته طبيعة الأمـــور وضرورة الأحداث[1] ،فان المتأمل في جميع الثورات التي قامت ضد حكم بني أمية في الأندلـــس ليجد تبايناً شاسعاً بين الطرفين ، الأمر الذي كان يحدوا بالثوار إلى طلب المساعدة مـــن قـــوة خارجية ،وبدورها سرعان ما كانت تستجيب لهذه المطالب مقابل شروط بالإنسحاب عن بعض الأراضي ، أو دفع مبالغ من الجزية لهم ، أو حتى في سبيل إضعاف الحكومة المركزية في قرطبـــة العدو الرئيسي لها .

أمر آخر نلاحظه في معظم هذه الثورات ،ذلك أنها نشبت في الشمال الأندلسي إلى القرب من الممالك النصرانية ، مما سهل مهمة الاستنجاد بها وطلب المساعدة ضد جيوش قرطبة ، وفيما يلي عرض موجز لموقف الدول النصرانية من الثائرين في الأندلس :-

١- في عام ١٦٠هـــ /٧٧٧م قام الإمبراطور الفرنجي شارلمان بقيادة حملة عسكرية لمســـاعدة الحسين بن يحيى الأنصاري وسليمان بن يقضان الكلبي في ثورتهم ضد الأمير عبد الرحمـــن الداخل ،بناء على طلبهم ذلك ، غير أن هذه الحملة باءت بالفشل[2].

٢- في عام ١٧٤هـــ/٧٩٠م طلب التأثر أبو ثور الخارج على طاعة الأمير هشام الرضى العـون والمساعدة من لويس بن شارلمان حاكم مقاطعة اكوتياينا ، فسارع الأخير بإرسال حملـــة عسكرية بقيادة جيوم كونت دي طولوز (de Toulouse) والتقت قواتهم المتحالفة مع جيـــش المسلمين بقيادة الوزير عبد الملك بن عبد الواحد في معركة (فيل دني)التي انتصـــر فيـــها المسلمون[3].

٣-في عام ١٨٣هـــ/٧٩٩م طلب الأمير عبد الله البلنسي الثائر في الثغر الأعلى مع أبي

---

(1) Hajji, Tow Unknown Embassies,P(19)

(2) ابن الاثير ،الكامل ،جـــ(٦)، ص(٦٣). المقري ، نفح الطيب ،جـــ(٣)، ص(٤٨).

(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص(٩٧).

الحجاج[1] من الإمبراطور شارلمان أن يساندهم في حربهم ضد ابن أخيه الأمير الحكم الربضي ،فلبى الإمبراطور النداء بإرسال جيش تحت قيادة ابنه لويس ،وعبر به البرت واستولى على مدينة جيرونده ووشقه في طريقه إلى الثغر الأعلى ، غير أنه ما سمع بقدوم الأمير الحكم بنفسه على رأس جيش حتى سارع بالانسحاب خوفا من الهزيمة[2] .

٤- في عام ٢١٣هـ/٨٢٨م ثار محمود بن عبد الجبار المصمودي في مدينة ماردة ، وطلب المساندة و النصرة من أذفونش الثاني (AlfonsoII) حاكم ليون ، الذي رحب بدوره بهذه الثورة ، وأيدها وساندها ، غير أن النزاع دبّ بينهما ، الأمر الذي اضطر أذفونش لحصار ابن عبد الجبار وقتله .

٥ - في عام ٢٢٧هـ/٨٤٢م ثار موسى بن موسى بن فرتون بن قسي على الأمير عبد الرحمن الأوسط ،واتخذ من مدينة تطلية قاعدة لانطلاق هجماته على المدن الأندلسية ،وكان موسى قد عقد حلفا مع أخيه لامه ونقه بن ونقه حاكم نافارة بدعم وتأييد من مملكتي ليون وقشتاله، غير أن هذا التحالف هزم أمام قوات الأمير عبد الرحمن الأوسط، وفي عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م عاود موسى القسوي الثورة من جديد بتأييد من أخيه ونقه، وتحالف مع آردون الأول (Ordono) حاكم ليون. وفي عام ٢٥٧هـ/٨٧١م ورث لب أباه موسى بن موسى في ثورته ضد الحكم الأموي في الأندلس وتحالف مع آردون الأول ضد سلطة قرطبة[3].

٦- في عام ٢٤٠هـ/٨٤٥م قام الثوار في مدينة طليطلة بطلب المساعدة والتأييد من كل من (Ordoni I)حاكم ليون وغارسية بن ونقه(Garrcia Iniguez) حاكم نفساره ،فسارع آردون بتقديم المساعدة والمساندة بإرسال حملة عسكرية قادها الكونت جواتن(Count Geton)الذي هزم أمام الأمير محمد في معركة وادي سليط (Guazalete)[4].

---

[1] هو بملول بن مرزوق–سبق التعريف به .

[2] ابن الاثير ،المصدر السابق ،جـ(٦)،ص(١٧٢) .

[3] ابن عذارى، البيان المغرب، جـ(٢)، ص(٩٧). العذري، نصوص عن الأندلس، ص(٣٠).

[4] Levi-Provencal,Histoire,Tome(1),P.P (227-228)

٧- في عام ٢٤٩هـ/٨٦٢م ثار عمروس بن عمروس[1] ضد الأمير محمد ، وطلب مساندة غارسية بن ونقة الذي أجابه ، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل .

٨ - في عام ٢٦١هـ/٨٧٥م ثار المولدون في الأندلس بزعامة عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي سانده سعدون السرنباقي وبمآزرة أذفونش الكبير حاكم ليون ، وكان الأمير محمد قد أرسل جيشا لمحاصرة بطلميوس قاعدة الجليقي بقيادة ابنه المنذر والوزير هاشم بن عبد العزيز ،في الوقت نفسه أرسل الجليقي بطلب المساعدة من سعدون السرنباقي الذي سارع إلى نجدته بقوة كبيرة مدعمة بإمدادات من أذفونش الليوني ،وفي الطريق حاول الوزير هاشم قطع الطريق أمام قوات السرنباقي غير أنه فشل ووقع في الأسر ،حيث أرسله سعدون إلى بلاط أذفونش في أبيط (OVIEDO)،وظل في الأسر قرابة ثماني سنوات ، ولم ينته حتى سقط التحالف بين الزعماء الثلاثه،واستلم عبد الرحمن للأمير الأموي إلا انه عاود الثورة ضد الأمير محمد[2] .

٩-في عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م ثار عمر بن حفصون ضد الأمويين في الأندلس وقاد ثورة اعتبرها العديد من المؤرخين أخطر الثورات التي اندلعت ضد بني أمية هناك ، واستمرت قرابة خمسين عاماً ، وكانت هذه الثورة من الخطورة أن حاول زعيمها طلب المساعدة من جميع الممالك المجاورة بداية من الأغالبة في إفريقية إلى حكام الممالك النصرانية من الشمال ،واستجاب العديد منهم لطلب نذكر منهم أفونش الكبير-انظر ملحق رقم(٧) -حاكم ليون وغارسية بن ونقه حاكم نافارة [3].

١٠- في عام٣١٨هـ/٩٣٠م اندلعت ثورة في مدينة طليطلة بزعامة عبد الرحمن بن مروان الذي طلب المساعدة والمساندة من ردمير الثاني (RamiroII) حاكم ليون، وذلك ضد حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقاد الأخير جيشاً كبيراً تمكن من محاصرة القوات المتحالفة ضده، واضطرهم للاستسلام[4].

١١- في عام ٣٢٧هـ/٩٣٤م ثار محمد بن هاشم التجيبي حاكم قسطله ضد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وطلب التأييد والمناصرة سرا من ردمير الثاني حاكم ليون ،وعندما رفض حكام

---

(1) هو عمروس بن عمروس بن يوسف، جده عمروس كان والياً على طليطلة أيام الأمير الحكم الربضي، فقد سبق التعريف به

(2) Hajji,Pol,Rel .And .Rebels,P.P(88-89).

(3) Dozy,Spanish,Islam,P(265) .Watt,A History of I slamic Spain,(37) .

(4) ابن خلدون، العبر، جـ(٤)، ص(٣٠٥-٣٠٦) Watt, Op.Cit , P(40)

المدن المجاورة الانضمام لثورته أرسل ردمير قوات عسكرية ضدهم لإجبارهم على القبـــول ومناصرة التجيبي ،وزداد الأمر سوءاً بانضمام الملكة طوطه الوصية على عرش نافاره إلى هذا التحالف لكنهم فشلوا عن الصمود أمام قوات الناصر وتمكن الأخير مـــــن أســـر محمـــد التجيبي[1] .

[1] المسعودي ،مروج الذهب ،جـــ(٢)،ص(٣٨) .

الخاتمة

وفي ختام الدراسة، وبعد أن طوفنا في رحاب أهل الذمة في الأندلس، ذلك الطرف الأغر في جسم الدولة الإسلامية العظيمة، وبعد أن استعرضنا في الفصول السابقة أنشطة الذميين هناك، وأجبنا على ما ورد من تساؤلات حول مكانتهم الاجتماعية، نخلص إلى النتائج التالية :

١. أهل الذمّة هم المعاهدون من أهل الكتاب من النصارى واليهود، ويلحق بهم السامرة والمجوس، وغير هؤلاء مشركون لا يجوز لهم عقد ذمّة ولا عهد.

٢. الشروط الواجبة شرعاً لعقد الذمّة هي الالتزام بأحكام الإسلام في المعاملات المالية والعقوبات والحدود الشرعية، وكذلك الإقرار بدفع الجزية الواجبة عليهم.

٣. يتم عقد الذمّة بإيجاب وقبول ما بين إمام المسلمين – أو من ينوب عنه– وبين الذمّي، وإذا ما صحّ العقد للذمّي وجبت له حقوق مدنيّة، وترتبت عليه واجبات.

٤. حرص المشرع الإسلامي على الرفق بأهل الذمّة، ومعاملتهم المعاملة الحسنة، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم، وذلك باتفاق العلماء والفقهاء.

٥. عانى سكان أسبانيا كثيراً من حكم القوط الغربيين الذين اضطهدوهم وأجبروهم على التنصر وفق عقيدة الكاثوليك، وترك مبادئ التوحيد –الأريوسية– كما أجبروا اليهود على التنصر القسري، الأمر الذي أدى إلى اتساع الهوة ما بين السكان والطبقة الحاكمة.

٦. استقبل السكان الأسبان جيوش الفتح الإسلامي بالتأييد والمآزرة لتخليصهم من ظلم وجور القوطيين .

٧. عامل المسلمون أهل الذمّة في الأندلس معاملة حسنة، قائمةً على العدل والمساواة والتسامح الديني، فضمنوا لهم تنظيمهم الديني و الإداري وأماكنهم المقدسة، و لم يتعرضوا لها بالهدم أو التخريب.

٨. ضم بلاط الأمويين في قرطبة عدداً من الذمّيين الذين شغلوا مناصب رسمية للدولة أمثال القومس ربيع بن توديلفو الذي أولاه الأمير الحكم الربضي (١٨٠هـ–٢٠٦هـ/٧٩٦م–٨٢٢م) فرض الضرائب على العامة ، وقومس بن انتنيان كاتب الأمير محمد (٢٣٨هـ–٢٧٣هـ/٨٥٢م–٨٨٦م)، إضافة إلى حسداي بن اسحق ابن شبروط الذي ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ–٣٥٠هـ/٩١٢م–٩٦١م) إدارة مالية.

٩. لعب العديد من النصارى واليهود دوراً هاماً في النشاط الدبلوماسي بين العاصمة المركزية قرطبة، والممالك الأخرى من خلال إرسالهم في سفارات رسمية وغير رسمية، أو العمل كمترجمين لسفراء تلك الدول إلى البلاط الحاكم في الأندلس.

١٠. احتكم الذمّيون في قضاياهم مع المسلمين إلى القضاء الإسلامي، مما ترتب عليه ضرورة إلمام قاضي المسلمين بعادات وتقاليد المستعربين في الأندلس.

١١. حوت المدن الأندلسية الكثير من أحباس الذمّيين التي حبست على أماكن عبادات، ولجهات أخرى.

١٢. نشأت في المجتمع الأندلسي العديد من العلاقات الاجتماعية الخاصة بين الذمّيين والمسلمين كالصداقة والزواج المختلط وغيرها، فظهرت تأثيرات اجتماعية متبادلة بين الطرفين كاستخدام أسماء وألقاب إسبانية خالصة والعكس صحيح.

١٣. مارس الذمّيون شعائرهم الدينية في جو من الحرية والتسامح، فلقد احتفلوا بأعيادهم الرسمية ومناسباتهم الدينية الخاصة، واهتموا بزيارة قبور قديسيهم ومزاراتهم الدينية.

١٤. في عام (٢٣٦هـ/٨٥٠م) اندلعت في قرطبة فتنة هدف المستعربين من خلالها تقويض حكم المسلمين في الأندلس، ولولا حكمة الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦هـ-٢٧٣هـ/٨٢٢م-٨٥٢م) وحنكة ابنه الأمير محمد (٢٣٨هـ-٢٧٣هـ/٨٥٢م-٨٨٦م) لأودت هذه الفتنة بالمجتمع الأندلسي في أتون حرب أهلية مدمرة، وعرفت هذه الحركة عند المؤرخين بفتنة المستعربين- حركة المنتحرين.

١٥. شكّل أهل الذمّة نسبة لا بأس بها من سكان القرى، والكور في الأندلس الذين عملوا في الزراعة والفلاحة، وبرعوا في فنونها وشاركوا بنصيب وافر في النشاط الصناعي فكان منهم الحرفيون والمهنيون، في حين برع اليهود في أعمال الصرافة وصياغة الذهب ونظم الأحجار الكريمة.

١٦. كان لليهود دور كبير في تطور حركة التجارة الخارجية بين الأندلس والدول الأخرى، فلقد أطلق عليهم لقب الراداليون (Radanetes) نسبة إلى حوض الرون الذي تمركزوا فيه، وأسسوا حوله مراكز تجارية هامة.

١٧. ظهر تيار الاستعراب في الثقافة الأندلسية نتيجة تأثر المعاهدين بالفكر والثقافة العربية، فظهرت اللغة الرومانثية (Romance) وهي لغة خليط من اللاتينية الدراجة واللغة العربية.

١٨. ساهم العديد من الذمّيين بتطور حركة الترجمة من والي اللغة العربية، وذلك نتيجة إلمامهم بالعديد من اللغات الهامة كاللاتينية والعبرية والعربية.

١٩. كان للاهتمام البالغ الذي أولاه حكام البيت الأموي للتعليم أثراً بالغاً في شيوعه بين جميع فئات المجتمع الأندلسي، حيث أصبح التعليم عاماً وشاملاً ومجانياً لكافة الطوائف الدينية في البلاد، كما وظهر التعليم الخاص بهذه الطوائف.

٢٠. اشتهر عدد من علماء أهل الذمّة في الأندلس أمثال هيروشيش وحفص بن ألبر وربيع بن زيد و يحيا بن يوسف بن قاقوذا وغيرهم.

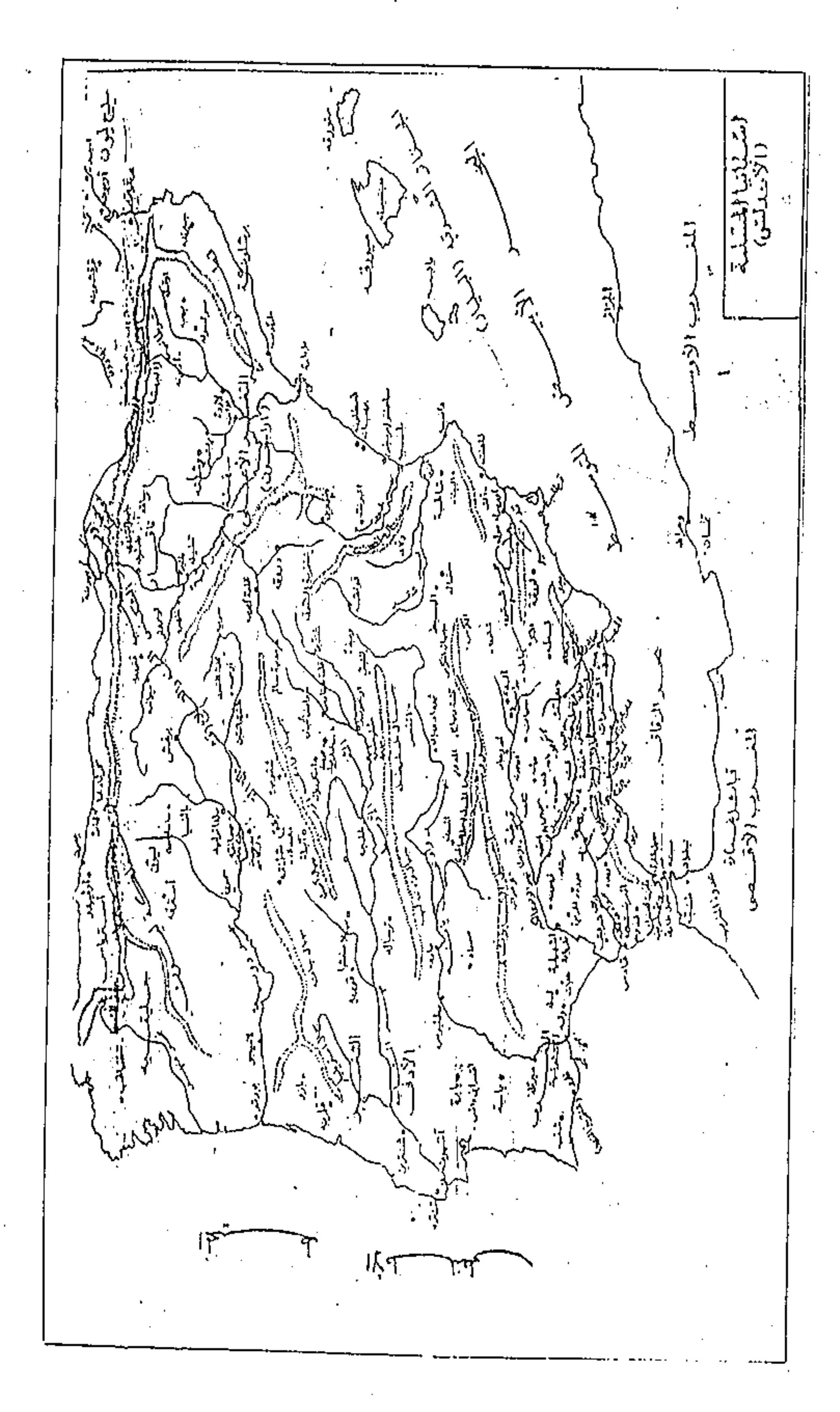
٢١. تميز العديد من الأطباء الذمّيين في الأندلس ممن كان له دور في تطور مهنة الطب هناك أمثال جواد الطبيب وخالد بن يزيد وحسداي بن شبروط ومروان بن جناح.

٢٢. اتسمت العلاقات الخارجية لدولة بني أمية في الأندلس بطابع الحيطة والحذر الشديدين، وتفاوتت من وقت لآخر بين سلم وآمان إلى حروب ومعارك طاحنة.

٢٣. كان من نتائج هذه العلاقات أن ظهر أهل الذمّة كفئات اجتماعية مذبذبة الولاء بين قرطبة والممالك النصرانية المجاورة للأندلس مما أدى إلى العديد من ثورات المستعربين، وظهور ما يسمى بالمقاومة العسكرية ضد المسلمين، بالإضافة إلى مساندتهم للخارجين من العرب المسلمين ضد حكامهم.

الملاحق

ملحق رقم (٢)



ملحق رقم (١)

ملحق- نص كتاب الصلح الذي صالح المسلمون عليه تدمير[1]

"بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش أنه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمته وذمّة نبيه ﷺ ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر، لا يُترَع من ملكه، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون، ولا يفرق بينهم و بين أولادهم، ولا نسائهم، ولا يكرهوا على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا يُترع ع كنائسه ما يعبد، وذلك ما أدى الذي اشترطنا عليه، وأنه صالح على سبعة مدائن:

أوريولة(Orihuela) بلتنه(Baltana) ولقنت(Lalicante) ومولة(Mula) وبلانة(Villena) ولورقة(Lorca)واله(Ello)، ولا يأوي لنا آبقاً، ولا يأوي لنا عدواً، ولا يخيف لنا أمناً، ولا يكتم خبر عدو علمه، وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة، وأربعة أمداد قمح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أقساط خل، وقسطي عسل، وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك.

وكتب في رجب سنة ٩٤هـ".

---

[1] أنظر الحميري ، وصف جزيرة الأندلس، ص(٦٣).

ملحق رقم (٣)

السلم الإكليريكي لرجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية

المرتبة الكهنوتية	الوصف الوظيفي للمرتبة
البابا (أسقف العاصمة روما)	رأس الأمر، وسيد الإكليريكين جميعهم[١].
البطريرك (المطران-رئيس الأساقفة)	هو أسقف العاصمة[٢]، كهنوت الأبرشية الأعظم، يأتي بالإنتخاب بين أساقفة الابرشية الواحدة، ولايكون في الابرشية سوى مطرانا واحد.
الخوري أسقف (الأرج دياكن)	الأسقف المعاون للمطران، ويعينه الأخير[٣].
الأسقف	سيد كنيسة المدينة، ولا يكون فيها سوى أسقفا واحدا ويعينه المطران[٤].
القس (الكاهن)	مساعد الأسقف ومتولى الصلاة في الكنيسة[٥].
الشماس (الخوري)	أدنى من درجة القساوسة، وسلطته الدينية غير رسمية[٦] بعد.
الإيبوزياك	مساعد الشماس،وصغير خدام الكنيسة[٧].

---

(١) حنانيا إلياس، مجموعة الشرع الكنسي، ص(١٠٤).

(٢) المصدر السابق،ص(١٨١).

(٣) المصدر السابق، ص(١٣٢-١٨٢).

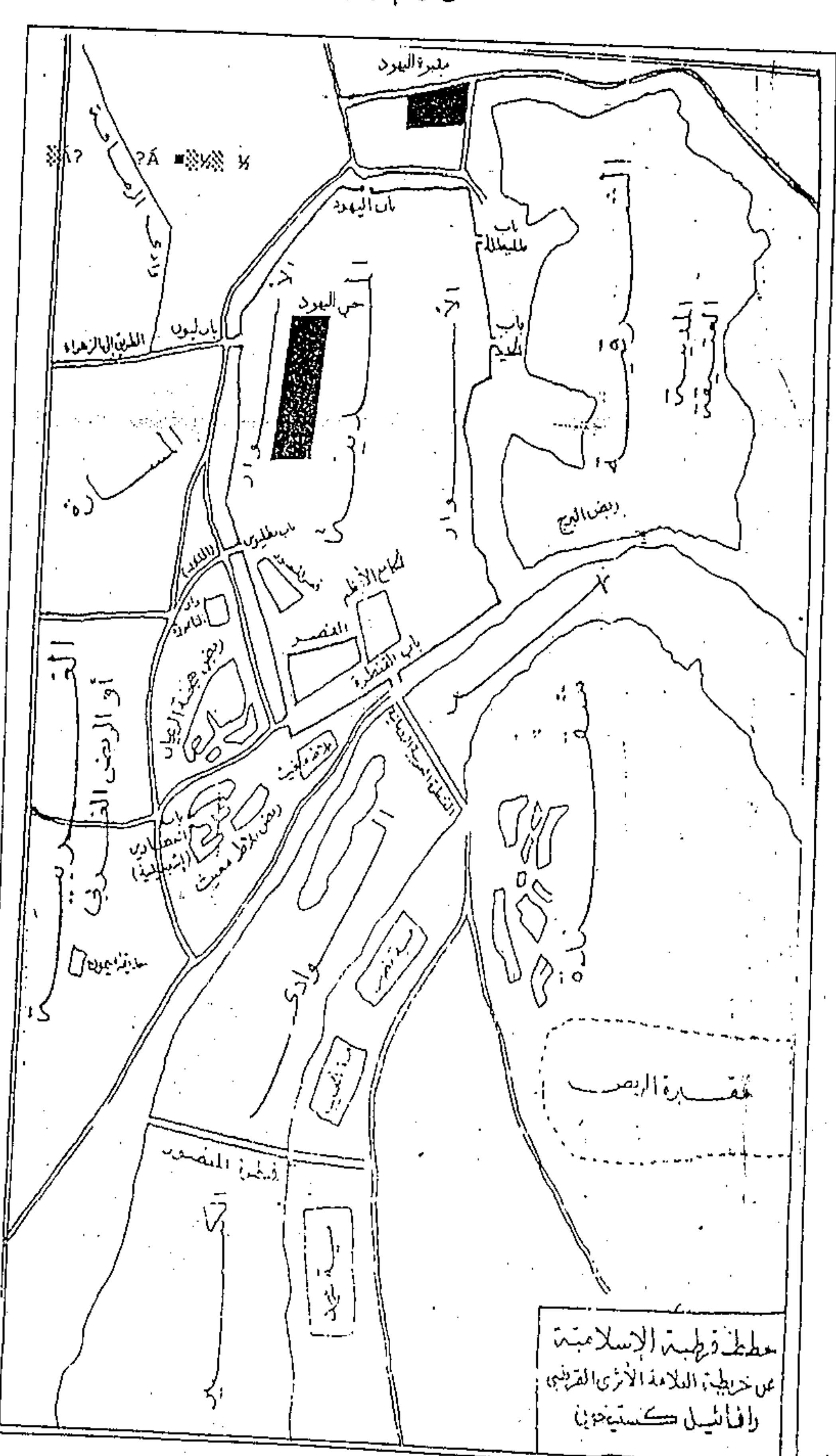
(٤) المصدر السابق، ص(١٠٥).

(٥) المصدر السابق، ص(٢٣٦-٢٣٧).

(٦) المصدر السابق، ص(٩١-٢١٦).

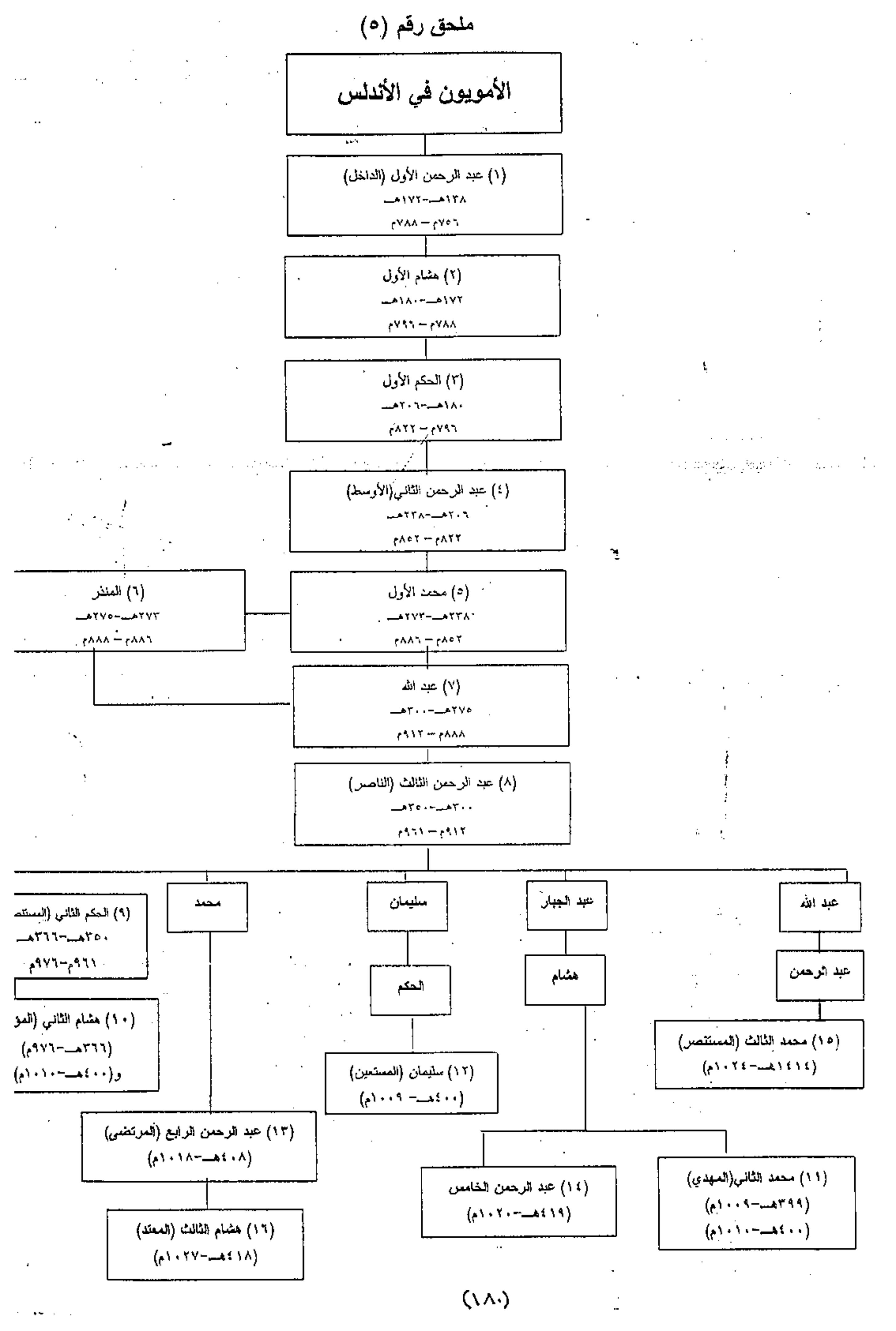
(٧) المصدر السابق، ص(٢١٦-٢١٧).

ملحق رقم (٤)



مقبرة اليهود
باب اليهود
باب طليطلة
حي اليهود
باب ليون
الطريق إلى الزهراء
باب الحديد
الجامع الأعظم
القصر
باب القنطرة
ربض البرج
مقبرة الربض
مخطط قرطبة الإسلامية
عن خريطة العلامة الأثري القرطبي
رافائيل كستيخون

ملحق رقم (٥)


الأمويون في الأندلس
(١) عبد الرحمن الأول (الداخل)
١٣٨هـ-١٧٢هـ
٧٥٦م - ٧٨٨م
(٢) هشام الأول
١٧٢هـ-١٨٠هـ
٧٨٨م - ٧٩٦م
(٣) الحكم الأول
١٨٠هـ-٢٠٦هـ
٧٩٦م - ٨٢٢م
(٤) عبد الرحمن الثاني(الأوسط)
٢٠٦هـ-٢٣٨هـ
٨٢٢م - ٨٥٢م
(٥) محمد الأول
٢٣٨هـ-٢٧٣هـ
٨٥٢م - ٨٨٦م
(٦) المنذر
٢٧٣هـ-٢٧٥هـ
٨٨٦م - ٨٨٨م
(٧) عبد الله
٢٧٥هـ-٣٠٠هـ
٨٨٨م - ٩١٢م
(٨) عبد الرحمن الثالث (الناصر)
٣٠٠هـ-٣٥٠هـ
٩١٢م - ٩٦١م
عبد الله
عبد الجبار
سليمان
محمد
(٩) الحكم الثاني (المستنص
٣٥٠هـ-٣٦٦هـ
٩٦١م-٩٧٦م
عبد الرحمن
هشام
الحكم
(١٠) هشام الثاني (المؤ
(٣٦٦هـ-٩٧٦م)
و(٤٠٠هـ-١٠١٠م)
(١٥) محمد الثالث (المستكفي)
(٤١٤هـ-١٠٢٤م)
(١٢) سليمان (المستعين)
(٤٠٠هـ- ١٠٠٩م)
(١٣) عبد الرحمن الرابع (المرتضى)
(٤٠٨هـ-١٠١٨م)
(١٤) عبد الرحمن الخامس
(٤١٩هـ-١٠٢٠م)
(١١) محمد الثاني(المهدي)
(٣٩٩هـ-١٠٠٩م)
(٤٠٠هـ-١٠١٠م)
(١٦) هشام الثالث (المعتد)
(٤١٨هـ-١٠٢٧م)

ملحق رقم (٦)

الرقم	القديس أو القديسة	اليوم	بالشهور العجمية الميلادية	بالشهور السريانية	بالشهور القبطية	ملاحظات عامة
١-	يليان	٧	ينير (يناير)	كانون آخر	طوبه	- قبره في مدينة إنطاكية ويسمى شهيداً.
٢-	الأربعين	٩	-	-	-	- الأربعين المقتولين بأرجينه على يد مرحلين القائد بها.
٣-	شبشتان وأصحابه	٢٠	-	-	-	- قبورهم بروما.
٤-	الثلاثة	٢١	-	-	-	- الشمامة الثلاثة المقتولين بطرقونه.
٥-	بنحنيت الشماس	٢٢	-	-	-	- المقتول بمدينة بلنسية.
٦-	بابلي الاسقف وتلاميذه	٢٤	-	-	-	- مقتلهم بأنطاكية ويسمونهم شهداء.
٧-	طرشوش وأصحابه	٢٨	-	-	-	- مقتلهم بأغريقية ويسمونهم شهداء.
٨-	اغطا	٥	فبرير (فبراير)	سباط(شباط)	أمشير	- المقتولة بمدينة قطانية ويسمونها شهيداً.
٩-	ضروظه	٧	-	-	-	- المقتولة بمدينة قيسارية.
١٠-	أولاليه	١٢	-	-	-	- المقتولة بمدينة برحلونة.
١١-	ش. بلانتين	١٤	-	-	-	——
١٢-	قاطدة ش. فير	٢٢	-	-	-	——
١٣-	اندراش وحلدونيش	٣	مارس	آذار	برمهارت	——
١٤-	قلف الحواري	٢٢	ابريل	نيسان	برمودة	في بيت المقدس.
١٥-	ادريان	١٦	يونيه(يونيو)	حزيران	بؤونه	——
١٦-	شرياق وبوله	١٧	-	-	-	المقتولين بمدينة المرية.
١٧-	جرواش وبرطوش	١٩	-	-	-	المقبورين بميلان.
١٨-	فطرش وفولوس	٢٩	-	-	-	الرسولين المقتولين بمدينة روما.
١٩-	شيمون ويهود	١	يوليه(يوليو)	تموز	أبيب	الحواريين المقبورين بأرض فارس.
٢٠-	فرشتوبل	١٠	-	-	-	المقبور بأنطاكية.
٢١-	مرسيانا	١١	-	-	-	المقتولة وقبرها بمدينة قيسارية.
٢٢-	يوشته ورفينه	١٧	-	-	-	المقبورتين بأشبيلية.
٢٣-	اشبراط	٢١	-	-	-	مقبرته بقرطاجنة.
٢٤-	مقدالينا	٢٢	-	-	-	——

الرقم	القديس أو القديسة	[illegible]	بالشهور العجمية الميلادية	بالشهور السريانية	بالشهور القبطية	ملاحظات عامة
-٢٥	برطلوماز الحواري	٢٤	يوليه (يوليو)	تموز	أبيب	– ومقبرته بالهند
-٢٦	ققوفاس	٢٥	-	-	-	– المقبور بمدينة برجلونه
-٢٧	قرشتيه	٢٦	-	-	-	– مقبرها بمدينة صور
-٢٨	ياقوب	٣١	-	-	-	– مقبرته بمدينة قيساريه
-٢٩	فلج الشهيد	١	اغشت(اغسطس)	آب	مسري	——
-٣٠	يهيش وبشتر	٦	-	-	-	– المقتولين بمدينة وادي الحجارة
-٣١	بماش	٧	-	-	-	– المقبور في مدينة قيسارية
-٣٢	شنجشت الأسقف و لورنت الشماس وأبوليط	٩	-	-	-	– المقتولين بروما
-٣٣	سمفوريش وشمبون و برطلو ماز	٢٤	-	-	-	– المقبورين بمدينة استوربوس
-٣٤	يناشش	٢٥	-	-	-	– المقبور بأرلطة
-٣٥	فلج الاسقف	٣٠	-	-	-	– المقبور بمدينة نوله
-٣٦	اكسان الأسقف واصحابه	١	شتنبر(سبتمبر)	الول	توت	– شهداء
-٣٧	شم مرية	٨	-	-	-	——
-٣٨	جفريان الحكيم أسقف قرطاجنة	١٤	-	-	-	– المقتول بأفريقية
-٣٩	أوفيميا	١٦	-	-	-	– المقتولة بمدينة قلقدونه
-٤٠	هتاى الحواري	٢١	-	-	-	– قتله اجليبس ملك الحبشة
-٤١	بوليه وأصحابه	١	اكتبر(اكتوبر)	تشرين أول	بابه	——
-٤٢	الشهداء الثلاثة(*١)					– المقتولين بقرطبة ومقابرهم بريض البرج
-٤٣	ش لوق	١٨	-	-	-	– يسمونه الأنجيلي
-٤٤	كشماس ودميان	٢٢	-	-	-	– طبيين بمدينة أكه
-٤٥	شربند وجرمان	٢٣	-	-	-	– الكاتبين المقتولين على يد فياطر
						– المتوجه من ماردة إلى أرض البربر
-٤٦	بنجنت وشبينه وقرسطاطا	٢٨	-	-	-	– المقتولين بوادي الحجارة على يد دهيان والي الأندلس

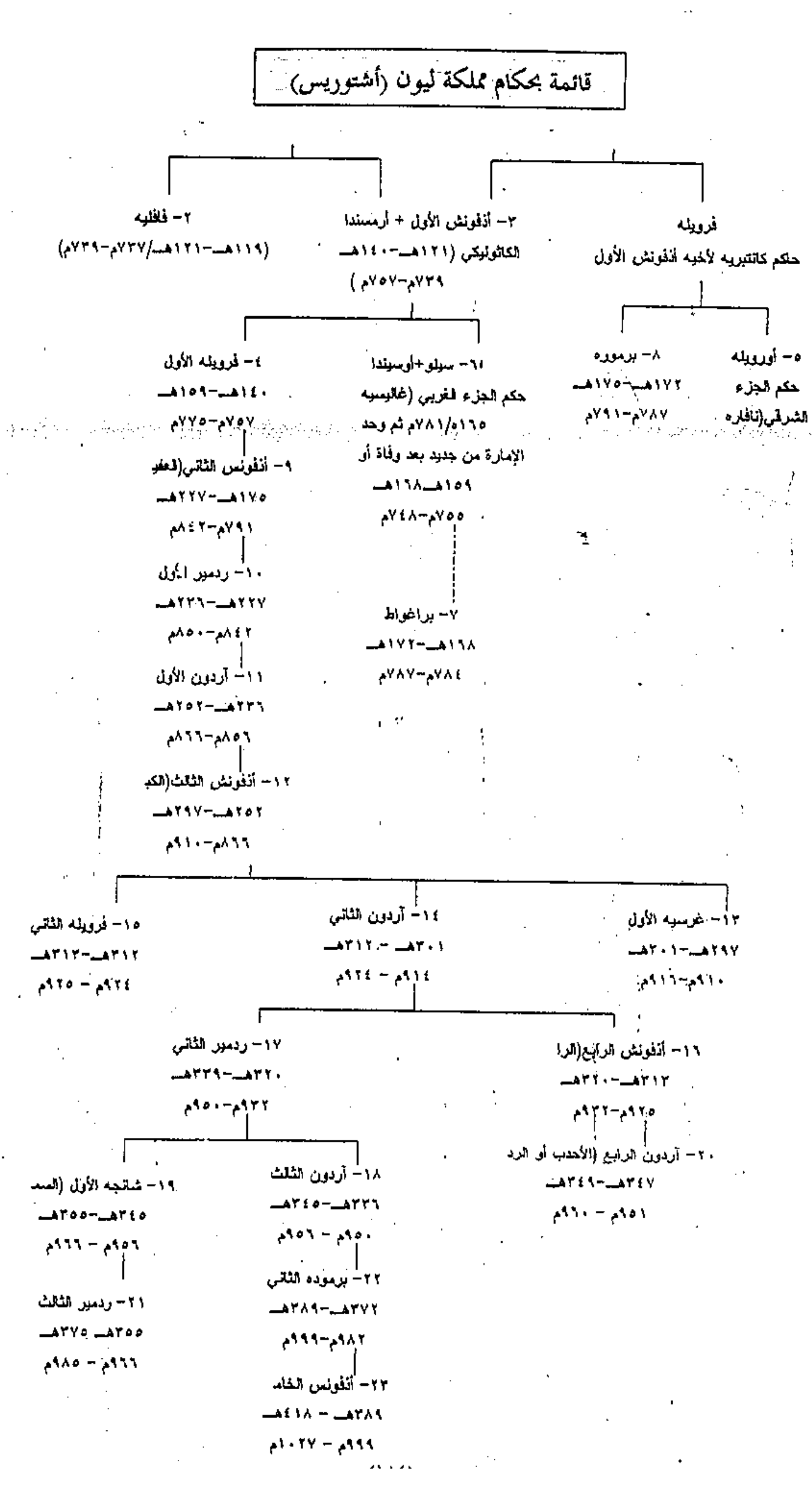
[١] وهم فوستو وجانيرو ومارشال.

Simonet, Historia de los Mozarates, P(327.615).

الرقم	القديس أو القديسة	[illegible]	بالشهور العجمية الميلادية	بالشهور السريانية	بالشهور القبطية	ملاحظات عامة
٤٧-	شيمون وحودا	٢٩	اكتبر(اكتوبر)	تشرين أول	بابه	ـــــ
٤٨-	مرقيل	٣٠	-	-	-	- المقتول على يدي دصيان والي الأندلس.
٤٩-	مرطورر	١	نونبر(نوفبر)	تشرين آخر	هتور	ـــــ
٥٠-	شويلش	٤	-	-	-	- المقتول بقرطبه ويسمونه شهيداً و مقبرته بكنيسة الطرازين
٥١	دفن مرنين المعظم	١١	-	-	-	- مقبرة بافرنجة بمدينة طروسه
٥٢	أجلج	١٨	-	-	-	- المقتول على ديونه الوالي بقرطبه وقبرة بكنيسة الأسرى
٥٣	رُمان	١٩	-	-	-	- المقتول بأنطاكية.
٥٤	قرشبين	٢٠	-	-	-	- المقبور في الدير بجوف مدينة استجه.
٥٥	كجيليه وصاحباتها	٢٢	-	-	-	- المقتولات بمدينة روما.
٥٦	كلمنت أسقف روما الثالث	٢٣	-	-	-	- بعد الحواري فاطرش قتلة تربان
٥٧	فقندش وصاحبه	٢٧	-	-	-	- المقبورين في حوز ليون
٥٨	أندريس	٣٠	-	-	-	- المقبور بأرض روما.
٥٩	لقاديه	٩	دجنبر (ديسمبر)	كانون أول	كيك	- المقبورة بطليطلة
٦٠	أولاليه	١٠	-	-	-	- المقتولة وقبرها بمارده ويسموها شهيده.
٦١	يشتش وأبوندش	١٤	-	-	-	- الشهدين المقبورين ببيت المقدس.
٦٢	استابن	٢٦	-	-	-	- الذي كان مقبره ببيت المقدس ويسمونه كبير الشهداء.
٦٣	يعقوب الحواري	٢٨	-	-	-	- المعروف بأخ المسيح وقبره ببيت المقدس[1].
٦٤	أوقانيه	٣٠	-	-	-	- ومقبرها بروما ويسموها شهيداً.
٦٥	كلمبه	٣١	-	-	-	- المقتولة بروما ويسموها شهيداً.

[1] وهنا يخالف عريب بن سعد الأسطورة النصرانية عن نقل جثمان هذا الحواري من بيت إلى جليقة في شمال إسبانيا حيث "شانت ياقب".

ملحق رقم (٧)



قائمة بحكام مملكة ليون (أشتوريس)
فرويله
حكم كانتبريه لأخيه أذفونش الأول
٣- أذفونش الأول + أرمسندا
الكاثوليكي (١٢١هـ-١٤٠هـ
٧٣٩م-٧٥٧م)
٢- فافليه
(١١٩هـ-١٢١هـ/٧٣٧م-٧٣٩م)
٥- أورويله
حكم الجزء
الشرقي(نافاره
٨- برموره
١٧٢هـ-١٧٥هـ
٧٨٧م-٧٩١م
٦- سيلو+أوسيندا
حكم الجزء الغربي (غاليسيه
١٦٥ه/٧٨١م ثم وحد
الإمارة من جديد بعد وفاة أو
١٥٩هـ-١٦٨هـ
٧٥٥م-٧٤٨م
٧- براغواط
١٦٨هـ-١٧٢هـ
٧٨٤م-٧٨٧م
٤- فرويله الأول
١٤٠هـ-١٥٩هـ
٧٥٧م-٧٧٥م
٩- أذفونس الثاني(العفو
١٧٥هـ-٢٢٧هـ
٧٩١م-٨٤٢م
١٠- ردمير الأول
٢٢٧هـ-٢٣٦هـ
٨٤٢م-٨٥٠م
١١- أردون الأول
٢٣٦هـ-٢٥٢هـ
٨٥٦م-٨٦٦م
١٢- أذفونش الثالث(الكب
٢٥٢هـ-٢٩٧هـ
٨٦٦م-٩١٠م
١٣- غرسيه الأول
٢٩٧هـ-٣٠١هـ
٩١٠م-٩١٦م
١٤- أردون الثاني
٣٠١هـ-٣١٢هـ
٩١٤م - ٩٢٤م
١٥- فرويله الثاني
٣١٢هـ-٣١٣هـ
٩٢٤م - ٩٢٥م
١٦- أذفونش الرابع(الرا
٣١٣هـ-٣٢٠هـ
٩٢٥م-٩٣٢م
١٧- ردمير الثاني
٣٢٠هـ-٣٣٩هـ
٩٣٢م-٩٥٠م
٢٠- أردون الرابع (الأحدب أو الرد
٣٤٧هـ-٣٤٩هـ
٩٥١م - ٩٦٠م
١٨- أردون الثالث
٣٣٦هـ-٣٤٥هـ
٩٥٠م - ٩٥٦م
٢٢- برموده الثاني
٣٧٢هـ-٣٨٩هـ
٩٨٢م-٩٩٩م
٢٣- أذفونس الخام
٣٨٩هـ - ٤١٨هـ
٩٩٩م - ١٠٢٧م
١٩- شانجه الأول (السمـ
٣٤٥هـ-٣٥٥هـ
٩٥٦م - ٩٦٦م
٢١- ردمير الثالث
٣٥٥هـ ٣٧٥هـ
٩٦٦م - ٩٨٥م

ملحق رقم (٨)

النصارى	اليهود	المسلمون
–	الناصي Nasi– منصب فخري	الأمير
القومس	المقدم أو النعمان –ناجد بالعبرية–	والي المدينة
–	الواعظ	المستشار
قاضي العجم	قاضي العجم	القاضي
المشرق	–	صاحب بيت المال
مستخرج الخراج	–	صاحب الخراج

جدول مقارنة بين الوظائف الإدارية عند كل من النصارى واليهود والمسلمون

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات والوثائق

جرمانوس ، يوسف : بيان الأعياد الموضوعة لأيام السنة، ميكروفيلم في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية، رقم الشريط (٧٥٦).

ابن حبيب : عبد الملك السلمي، ت(٢٣٨هـ)، كتاب بدء الخلق، ميكروفيلم في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية، رقم الشريط (٥٦٤).

العزفي : أبو القاسم، د.ت، الدر المنظم في مولد النبي المعظم مخطوطة في مكتبة الاسكوريال،تحت رقم (١٧٤١)، ورقة (٤)، وجه

القرطبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت(٦٧١هـ) الأعلام بما في دين المسيح من الفساد والأوهام (ميكروفيلم في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية)، رقم الشريط (٦٥٩)

ابن هشام : أبو الوليد هشام ابن عبد الله الأسدي القرطبي، د.ت، مفيد الحكام في نوازل الأحكام، مخطوط في مكتبة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، رقم المتسلسل (١٠٣)، رقم الفهرست ٢/٢١٧، ١٢٧٧هـ.

المصادر العربية

- ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ت(٦٥٨هـ) ، الحلة السيراء، ط(٢)، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

———— : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

- الأخطل : أبو مالك غياث بن غوث ، ت(٩٢هـ) ، الديوان ، تحقيق محمد فخري قباوة ، دار الأصمعي ، حلب .

- ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي، د.ت ، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كمبرج،١٩٣٧م.

- ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، ت(٦٦٨هـ) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مكتبة الحياة، بيروت.

- الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، ت(١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت.

- البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ،ت(٢٥٦هـ) ، الجامع الصحيح ، تحقيق محمود أحمد شاكر ، دار إحياء التراث ، القاهرة.

- ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام ، ت(٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري، ت (٥٧٨هـ، كتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري،القاهرة، ١٩٨٩م.

- ابن بصال : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي، د.ت، الفلاحة، نشر خوسي ماريه بياس ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م.
- البغدادي : عبد القاهر بن طاهر ، ت(٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق ، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي ، دار الخليل ، بيروت ، ١٩٨٧م.
- البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو ، ت(٤٨٧هـ)، جغرافية الأندلس وأوروبا متخبة من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي حاجي ، دار الإرشاد ، بيروت ١٩٦٨م.
- البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، ت(٢٩٩هـ) فتوح البلدان، ط(١)، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين التطيلي، تعريب عزراحداد، المطبعة النشرقية، بغداد، ١٩٤٥م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، ت(٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط(١)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م.
- التنوخي : أبو علي المحسن بن علي، ت(٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ،تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.
- ـــــــــ : الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت/ ١٩٧٨م.
- ابن تيميه : تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ، ت(٧٢٨هـ) ، الفتاوى الكبرى ، ط(١) ،تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية .
- ـــــــــ : الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تحقيق حمد عبد الله ،دار ابن خزم ، بيروت ، ١٩٩٧م.
- ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان، د.ت، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد،

المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د.م، ١٩٥٥م.

- الجمحي : محمد بن سلام ، ت(٢١٣هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة.

- الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس، ت(٣٣١هـ) الوزراء والكتاب، ط(١)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، مطبعة بأبي الحلبي، مصر، ١٩٣٨.

- ابن الجوزي : أبو عمر عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت(٥٩٧هـ) ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن ا لخطاب، ط(٢) ، تحقيق زينب إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م.

- حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله القسطنطي الحنفي، ت(١٠١٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.

- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت(٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، ط(٣)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٩١م.

- ________ : طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار الهلال، الرياض، ١٩٩٤م.

- ________ : فضائل الأندلس وأهلها،ط(١)، تقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديدة، القاهرة،١٩٦٨م.

- الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الفتوح بن عبد الله ت(٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، جـ(١)، ط(٢)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩.

- الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ،ت(٨٦٦هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط(٢) ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- الحميري : صفة جزيرة الأندلس، منتسخة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ط(٢)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٨.

– ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، ت(٣٦٨هـ) صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.

– ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حيان، ت(٤٦٩هـ)، المقتبس، القسم الخامس، تحقيق .شالميتا، المعهد الإسباني العربي الثقافي، مدريد، ١٩٧٩م، ص(٤٦٧).

________ : المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حاجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

________ : المقتبس، تحقيق ملتشور انطونية، بولس كتر الكتبي، باريس، ١٩٣٧م.

________ : المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، المركز الأعلى للشؤون الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٧١م.

– ابن خرداذبة : أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ،ت(٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

– ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد السلماني، ت(٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر.

________ : أعمال الأعلام ممن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام الموسوم بتاريخ إسبانيا الإسلامية،ص(٣٨)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

________ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.

–ابن خلدون : ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت(٧٥١هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م.

________ : المقدمة ،ط(٣) ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ،دار النهضة المصرية ، القاهرة

– أبو داود : الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت(٢٧٥هـ) ، السنن الكبرى ، تحقيق

عادل السيد ، دار الحديث ، بيروت ، ١٩٧١م.

- ابن دحية الكلبي : ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي البلنسي، ت(٦٣٣هـ)، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت(٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ط(١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن رجب الحنبلي : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، ت(٧٩٥هـ)، الإستخراج لأحكام الخراج، تحقيق محمود شلاش، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٩٨٩م.
- ابن رشد (الحفيد) : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ت(٥٩٥هـ) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مكتبة الكيان الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ابن رضوان : أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن الخطيب رضوان النجاري المالقي، ت(٧٥٣هـ) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.
- الزبيدي : مجد الدين أبو الفيض محمد مرتضي ،ت(١٢١٣هـ) ، تاج العروس وجواهر القاموس ، دار ليبيا ، بنغازي .
- الزجالي : أبو يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي، ت(٦٩٤هـ)، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الآوام ومرعى السوام، تحقيق محمد بنشريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون والثقافة، فاس ١٩٧١م.
- سحنون : عبد السلام ابن سعيد بن حبيب التنوخي، ت(٢٤٠هـ) المدونة الكبرى، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك، ت(٦٨٥هـ)، ذيل على رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وأهلها، ط(١)، تقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الحديد، القاهرة، ١٩٦٨م.

- ________ : المغرب في حلى المغرب، ط(٢)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ابن سهل : أبو الإصبغ عيسى بن سهل الأسدي، ت(٤٨٦هـ)، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس من مخطوطة (الأحكام الكبرى)، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٠هـ.
- ________ : وثائق في العمران مستخرجة من كتاب الأحكام الكبرى، ط(١)، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف القاهرة، المركز العربي للأعلام، ١٩٨٣م.
- ابن سيدة : أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت(١٠٦٦م)، المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، جـ(٥).
- السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، ت(٩١١هـ، بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن الشباط : محمد بن علي المصري، ت(٦٨١هـ)، قطعة في وصف الأندلس وصقيلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، نشره أحمد مختار العبادي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد(١٣)، سنة ١٩٦٧م- ١٩٦٨م.
- الشربيني : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب ، ت(٩٩٧هـ) ، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، دار المعرفة ، بيروت .
- الشريف الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت(٥٦٠هـ)، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م.
- الشهر ستاني : أبو الفتح عبد الكريم ، ت (٥٤٨هـ) ،كتاب الملل والنحل ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد ،ت(١٢٥٥هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، ط(١) ، تحقيق سيد بن إبراهيم ، دار الحديث ،

القاهرة .

: نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، دار الفكر، بيروت.

- الشيخ الدردير : أبو بركات أحمد بن محمد، ت(١٧٨٦م)، أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك والشرح عليه، تحقيق مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

- شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري، ت(٦٥٤هـ) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق اغشطس بن يحي بطربورغ، مطبوعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م.

- الشيزري : عبد الرحمن بن نصر، ت(٥٨٩هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م.

- الصابي : أبو الحسن هلال بن المحسن، ت(٤٤٨هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٨٥م.

- الصفدي : صلاح الدين بن ايبك، ت(٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ط(٢)، اعتناء محمد الحميري، دار فرانز شتاير، شتوتغارت، ١٩٩١م.

- الضبي : أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرت، ت(٥٩٩هـ)، بغة الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ط(١)، تحقيق إبراهيم الأبياري، مكتبة الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

- الطرطوشي : أبو بكر محمد ابن الوليد الفهري، ت (٥٢٠هـ)، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤م.

- ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، ت(١٧٨٦م)، أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك والشرح عليه، تحقيق مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

- ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، ت(٧٣٩هـ)، مراصد الإطلاع، ط(١)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤م.

- ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أيمن القرشي، ت(٢٥٧هـ)، فتوح

مصروأخبارها، ط(١)، مكتبة متبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

- **عبد الملك بن حبيب** : ت(٣٨٠هـ) كتاب التأريخ، تحقيق جورجي الحوادي، مدريد المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون في العالم العربي، ١٩٩١م.
- **عبد الواحد المراكشي** : محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي، ت(٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط(١)، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩م.
- **ابن عبدون** : محمد بن احمد النجبي، د.ت ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- **أبو عبيد** : القاسم بن سلام الطروي، ت(٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩م.
- **ابن عذارى** : أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، ت(٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.
- **العذري** : أحمد بن عمر، ت(٤٧٨هـ)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، وبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.
- **عريب-زيد** : عريب بن سعد، ت(٤١٨هـ)، وربيع ابن زيد الأسقف ت(٤٢٧هـ)، تقويم قرطبة، لعام ١٩٦١م، والمرسوم بكتاب الأنواء، تحقيق رينهارت دوزي ليدن، مطبعة ابريل، ١٩٦١م.
- **ابن عماد الحنبلي** : أبو الفلاح عبد الحي، ت(١٠٨٩م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط(٢)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
- **ابن غالب الغرناطي** : محمد بن أيوب، ت(٥٧١هـ) نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد الله البديع، مطبعة مصر، مصر، ١٩٥٦م.
- **الغساني** : محمد بن عبد الوهاب، ت(١١١٩هـ) رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق مزيد البستاني، مطلع الفنون المصورة، المغرب.
- **الفتح بن خاقان** : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيس الاشبيلي، ت(٥٢٩هـ) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط(١)، تحقيق محمد علي الشوابكة، دار

الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

- ابن فرحون : أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين بن علي بن محمد اليعمري، ت(٧٩٩هـ)، الديباج المذهب ف معرفة أعيان المذهب، ط(١)، تحقيق مأمون محي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

- الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، ت(٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، ط(٢)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

- ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحي، ت(٧٤٩هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشره فؤاد زكي، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٩م.

- ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، ت(٣٤٠هـ)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ.

- الفيروز أبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت(١٩١١م) ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، لقاهرة .

- ابن قدامة : موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ،ت(٦٢٠هـ) ، المغني ، دار الفكر ،بيروت ، ١٩٨٤م.

- قدامة بن جعفر : ت(٣٢٩هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسن الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١٢م .

- القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطار ، ت(٣١٠هـ) ، جمهرة أشعار العرب ، تحقيق محمد علي ، دار القلم ، دمشق .

- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أمد الأنصاري، ت(٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.

- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود، ت(١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

- القضاعي : أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر، ت(٤٥٤هـ)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق، تحقيق عبد الرحيم محمد، دار الينأبيع، عمان، ١٩٩٧.
- القلقشندي : أحمد بن علي،ت(٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط(١)، شرحه يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن القوطية : أبو بكر بن محمد بن عبد العزيز، ت(٣٦٧هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، ط(١)، تحقيق عبد الله أنس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٤.
- ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت(٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، ط(١)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١م.
- ________ :إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ، تحقيق حمد عفيفي ،المكتب الإسلامي ،١٩٨٦م.
- ابن الكرديوس : أبو مروان عبد الملك التوزري، د.ت، تاريخ الأندلس، قطعة من كتاب الإكتفاء في أخبار الخلفاء، نشره أحمد مختار العبادي، بحلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد(١٣)، ١٩٦٥م-١٩٦٦م.
- الكساني : علاء الدين أبو بكر بم مسعود، ت(٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- ________ : وصف جديد لقرطبة الإسلامية، قطعة من كتاب فن جغرافية الأندلس، نشره حسين مؤنس، بحلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م-١٩٦٦م.
- مالك ابن أنس : أبو عبد الله الأصبحي ، ت(١٧٩هـ) الموطأ، تحقيق بشار معروف، مؤسسة

الرسالة،بيروت.

- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد حبيب ت(٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت(٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط(١)، عبد الأمير علي مهنا، مؤسسة الأعلى للطباعة، بيروت، ١٩٩١م.
- المقدسي : :- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح ، ت(٧٦٣هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط(٣) ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ، ١,٩٩٠.
- المقدسي شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد ،ت(٦٨٢هـ) ، الشرح الكبير ، دار الفكر ، بيروت ،
- المقري : أحمد بن حمد التلمساني ت(١٠٤هـ)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
- ________ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
- المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ، ت(٨٤٥هـ) شذور العقود في ذكر النقود، ط(٥)، تحقيق محمد السيد علي، بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، التحف الأشراف، ١٩٦٧م.
- ________ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط(١)، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ، ت (٧١١ هـ) ، لسان العرب ، ط (٣) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٣م .

- النباهي : أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن المسالفي،ت(٧٩٢هـ)، المرقبة العليا ممن يستحق القضاء والفتيا، ط(١)، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٨م.
- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت(٧٣٣هـ) نهاية الإرب في فنون الأدب، ط(٢)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٢٩م.
- ابن هشام : محمد ابن أحمد اللخمي، ت(٥٧٧هـ)، ألفاظ مغربية من كتاب لحم العام، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد(٣)، جـ(١)، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ابن الوردي : زين الدين بن حفص بن عمر بن مظفر، ت(٧٤٩هـ) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ط(٢)، مطبعة مصطفى بأبي الحلبي، بمصر، ١٩٣٩م.
- الونشريشي : أبو العباس أحمد بن محي، ت(٩١٤هـ) المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، ط(١)، تحقيق محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ،ت(٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،
- اليعقوبي : أحمد ابن يعقوب بن جعفر بن واضح،ت(٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، ط(١)،تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.
- أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم القاضي ، ت(١٨٣هـ) ،كتاب الخراج، دار المعرفة العلمية والنشر، بيروت.

المراجع العربية

أرسلان ، شكيب : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

———— : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مطبعة عيسى بابي الحلبي بمصر.

الألوسي ، حكمة علي فصول في الأدب الأندلسي، ط(٢)، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٧٤م .

بالنثيا ،أنخل جونثالث : تاريخ الفكر الأندلسي، ط(٢)، تعريب حسين مؤنس الظاهر، مكتبة الثقافة الدينية.

بروفسال ، ليفي : الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

———— : حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة ص(٧٣)، بيروت.

———— : الحضارة العربية في إسبانيا، تعريب محمود علي مكسي، دار المعارف القاهرة،١٩٧٩م.

———— : الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥١م.

———— : الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب السيد عبد العزيز

سالم صلاح ملحمي، نهضة مصر، د.ت ١٩٥٦، ص(٦٤-٦٥).

بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب الغربي، ط(٣)، تعريب عبد التواب رمضان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

بروي ، إدوارد : تاريخ الحضارات العام، ط(٣)، تعريب أسعد داعز، منشورات، بيروت، ١٩٩٤م.

بشير ، محمد : القاموس الاقتصادي، ط(١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

بيضون ، إبراهيم : الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة الحديثة، بيروت، ١٩٨٠م.

توماس ، أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ط(٣)، تعريب حسن إبراهيم، وآخرون، مطبعة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.

حاجي ، عبد الرحمن علي : أندلسيات، ط(١)، دار الإرشاد،بيروت، ١٩٦٩م.

________ : التاريخ الأندلسي منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار العلم، دمشق.

الحايك ، سيمون : عبد الرحمن الأوسط، المطبعة البوليسية، بيروت.

حتاملة ، محمد عبده : إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٦م.

حمودة ، علي محمد : تاريخ الأندلس السياسي، دار الكتاب العربي،

خلاف ، محمد الوهاب : تاريخ القضاء في الأندلس، المؤسسة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.

دوزي ، رينهات : المسلمون في الأندلس، تعريب حسن حبشي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

أبو دياك ، صالح محمد فياض : الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة كتاني، إربد،

١٩٨٨م.
أبو رميلة ، هشام : نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، دار الطباعة المغربية، القدس، ١٩٨٠م.
الزركلي ، خير الدين : الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
زيدان ، عبد الكريم : أحكام الذميين والمستأمنين، مكتبة القدس، بغداد/ ص(٣٠).
سالم ، السيد عبد العزيز : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
__________ : تاريخ حضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
__________ : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٢م، ص(٦٥).
ستانلي ، لين بول : قصة العرب في إسبانيا تعريب علي جارم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.
السعدي ، غازي : الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان، ١٩٨٧م.
الشرباصي ، أحمد : المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجليل، بيروت، ١٩٨١م.
الشعراوي ، أحمد إبراهيم : أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.
الشيخ ، مرسي : هو محمد مرسي الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص(٩٦).
الصوفي ، خالد : تاريخ العرب في الأندلس، بنغازي، منشورات الجامعة

الليبية، ١٩٧١.
ظاظا ، حسن : الفكر الديني اليهودي، دار القلم ،دمشق، ١٩٨٧م.
عاشور ، سعيد عبد الفتاح : المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط(٢)، ص(٢٨)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.
العبادي ، أحمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية.
عباس ، إحسان : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط(١)، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٠م.
عبد البديع ، لطفي : الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
العريني ، السيد الباز : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.
العلبي ، أكرم حسن : التقويم، ط(١)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.
عمارة ، محمد : قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط(١)، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٣م.
عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، ط(٣)، مطبعة مدني، القاهرة، ١٩٨٨م.
عيسى بك ، أحمد : معجم الأطباء، ط(١)، مصر، مطبعة فتح الله إلياس وأولاده، ١٩٤٢م.
فرج ، مراد : القراؤون والربانيون، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.
قزاقيا ، خليل إبراهيم : تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، مراجعة ناصر عيسى، مطبعة المقطم، القاهرة، ١٩٢٤م.
كاسترو ، أميركو : حضارة الإسلام في إسبانيا، تعريب سليمان عطار، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٣م.
كحيلة ، عبادة : تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة،

القاهرة.

كولستون ، ج.ج . : عالم العصور الوسطى في النظم الحضارة، تعريب جوزيف نسيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

لويس ، أرشيبالد : القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، تعريب أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

مؤنس ، حسين : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي،١٩٨٦م.

________ : رحلة إلى الأندلس، ط(١)، مكتبة موهبة، القاهرة، ١٩٦٣م.

________ : فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٧م.

________ : فجر الأندلس، ط(٢)،الدار السعودية، جدة، ١٩٨٥م.

________ : معالم تاريخ المغرب، ط(١)، دار المستقبل، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

ماسينون ، السير لويس : خطط الكوفة وشرح خريطتها، ط(١)، تعريب تقي الدين المصعبي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العربي الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٧٩م.

أبو مصطفى ، كمال السيد : بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

معروف ، لويس : المنجد، المكتبة والمطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٦م.

نسيم ، جوزيف : تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضاراتها، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٤م.

هارديل ، والاس : أوروبا في صدور العصور الوسطى، ط(١)، تعريب حياة ناصر حجي، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٧٩.

هونكه ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب، ط(٨)، تعريب فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦م.

هونكه ، زيغريد : فضل العرب على أوروبا، تعريب فؤاد حسنين، على دار النهضة العربية، القاهرة.

هيكل ، أحمد : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط(١)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

وات ، مونتغمري : تاريخ أسبانيا الإسلامية، تعريب محمد رضا، شركة المطبوعات للتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م.

المجلات والدوريات العربية

بروفنسال ، ليفي : بنبلونه، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، مجلد (٨)، القاهرة.

________ : طليطلة، بحث منشور في دائرة المعـــارف الإســلامية- مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٦م.

بنشريفة ، محمد : حول التسامح الديني وابن ميمون والموحدين، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية، يونيو، ١٩٨٥م، تونس.

بنميرة ، عمر : جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية، يونيو ١٩٩٥م، العدد (١٤)، تونس.

حركات ، إبراهيم : الاقتصاد في العصر المريني، بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة محمد الخامس، العدد (١٣)، ١٩٧٨م، الرباط.

أبو دياك ، صالح محمد : : الزراعة في الأندلس وأثرها في التصنيع الزراعي، بحث منشور في المؤرخ العربي، الأمانة العامة الاتحاد لمؤرخين العرب، العدد (٤٤)، السنة السادسة عشرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، بغداد.

________ : العلاقات الثقافية بين المغرب والأندلس، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد (٣٣)، السنة الثالثة عشرة، ١٩٨٧.

سالم ، السيد عبد العزيز : الفنون والصناعات في الأندلس، بحث منشور في مجلة دائرة معارف الشام، مطابع الشعب، ١٩٥٩م، القاهرة.

______ : صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج، بحث منشور في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد (١٩)، ١٩٧٦م-١٩٧٨م، مدريد.

أبو صالح، وائل : جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية عدد(٦)، ذو القعدة ١٤١١هـ، جوان، ١٩٩١م.

الطالبي، محمد : الحرية الدينية- القاعدة والشذوذ- بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية، تونس، رجب، العدد (٧) ، ١٤١٢هـ .

الطيبي، أمين توفيق : إمارة عربية أندلسية في جزيرة إقريطش، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد(٢٨)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، بغداد.

عاشور، سعيد عبد الفتاح : الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد (١)، العدد الأول، يونيو، ١٩٨٠.

العبادي، أحمد مختار : التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسباني، بحث منشور في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد(٢٤) ١٩٨٧- ١٩٩٠،مدريد.

______ : الإسلام في أرض الأندلس، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (١٠)، العدد الثاني، يوليو ١٩٧٩م.

عبد الحميد ، سوادي : صلات تجارية بين البصرة والمغرب الإسلامي في القرن الثاني الهجري حتى أواخر القرن الرابع، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد (٤٣)، السنة السادسة عشرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، بغداد.

عبد الله ، محمد : ناظر الوقف، بحث منشور في مجلة دعوة الحق، عدد(٢٧٦)، إبريل- مايو، ١٩٨٧م، الرباط.

غومس ، اميليو غارسية : الثقافة العربية وكيف أثرت في إسبانيا، تعريب أحمد هيكل، بحث منشور في مجلة مدريد، العدد (١٥)، ص(٣).

فيرنيت ، خوان : هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط البحرية، بحث منشور في مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد الأول، للعام ١٩٥٣م، مدريد.

الكبيسي ، حمدان عبد الحميد : ضريبة العشور، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد(٤٣)، السنة السادسة عشرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، بغداد.

الكبيسي ، خليل إبراهيم : غزوات النورمانديين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، (٤٠)، السنة الرابعة عشرة، ١٩٨٩م، بغداد.

ـــــــــــــــــــ : تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس، بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، العددان (٤١-٤٢)، السنة السادسة عشرة، ١٩٩٠م، بغداد.

يفر ، ج : سبتة، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، إنشاءات جيهان طهران.

الرسائل الجامعية

حتاملة ، عبد الكريم عبده الطالب : مواجهة الناصر للممالك المسيحية في شمال إسبانيا، رسالة ماجستير، في جامعة القديس يوسف، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

حمود ، سادسة حلاوة : مدينة الزهراء وإمارة ابن أبي عامر المعافري في الأندلس، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب في جامعة البصرة، ١٩٨٦م.

الخالدي ، خالد يونس عبد العزيز : الاستقرار العربي الإسلامي في الأندلس في عصر الولاة، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

المومني ، محمد خالد : الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

دوريات أجنبية

Granja, Fernado : Fiestas Cristiana En Andalus, بحث منشور Al Andalus, Escuela de Estudi Arabes, Vol(34) 969.

Hajji, Abder haman Ali : At Tartushi, The Andalusian Traveller and his Meeting with Pope Jhon XII.
بحث منشور Islamic Quarlerly, Islamic Cultural Center, london,, vol(11), No(3-4.

———— : Christian States in Northern Spain During Umayyed PSeriod.
بحث منشور في Isalmic Quarlerly, Islamic Cultural Center, london,1965 vol(9), no.(102).

———— : Diplematic Relation between Andalusion and Italy
بحث منشور Isalmic Quarlerly, Islamic Cultural Center, london, 1965 vol(8), no.(3), 1968.

———— : Diplomatic relation between Andalusia and the frank.
بحث منشور Isalmic Quarlerly, Islamic Cultural Center, london, vol(13), No.(2), April – June, 1969.

———— : Two Unkown Embassies from Frankish Monarch to the Court of Cordaba during the reign of al-Hakam II
بحث منشور Isalmic Quarlerly, Islamic Cultural Center, london,, vol(10), No(1-2), 1966.

المراجع الأجنبية

Ahmad , S.S. : The Morish Spain,Karachi, Farooq Kitab Ghar, 1972.

Athinson , Wiliam : A History Of Spain And Protugal, London, Penguin Book L.T.D,1960.

Burry , J.B. : The Cambridge Medieval History, London, Combridgre University Press 1957.

Chejne , Anwerg : Muslim Spain, U.S.A. The Minnesota Press, 1974.

Collin , Roger : Early Medieval Spain, Newyork, St. Martin's Press , 1983.

Crow , Jhon : Spain The Root Of Flowers, Newyourk 1963.

Davis , R.H : A History Of Medival Europe, Langemans, London, 1964.

Dorzy , Reinhat. : Spanish Islam, London, Frank Cass,1913

Epalza , Mikel de : Mozarabe, An Emblematic Chistain Minority, Edited By Salma Khadra Jayyusi, The Legacy Of Muslim Spain, Leiden, E.J. Brill, 1992.

Frend , William : Charistianity In The First Five Centuries, Edited By Stewart Sutherland, The World's Religions, London, Routledge.

Gagigas , Isidro : Los Mozarabes, Madrid, 1929.

Harper-Bill , Christopher : Christianity In The West To The Refor Mation, Edited By Stewart

The second Chapter was about state and Ahl-dhimma, That I talked about the regard of official authority toward clergies and holy places, after that I concerned about the internal arrangement of Christian and Jews in Al-Andalus, and I talked about the official employment's occupied by dhimmy in the royal court, Then I talked about the Judgment of Ahl-dhimma in Al Andalus and their entailments.

In the third chapter I talked about social life of Ahl-dhimma in Al – Andalus, So I talked about social affairs like friendship and marriage between them and Muslims, Then I Talked about social traces for this affairs, Furthermore I talked about the religious life of Ahl- dhimma and their practicing rites, For that I talked about their festivals and their holy shrines, Then I talked about the martyrdom movement which happened in Cordoba between (236-238/850-852).

In the fourth chapter I talked about the economic life of Ahl dhimma in al-Andalus, So I talked about their agricultural, industrial, and commercial activities, Then I talked about their secular compulsion toward the Islamic society.

The fifth chapter was about the cultural life of Ahl-dhimma in Andalus. For that I talked about the development in cultural and Ideological life in Andalusian Community, Then I Talked about the magnifications of cultural life of Ahl dhimma, So I talked about mozarabic culture and biconjugated language, Then I talked about translation and instruction of Ahl-dhimma, after that I talked about the famous savants and physician of Ahl-dhimma in Andalusian community.

In the sixth chapter I talked about external affairs between bani Umayyed in Al Andalusn and Christian states, and the traces of this affairs on Ahl-dhimma in Andalusian society.

Finally, I concluded the research with important results.

ABSTRACT

Ahl-dhimma in Al Andalus Through Umayyad's period

Emirate & Khelafate

(138-421/756-1030)

prepared By

Abdel –Muttaleb M.R. Mathher

B.C. history From Yarmmouk University

Supervised By

Ph. Saleh M.F. Abu Diaak

Professor In History Department – Yarmmouk University

Ahl dhimma has occupied on important position in Islamic history , that they have existed and developed in Muslim states, and they participate in promotion the Islamic civilization.

To study this issues I choosed , Andalusian society for its effects in Islamic civilization, and I choosed the period of Umayyad reign (138-421/756-1030).

The research contains six chapters and conclusion, the first chapter was about the meaning of Ahl-dhimma, and about the regard of Mohmmedan law to them as religous denominations in